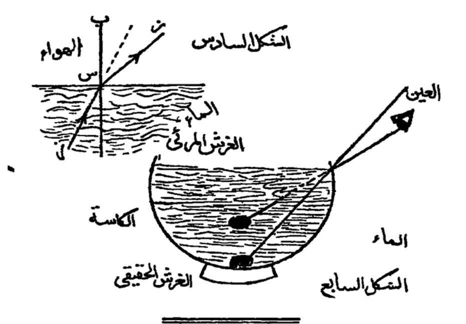
الآيات البينات
على وجود خالق الكائنات

تأليف

عظمة السلطان هيز هائينس السر صالح بن غالب القعيطى اليافعى
سلطان الشحر والمكله (حضرموت)

حرر مقدمته الاستاذ محمد المأمون بن عبدالوهاب الارزنجانى المدنى الدمشقى
بر مجلة المناهج و مؤلف كتاب رسول الثقلين ، وعلم الرحاونيات و المقامات الدكتية وغيرها

الشكل السادس والشكل السابع (صفحه ٩٦)



طبع فى دار الطبع للحكومة بحيدرآباد الدكن
فى الهند سنه ١٣٦٧ ھ
Hyderabad-Deccan. India.

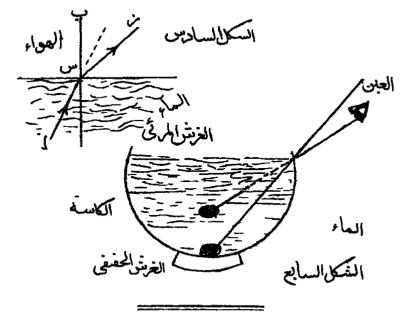
الآيات البينات
على وجود خالق الكائنات

تأليف

عظمة السلطان هيز هائينس السر صالح بن غالب القعيطي اليافعي
سلطان الشحر والمكلا (حضرموت)

حرر مقدمته الاستاذ محمد المأمون بن عبدالوهاب الارزنجاني المدني الدمشقي
مدير مجلة المناهج و مؤلف كتاب رسول الثقلين ، وعلم الروحانيات و المقامات الذكية وغيرها

الشكل السادس و الشكل السابع (صفحة ٩٦)



طبع في دار الطبع للحكومة بحيدر آباد الدكن
في الهند سنة ١٣٦٧هـ
Hyderabad-Deccan. India,

فهرست كتاب الايات البينات

---

(١) يباع - فى مكتبة ابراهيمية عابد روڈ - حيدرآباد - دكن .. ..

(٢) وابناء غلام رسول السورتى جاملى محله بمبئى نمبر (٣) .. ..

(٣) و عبد الحميد حاج عبادى الكتبى بعدن .. .. ..

(٤) والمكتبة الاسلاميه لمنشى غلام محمد بعدن .. .. ..

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بكتاب الآيات البينات

بقلم الاستاذ محمد المأمون بن عبدالوهاب الارزنجانی المدنی الدمشقی

لاحاجة لی بان اعرف القراء بهذاالکتاب القيم او بمؤلفه الجليل صاحب العظمة والاقبال سليل الملوك والاقيال ، السلطان صالح بن غالب القعيطی سلطان المکلا و الشحر ـ

هز هاينس السير النواب سيف نواز جنگ بهادر (بالقابه السنية) فان منزلة عظمة السلطان العلمية والادبية اشهر من ان ينوه بها اما هذا الكتاب فيكفينی ان اقول فی التنويه بفضله انه من كلام الملوك ملوك الكلام، والحقيقة التی لا مراء فيها ان هذا الكتاب (كتاب الآيات البينات) لمن احسن الاسفار التی القت فی هذا البحث الجليل و ان الحاجة لماسة اليه خصوصاً فی هذا العصر ، لان مذهب المادیين اخذ يستهوی قلوب كثير من الناس ـ ولقد انتشرت موجة الالحاد بين الطبقات المثقفة تثقيفاً مادياً ، وبدأ الناس يتنكرون مبدع الكائنات و يسندون كل شیٔ الی المادة وخواصها ـ و قد نبذوا الحقائق الدينية والابحاث الروحانية وراء ظهورهم فاصبحوا لايبالون بتعاليم الاديان السماوية ولايتدبرون فی خلق السموات و الارض ليروا آيات الله فی انفسهم و فی الآفاق حتی يتبين لهم انه الحق من ربهم ـ ولقد اقبل الناس علی الترف و انغمسوا فی الملذات فتكدر صفاء نفوسهم وقست قلوبهم فاصبحوا لاينصتون الی ضمائرهم يدعوهم الی الاتصال بحظيرة القدس و يذكرهم بالميثاق الذی اخذه الله تعالی من ذرية بنی آدم و هم فی عالم الذر ـ قال تعالی :واذ اخذ ربک من بنی آدم من ظهورهم ذريتهم و اشهدهم علی انفسهم ، الست بربكم ، قالوا بلی شهدنا ، ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين (سورة الاعراف) ۱۷۲

هذا ولقد اخذ الله هذا الميثاق عند ما اخرج من اصلاب بنی آدم ذريتهم علی ما يكونون عليه قرنا بعد قرن ونصب لهم دلائل ربوبيته و ركب فی عقولهم مايدعوهم الی الاقرار

بها ، و آتاهم من البصائر مايدركون بها مايشاهدونه بعلم اليقين حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم؟ ''قالوا بلى ،، فنزل تمكينهم من العلم بها و تمكنهم منه منزلة الا شهاد و الاعتراف على طريقة التمثيل ذلك كراهة ان يقولوا يوم القيمة '' اناكنا عن هذا غفلين ،،

و هذا الذى ذكرناه ما قال به اهل التأويل من علماء التفسير و البيان و اما على مذهب اهل المعرفة والشهود ، فان الاشهاد الذى ورد فى الآيات على انفس بنى آدم واخذ الله الميثاق منهم و سؤاله لهم و جوابهم له تعالى كان ذلك على الوجه الحقيقى المطابق للواقع ـ و يؤيد ذلك حديث ابن عباس رض ان النبى صلى الله عليه و سلم قال '' اخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان (يعنى عرفه) فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها ، فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قائلا '' ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ،، ان تقولوا يوم القيمه اناكنا عن هذا غفلين ـ و قد صح فى صحيح مسلم انه صلى الله عليه و سلم قال ان الله تعالى كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات و الارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء ،، (ذكره الامام الحافظ ابن حجر فى اول شرح الشمائل للترمذى) وكتابة مقادير الخلق يدل على وجود ذواتهم و حقائقهم لا قبل الاجساد فحسب بل قبل خلق السموات و الارض ـ

و لقد ورد فى الحديث الشريف بان الارواح قد خلقت قبل الاجسام بالفى عام ـ و ان الحديث المشهور ،، الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف و ماتناكر منها اختلف يؤيد خلق ارواح بنى آدم قبل اجسامهم بزمن طويل و ان هذه الارواح تحى حياة روحية فى مستقرها فى الملأ الاعلا قبل هبوطها الى الارض و انها تتعارف مع بعضها هناك او تتناكر وهذا التعارف اوالتناكر فى عالم الارواح هو السبب فى سرعة ائتلافنا و توادد نا مع بعض من نقابلهم من الاشخاص فى الحيوة الدنيا كما ان ذلك التناكر يكون سبباً لمخالفتنا اياهم فى الاراء و الميول و الاتجاهات الفكرية ـ

ولقد نوه الشيخ الرئيس على بن ابى سينا فى قصيدته العينية المشهورة على وجود اورواحنا فى الرفيق الاعلى قبل هبوطها الى الارض فقال

هبطت اليک من المحل الارفع — ورقاء ذات تعزز و تمنع
محجوبة عن كل مقلة ناظر — وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليک وربما — كرهت فراقک وهي ذات توجع

.... ألا وان الناس فى عصرنا الحاضر قداستولت عليهم الغفلة و الهتهم زخارف الحياة و مظاهرها الخلابة عن النظر الى بواطن الامور فلذلك لم يتوجهوا الى البحث عن الحقيقة الازلية التى ما زالوا يمنون بصلة روحية اليها و قد اهملوا معرفة نفوسهم ولم يعتنوا بتنمية القوى و المواهب الكامنة فى ذواتهم ـ

كما انهم لم يوفوا بالعهد والميثاق الذين قطعوهما على انفسهم فى عالم الذر امام باريهم ولم يسعوا الى اعادة الرابطة بين الرب و عبده تلك الرابطة التى تربطهم بمنبع الفيض القدسى و التجلى الالهى الاعظم و تسمو بهم الى حيث السعادة الابدية والجمال الازلى الدائم ـ

ونسوا الله فانساهم انفسهم فعميت بصائرهم و صاروا لا يشاهدون مظاهر الحقيقة الازلية فى الكائنات وفقدوا تلك الرابطة الروحانية التى تربطهم بمبدع الكائنات و باريها اصبحوا كالانعام بل هم اضل سبيلا ـ

فهذا الكتاب الجليل أعنى الآيات البينات على وجود خالق الكائنات يعيد لقارئه تلك الرابطة المفقودة بين الانسان و ربه اذا قرأه بتدبر و امعان "ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اوالقى السمع و هو شهيد "ـ كما انه يربطه برابطة روحانية بحظيرة القدس الاعلى و خالق الكائنات فلا يشعر الا وكأنه اصبح فى عالم جديد ـ عالم نورانى مفعم بالبهجة والسرور ويحس باحتياجه للمحافظة على تلك الصلة الروحانية العتيدة مع ذلك العالم العلوى الرائع ويصبو الى مناجاة خالقه العظيم الذى يتجلى على روحه و قلبه و نفسه بانوار هدايته و قربه و معرفته كلما توجه اليه تعالى و قد قال سبحانه "فاذكرونى اذكركم واشكروا لى ولا تكفرون "، و يقول فى الحديث القدسى " انا جليس من ذكرنى "، و مما لا شبهة فيه ان الانسان يشعر عند ما يحظى بالقرب الالهى و يتعرض لنفحات الرحمن بلذات عظيمة يقصر عن بيانها اللسان ـ

ولقد اثبت المؤلف فى هذا الكتاب وجود الخالق جل وعز بالبراهين الطبيعية مؤيداً ادلته بزبدة افكار علماء الاسلام الذين انضوا مطايا البحث فى سبيل تحقيق هذا الموضوع الجليل قروناً عديدة واعطوه حقه من الايضاح و البيان كما انه برهن على صحة مباحثه بخلاصة آراء فلاسفة الشرق و الغرب الذين أماطوا اللثام بابحاثهم العلمية القيمة عن كثير

من غوامض الكائنات و اسرار ها ، تلك الغوامض التي يقف الفكر الانساني حائراً مبهوتا عند محاولته سبر غورها و استكناه حقيقتها و قد وضح المؤلف حفظه الله كل ذلك باسلوب سهل جذاب خال عن التعقيد و الابهام والتعبيرات الفلسفية التي لايفهمها الا الخاصة ۔

و انى لشديد الامل بان حضرات القراء سيرتادون من منهله العذب الصافى و يتمتعون بمطالعة مباحثه القيمة الجديرة بان تكتب بماء الذهب على صفحات من سندس و استبرق ۔ و اجل مافى هذا الكتاب هو أن المؤلف بذل جهده فى اثبات وجود الخالق جل و عز بصورة تتشرب القلوب بها كامل الايمان وتزول عنها الريب والشكوك ولاغرو اذا دخل الايمان فى القلب عمره بالاطمئنان و ملاه بهجة و سروراً ۔ قال الله تعالى " الابذكر الله تطمئن القلوب "، و الايمان كما قيل !

قوة لم تتح لقلب جبان	تلك فى المرءقوة الايمان
تتجلى على جميع قوى الكون	تجلى الارواح فى الابدان

فجزى الله المؤلف عن العلم والا سلام خيرا ۔

محمد المأمون
مديرو محرر مجلة المناهج الدمشقية
والا ستاذ فى الجامعة العثما نية

حيدر آباد الدكن محرم سنه ١٣٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى برأ الكائنات و اظهرلنا فى خلقها و نظامها آياته البينات رفع السماء بقدرته الباهرة و زينها بالنجوم المشرقة الزاهرة وجعل لذوى العقول فى ملكوت السموات دلائل ساطعة تشهد بوجود مبدعه بيداهة واضحة و براهين لا معة و حجج قاطعة وجعل لنا فى نظام الكون واتقانه بدائع تبهر العقول و تعجز عن ادراكها افهام الفحول وصلى الله على سيدنا محمد دائرة الكمال و مصباح الهدى ومبيد الضلال و على آله و اصحابه ذوى الرفعة والا جلال ـ وبعد فهذه رسالة و جيزة فى اثبات وجودالبارى عزوجل بالدلائل الكونية سميتها ـ (بالايات البينات على وجود خالق الكائنات) وقد قدمت الاستدلال بالايات القرانية على وجود البارى و بينتها باسلوب خال عن معضلات الفلسفة و تعبيرات المناطقة المعقدة واستعنت باقوال المفسرين و آراء علماء الاسلام وفلاسفة الشرق والغرب لاظهار ما اشتملت عليه الايات من الحجج الدامغة و الادلة الساطعة على وجود الخالق سبحانه وتعالى وبعد ذلك ذكرت آراء علماء الشرق والغرب فى الاستدلال على وجود البارى بعبارة واضحة لالبس فيها ولا ابهام ثم تكلمت عن حقيقة المادة والاثير و مذهب الماديين والرد عليهم بادلة واضحة تروى غلة الغليل ثم ذكرت مذاهب الفلاسفة فى الحياة و اصل الانواع و نظرية لامارك و دارون و بطلان مذهبيها و ذكرت بعض البدائع الكائنة فى الانسان واعضائه و حواسه مع الاستدلال بمافيه من العجائب على وجود خالقه ثم ختمت الكتاب بذكرشئى عن الروح ومذاهب الروحانيين والصوفية والان اشرع فى المقصود معتمدا على الله الملك المعبود ـ

صالح بن غالب

غره ربيع الاول ١٣٦٧ هـ ـ حيدرآباد الدكن ـ الهند

مناهج الاستدلال على وجود مبدع الكائنات

كان مرجع المسلمين فى عقائدهم كتاب ربهم و سنة نبيهم فجاء زمان كثر فيه القيل والقال فلجأ علماؤنا الى الفلسفة اليونانية لدحض شبه الزنادقة والملاحدة فخلطوا الفلسفة سيما فلسفة الالهيات و المنطق بالعقائد الدينية لاثبات وجود البارى و صفاته وغير ذلك فتوغلوا فيها ـ ولو اعتصموا بكتاب الله ومافيه من الدلائل الكونية لكفاهم فى اثبات وجود البارى وصفاته ـ وقد خاطب القرآن عقولنا واستنهض افكارنا بعرضه نظام الكون ومافيه من الاتقان على عقولنا وابصارنا وبصائرنا فيجب علينا اذاً ان نتبع الخطة التى رسمها لنا القرآن فى معرفة الخالق فندرس عجائب الكائنات وما فيها من النظام المتقن لنستدل على وجود خالق الكائنات بما فى الكائنات من الآيات الباهرات التى تطمئن القلوب و تزيدها ايماناً و اعتقاداً فيجب علينا ان نستنبط الدلائل من الكتاب الحكيم الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ويعول عليه فى اصول علم الكلام ـ ولابأس بالفلسفة الحقة فى تأييد تلك الدلائل المستنبطة من الكتاب والسنة ولنا فى خلق الكائنات دلائل باهرة تغنينا عن الدلائل الاخرى ـ فمن تتبع ودرس ما فى الكائنات ونظامها من العجائب خرلله ساجداً و عرف الله معرفة حقيقية ـ ومن المعقول ان نستدل على وجود الخالق بوجود المخلوقات لا ان نبحث عن ذاته و حقيقته لمعرفة وجوده و قد ورد فى الحديث تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله فان التفكر فى ذات الله اشراك و ورد ايضاً انه (صلعم) قال ان الشيطان ليقول لاحدكم من خلقك فيقول الله فيقول و من خلق الله فاذاقال ذلك فليقل احدكم اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لايعرف الله الاالله وقد و رد فى حديث آخر ان الله احتجب عن القلوب كما احتجب عن الابصار وان الملأ الاعلى ليطلبونه كما تطلبونه انتم قال حجة الاسلام الغزالى الناس كلهم عاجزون عن اداراكه تعالى شانه ولكن الذى يعلم بالبرهان المحقق استحالة ادراكه فهو عارف مدرك اى مدرك لغاية مايتصور للبشر ان يدركه ومن عجز ولم يدر ان العجز ضرورى بالبرهان الذى ذكرنا فهو جاهل به وقال فان قلت فكيف السبيل الى معرفة الله تعالى فيقال ان تعرف بالبرهان

ان معرفته محال وانه لايعرفه غيره وان الذى يتصور ان يعلم منه افعاله وصفاته و وجوده المرسل و نفى المثل عنه وان تفهم وجوده بلاماهية لمن ليس فى نفسه وجوداً و لاماهية يقيسه به محال و وجودبلاماهية زائدة ليس الا له فليس له سواه و فى الحقيقة ان العلم الانسانى له حد يقف عنده ولا يتعداه لان معلومات الانسان التى تصل اليه اما ان تكون من طريق الحواس الخمس كالسمع والبصر والذوق و الشم و اللمس اومن طريق الوجدان كالالم و اللذة و الجوع و العطش والفرح و الحزن و غيرها من الامور الوجدانية او من طريق العقل كما لعلم بانه اذا زيد على شيئين متساويين شيئاً غير متساويين فالمجموعان يكونان غير متساويين و العلوم المتعارفة التى ذكرها اقليدس فى كتابه هى من قبيل المعلومات العقلية و ما ستنتج من المعلومات الحاصلة من الطرق المتقدمة بطريقة علمية او منطقية لا يكفى لمعرفة ذاته سبحانه و تعالى فلهذا لا يمكن للانسان معرفة ذات خالق الاكوان مباشرة و انما نعرف الله و نستدل على وجوده بدرس حقائق الكائنات والتفكر فى نظامها المتقن فيمكن للانسان ان يستدل بوجود الكائنات و مافيها من الآيات الباهرات على وجود خالق الارض و السموات وقد سأل الاصمعى اعرابيا بم عرفت ربك فقال البعرة تدل على البعير و اثر الاقدام يدل على المسير فسماء ذات ابراج و ارض ذات فجاج ألاتدل على اللطيف الخبير قاله ذلك الاعرابي بسلامة فطرته ولو نظرنا كما نظر الاعرابي لرأينا فى الكون من آيات الله ما يدهش العقول ولايقف عند حد فقد قال الله تعالى (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار و الفلك التى تجري فى البحر بما ينفع الناس و ما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الارض لآيات لقوم يعقلون) فوجود السموات و الارض و احياء الارض بعد موتها لآيات باهرة تدل دلالة واضحة على وجود خالقها وقد اودع فى فطرة الانسان ان يستدل بالآثار على المؤثر فيه فمن الطبيعي ان تعرف من وجود الكائنات ان لها خالقاً براها واوجدها فى احسن صورة واما الذين لايعتقدون فى وجود الخالق فيقولون ان الوجود قديم وان المادة هى مصدر كل كائن و مرجعه تلازمها خصائص لاتنفك عنها تصلح لان ترقى بها من الجماد الى ارقى نوع من الانسان بتدرجها فى ادوار متعاقبة مقودة بنواميس ثابتة عاملة على نظام آلىّ بحت لااثر للعقل و الشعور فيه و قولهم هذا مخالف للعلم الطبيعى و العلم لم يثبت و لايستطيع ان يثبت ان المادة قديمة و ليس فى وسعه ان يقرر بانها ممتعة بخصائص ذاتية ترقى بها الى اقصى درجات الكمال فقولهم بابدية المادة

و تمتعها بخصائص لاحد لها هو مخالف للاصول العلمية كما ثبت ذلك فى الابحاث الاتية بادلة قاطعة انشاءالله تعالى و فى الحقيقة وظيفة العلم تنحصر فى وصف حقائق الكون لان العلم يتناول معرفة الظاهرات و آثارها و علاقة بعضها ببعض و قدرة العلم الانسانى وليدة عن تفسير الحقائق فلا يمكن تطبيق العلم على حقائق الكون واسراره مباشرة بل يمكن الوصول الى فهم بعض حقائق الكون و اسراره بالتامل فى ظاهرات الوجود و حقائق الحياة فهنالك اشياء كثيرة يستحيل على العلم الطبيعى او الفكر الانسانى ان يصل الى حقائقها فحقيقة النور و الكهربائية و الجاذبية و الحرارة مجهولة بالنسبة الى علمنا فلا نقدر ان نصل الى حقائقها بل نقول انها قوات طبيعية لا نعرف حقائقها اوماهياتها فاذا كان العلم الانسانى قاصرا عن ادراك حقائق الاشياء فكيف يمكن له ان يدرك ذات واجب الوجود تعالى شانه بعلمه الناقص اوحواسه التى لاتؤدى الينا من الادراك الا مايقوم مقام الفرض فى كثير من الحالات وقد قال الله تعالى (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) فاسهل طريقة الى معرفة البارى هو التفكر فى الكائنات و نظامها و الاستدلال بوجودها و نظامها المتقن على وجود البارى قال العلامة ابوالبركات فى كتابه المعتبر فى الالهيات فى بحث الطرق العلمية التى ينتهى منها الانسان بعلمه الى معرفة الله تعالى ما ملخصه قال وطريق اخرى هى من جهة الحكمة العملية فان الذي رأيناه من خلق المخلوقات من السموات و الكائنات والجمادات و الحيوانات والنبات من النظام فى الشخص الواحد والاشخاص الكثيرة والانواع المختلفة دل على ان الافعال فيها ترجع الى حكيم يسوق المبادي الى غايتها والاوائل الى نهايتها و يجمع بينها على حالة يستبقى بعضها ببعض وينتفع بعضها ببعض كما نرى فى النبات ان العرق الناشب فى الارض لاجتذاب الماء من اعماقها مخلوطاً بمايجري عليه و ينجذب معه من لطائف الارض فى انجذابه و سيلانه حتى يصير غذاء للنبات ثم يحمله الى الساق الواحد الذى يصير ارضا فوق الارض بل واسطة بين النبات والارض حتى ينقل مواضع الثمر من الشجر عن الارض الى الجوالذى يلقى فيه الهواء المنضج و يتلقى الافعال السمائية من جهة القوى الروحانية ثم تتفرق الاغصان فى الجهات حتى لا تتزاحم الثمار وتكثر بقدر كثرة المادة التى يحملها الساق من تلك العروق و من تلك المياه الغائرة فعرقها ناشب فى الارض لاخذالمادة الجسمانية و فرعها صاعد فى الجو لاستمداد القوى الروحانية فيعيش هذا بامداد هذا و هذا بامداد ذاك احدهما بالروح الهوائية النارية والاخر بالمادة المائية الارضية ويجتمع لها معاً بذلك قبول القوى الفعالة السماوية حتى نرى النخلة تموت بقطع القلب الذي هوالرأس

الأعلا وتجف العروق الناشبة فى الارض السفلى مع بقاء المادة عندها كما يموت القلب بانقطاع العروق الممتدة ايضاً هذا و لا يعرف احدها مصلحة بالآخر فالعقل و النظر يشهدان بان الخالق المصور جمعها بحكمة ومعرفة بمبدأ حالها ومآلها

وقال الامام فخرالدين الرازى فى المباحث المشرقية فى باب الالهيات من اعتمد على الاحكام والاتقان المشاهدين فى السموات والارضين وخاصة فى تركيب بدن الانسان و مافيه من المنافع الجليلة و البدائع الغريبة التى تشهد فطرة كل عاقل بانها لاتصدر الاعن مدبر حكيم عليم وهذه الطريقة دالة على الذات و على العالمية و طريقة من تأملها و رفض عن نفسه المقالات الباطلة وجد نفسه مضطرة الى الاعتراف باثبات المدبر عند مشاهدة خلقة اعضاء الحيوان ـ انتهى ـ فالطريقه الواضحة هى الاستدلال على وجود البارى بوجود الكائنات و ترتيبها و نظامها المتقن فلهذا خاطب القرآن عقولنا بعرضه نظام الكون و مافيها من الاتقان على عقولنا كما ذكرنا ذلك فى اول الكتاب قال بعض الفلاسفة ان وظيفة العلم تنحصر فى وصف حقائق الكون لان العلم يتناول معرفة الظاهرات و آثارها و علاقة بعضها ببعض و ان وظيفته بعيدة عن تفسير الحقائق او الماهيات فلا يمكن تطبيق العلم على حقائق الكون و اسراره مباشرة بل يمكن الوصول الى فهم بعض الحقائق الكونية و اسرارها بالتأمل فى ظاهرات الوجود و حقائق الحياة و الخروج من ذلك التأمل باستنتاجات منطقية مقبولة اواستقراآت ترجع الى صدق المشاهدة والاختبار

قال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره بعد ماذكر طرق الاستدلال على وجود البارى قال و رابعها الاستدلال بحدوث الاعراض و هذه الطريقة اقرب الطرق الى افهام الخلق و ذلك محصور فى أمرين دلائل الانفس و دلائل الآفاق و الكتب الالاهية فى الأكثر مشتملة على هذين البابين والله تعالى جمع ههنا بين هذين الوجهين امادلائل الانفس فهى ان كل احد يعلم بالضرورة انه ماكان موجودا قبل ذلك وانه صار الآن موجوداً و ان كل ما وجد بعد العدم فلا بدله من موجد و ذلك الموجد ليس هو نفسه و لاالابوان ولا سائر الناس وعجز الخلق عن مثل هذا التركيب معلوم بالضرورة فلابد من موجد يخالف هذه الموجودات حتى يصح منه ايجاد هذه الاشخاص الا ان لقائل ان يقول ههنا لم لايجوز ان يكون المؤثر طبائع الفصول والافلاك و النجوم ولماكان هذا السوال محتملا ذكرالله تعالى عقبه مايدل على افتقارهذه الاشياء الى المحدث و الموجد وهو قوله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وهوالمراد من دلائل الآفاق و يندرج فيها كل مايوجد

من تغيرات احوال العالم من الرعد و البرق و الرياح و السحاب و اختلاف الفصول و حاصلها يرجع الى ان الاجسام الفلكية والاجسام العنصرية مشتركة فى الجسمية فاختصاص بعضها ببعض الصفات من المقادير والاشكال والاحياز لايمكن ان يكون للجسمية ولاشئ من لوا زمها والا و جب اشتراك الكل فى تلك الصفات فلابد وان يكون الامر منفصلا و ذلك الامر ان كان جسماً عاد البحث فى انه لم اختص بتلك الموثرية من بين تلك الاجسام وان لم يكن جسما فاما ان يكون موجباً او مختارا والاول باطل والا لم يكن اختصاص بعض الاجسام ببعض الصفات اولى من العكس فلا بد وان يكون قادرا فثبت بهذه الدلالة افتقار جميع الاجسام الى مؤثر قادر ليس بجسم ولا جسمانى و عندهذا ظهر ان الاستدلال بحدوث الاعراض على وجود الصانع لا يكفى الا بعد الاستعانة بامكان الاعراض والصفات اذاعرفت هذا فنقول ان الله تعالى انما خص هذا النوع من الدلالة فى اول كتابه لوجهين (الاول) ان هذا الطريق لماكان اقرب الطرق الى افهام الخلق و اشدها التصاقا بالعقول وكانت الادلة المذكورة فى القرآن يجب ان تكون ابعدها عن الدقة واقربها الى الافهام لينتفع به كل احد من الخواص و العوام لا جرم ذكر الله تعالى فى اول كتابه ذلك (الثانى) انه ليس الغرض من الدلائل القرآنية المجادلة بل الغرض منها تحصيل العقائد الحقة فى القلوب و هذا النوع من الدلائل اقوى من سائر الطرق فى هذا الباب لان هذا النوع من الدلائل كمايفيد العلم بوجود الخالق فهويذكر نعم الخالق علينا فان الوجود و الحياة من النعم العظيمة علينا و تذكير النعم مما يوجب المحبة و ترك المنازعة وحصول الانقياد فلهذا السبب كان ذكرهذا النوع من الادلة اولى من سائر الانواع انتهى

الاستدلال بالآيات القرآنية على وجود الخالق

الاستدلال بما فى الانسان من الاسرار الدالة على وجود الخالق قال تعالى فى سورة البقرة (كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون) المراد بكنتم امواتا اى كانت مواد ابدانكم و اجزائها اجساماً لاحياة لها او كنتم كالاموات وقوله تعالى (فاحياكم) قال الامام فخرالدين الرازي اعلم ان حدوث الحيوانات قديكون بالتوليد وقد يكون بالتوالد وعلى التقديرين فلابد فيها من الصانع الحكيم و قال ان الانسان متولد من النطفة فالمؤثر فى تصوير النطفة و تشكيلها قوة موجودة فى النطفة او غير موجودة فيها فان كانت القوة المصورة فيها فتلك القوة اما ان يكون لها شعور و ادراك

وعلم وحكمة حتى تمكنت من هذا التصوير العجيب و اما ان لاتكون تلك القوة كذالک بل يكون تأثيرها بمجرد الطبع و العلية ـ والاول ظاهرالفساد لان الانسان حال استكماله اكثرعلماً وقدرة ثم انه حال كماله لو اراد ان يغير شعرة عن كيفيتها لا يقدر على ذلک فحال ما كان فى نهاية الضعف كيف يقدر على ذلک ثم قال فلابد للنطفة فى انقلابها دماً ولحماً انسانياً من مدبر ومقدر لاعضائها و قواها و تراكيبها وماذاك الاالصانع سبحانه و تعالى :

وقال تعالى فى سورة آل عمران (هوالذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء) اى يصوركم على مشيئته تعالى بعد ماتكونون نطفاً ثم علقاً ثم مضغاًغير مخلقة ثم مخلقة قال الامام فخر الدين الرازيـ هوالذي صور فى الارحام هذه البنية العجيبة و التركيب الغريب و ركبه من اعضاء مختلفة فى الشكل و الطبع و الصفة بعضها عظام و بعضها غضاريف وبعضهاشرايين وبعضهااوردة وبعضهاعضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على التركيب الاحسن و التأليف الاكمل و ذلك يدل على كمال قدرته تعالى حيث قدر ان يخلق من قطرة من النطفة هذه الاعضاء المختلفة فى الطبائع و الشكل و اللون و يدل على كونه عالما من حيث ان الفعل المحكم لا يصدر الاعن العالم انتهى !

قال الله تعالى (و الله جعل لكم من انفسكم از و اجاً و جعل لكم من از و اجكم بنين و حفدة و رزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون و بنعمة الله هم يكفرون) قال الامام فخرالدين الرازى اعلم ان هذا نوع آخر من احوال الناس ذكره الله تعالى للاستدلال به على وجود الاله المختار الحكيم وقال فقوله جعل لكم من انفسكم ازواجاً خطاب مع الكل فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل بل هذا الحكم عام فى جميع الذكور و الاناث و المعنى انه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور انتهى ـ وقد خلق الله بجانب الذكر الانثى لاستدامة نوعه و جعل فى قلب الذكر الميل الى الانثى وفى قلب الانثى الميل الى الذكر ليحصل بذالك التقارب بينهما فجعل لهم الاولاد والاحفاد بمقاربتهم و ميل كل جنس الى ضده فهذا يدل دلالة كاملة على وجود قوة مدبرة تدبر كل شئ فلولا تلك القوة المدبرة لم يحصل شئ من التوالد و التناسل ـ

قال الله تعالى فى سورة المؤمنون (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين) المراد من

سلالة من طين كما ذكر ذلك فى كتاب الدليل الصادق اى من خلاصة تولدت من فضل الهضم الرابع و تواردت على اطوار الخلقة و ادوار الفطرة حتى صارت منيا و لاشك ان تلك الخلاصة انماتولدت من الاغذية والاغذية اما حيوانية اونباتية والحيوانية تنتهى الى النباتية والنبات انمايتولد من صفو الارض و الماء فالانسان بالحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين و السلالة الخلاصة لانهاتسل من بين الكدر و قوله تعالى (ثم جعلناه نطفة) اى جعلنا السلالة نطفة و قوله تعالى (فى قرار مكين) اى مستقر و هو الرحم قال الامام فخرالدين الرازى و معنى جعل الانسان نطفة انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة فى اصلاب الاباء فقذفه الصلب بالجماع الى رحم المرأة فصار الرحم قراراً مكيناً لهذه النطفة و المراد بالقرار موضع القرار و هوالمستقر سماه بالمصدر (ثم خلقنا النطفة علقة) اى دماً جامداً بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) اى قطعة لحم فخلقنا المضغة اى غالبها او معظمها او كلها (عظاما) فجعلنا ها عموداً للبدن (فكسونا العظام لحماً) مماانبتناعليها بقدرتنا (فتبارك الله احسن الخالقين) اعظاماً لشئونه تعالى و قدذكر ملخص الاراء المعروفة الان الشيخ طنطاوى الجوهرى فى تفسيره وهى ان الماء المهين فى الرحم يمرفى درجات مختلفات من النظام الحيوانى فيكون اولا (١) كالجراثيم النقاعية وهى الطبقات الدنيا من الحيوان كما تقدم (٢) ثم تكون عقلة ملتفة شبه ثلاثة ارباع الدائرة (٣) ثم يصير مثل الضفدع (٤) ثم يظهر العمود الفقرى وله منقار طائر و جسم الحشرة و هوالممر مابين عالم الطير و مرتبة الحيوانات الثدييه (٥) ثم يصير كذوات الاربع فيشبه القرد (٦) و ينموالرأس و يرسم الذراعان وله ذنب و تتهيأ مواضع الاعضاء للنمو و ترسم العينان و المنخران و الفم ثم يقصر ذنبه و يظهر التأنيث فيه و هذا فى الشهرالرابع و يظهر تصوير الجنين فيه و فى الشهر الخامس يفرق بين الذكر و الانثى و فى السادس يكون طوله من ١١ عقده الى ١٣ عقده و فى السابع من ١٣ الى ١٦ عقده و فى الثامن تفتح العينان و يكسى جلد الرأس بالشعر و يكون طوله من ١٦ عقده الى ١٨ عقده الى ٢٠ عقده فترى ان الجنين فى اول امره لايعرف من اى طبقة هو ولقد رسموا جنين الدجاج و الانسان و السلحفاة و الكلب فلم يجدوا بينها فرقا فبهذا تشابه الطائر و ذوات الثدى و الانسان و السلاحف فى اول نشأتها ثم يأ خذ كل منها فى التميز شيأ فشيئاً فهذا النظام الحيوانى الغريب المذكور خلاصته فى الآية السابقة تدل على وجود الخالق بكل وضوح فهل يمكن ايجاد الماء المهين من سلالة من طين و خلق الانسان من الماء المهين و تصويره

فى الرحم على صورة الانسان بعد خلقه على صورة الطائر والحشرة و الحيوان فهذه التقلبات الجنينية لايمكن و قوعها الاباماالهى و بخلق خالق عالم مدبر حكيم ـ

قال تعالى (ا م خلقوا من غير شئى ام هم الخالقون) المراد من (ام خلقوا من غير شئى) اى خلقوا من غير خالق وفيه ترتيب حسن ايضاً و ذلك لان نفى الصانع اما ان يكون بنفى كون العالم مخلوقاً فلا يكون ممكناً و اما ان يكون ممكناً لكن الممكن لايكون محتاجا فيقع الممكن من غير مؤثر و كلاهما محال و قوله تعالى (ا م هم الخالقون) اى الخالقون لانفسهم و هو محال لان الانسان لايقدر ان يخلق نفسه بل هو محتاج الى خالق حكيم يخلقه ـ

و قال تعالى فى سورة الطارق (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب) المراد بالصلب و الترائب صلب الرجل و ترائب المرأة اى عظام صدرها و قال الحسن المعنى يخرج من صلب الرجل و ترائب الرجل و من صلب المرأة و ترائب المرأة قال الامام فخرالدين الرازى ان دلالة تولد الانسان عن النطفة على وجود الصانع المختار من اظهر الدلائل لوجوده احدها ان التركيبات العجيبة فى بدن الانسان اكثر فيكون تولده عن المادة البسيطة ادل على القادر المختار و ثانيها ان اطلاع الانسان على احوال نفسه اكثر من اطلاعه على احوال غيره فلاجرم كانت هذه الدلالة اتم ـ و ثالثها ان مشاهدة الانسان لهذه الاحوال فى اولاده و اولاد سائر الحيوانات دائمة فكان الاستدلال به على الصانع المختار اقوى ـ

و قال تعالى فى سورة السجدة (الذى احسن كل شئى خلقه و بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع والابصار والا فئدة قليلا ماتشكرون) يقول الله تعالى (الذى احسن كل شئى خلقه) اى احسن كل مخلوق خلقه فالمخلوقات كلها خلقت على ماتقتضيه الحكمة و المصلحة فهى حسنة و ان تفاوتت الى حسن و احسن فقد قال تعالى (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم و بدأ خلق الانسان من طين) كما سبق ذكره ثم جعل نسله من ماء مهين و هو المنى ثم سواه اى عدله بتكميل اعضائه فى الرحم و تصويرها على ماينبغى قال الامام فخر الدين و اعلم ان دلائل الآفاق ادل على كمال القدرة كما قال تعالى (لخلق السموات و الارض اكبر) و دلائل الانفس ادل على انفاذ الارادة فان التغيرات فيها كثيرة

واليه الاشارة بقوله ثم جعل نسله ثم سواه اى كان طيناً فجعله منيا ثم جعله بشراً سويا و قال تعالى (ونفخ فيه من روحه) اى جعله حياً حساساً بعد ان كان جاداً و ذالك لسبب نفخ الروح فيه قال و اضاف الروح اليه تعالى تشريفاًله و ايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شأنا له مناسبة الى حضرة الربوبية و ان اقصى ماتنتهى اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذى يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى و الاخرے بالنسبة الى امره تعالى كما فى قوله تعالى (قل الروح من امر ربى) و قال(و جعل لكم السمع و الابصار و الافئدة) اى خلق فيكم المشاعر لتدركوابها المعارف و العلوم الدالة على وجود البارى و تعرفوا بها مصالحكم من مضاركم و سنذكر المشاعر الخمسة و ماقيها من الآيات الدالة على و جود البارى فى بابها ـ

قال الله تعالى فى سورة (يس) ـ (اولم يرالانسان اناخلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) و معناه بعد ماكان الانسان ماء مهينا اصبح رجلاممیزاً عاقلا قادراًعلى الخصام معربا عما فى نفسه قال صاحب الدليل الصادق فى تفسير هذه الآية انه تعالى قال اختلاف صور اعضائه مع تشابه اجزاءماخلق منه آية ظاهرة ومع هذا فهنالك ماهو اظهر منه وهونطقه و فهمه و ذلك لان النطفة جسم فهب ان جاهلا يقول انه استحال و تكون جسما آخر لكن القوة الناطقة و الفاهمة من اين تقتضيها النطفة فابداع النطق و الفهم اعجب و اغرب من ابداع الخلق و الجسم و هو الى ادراك القدرة والاختيار منه اقرب

الاستدلال بالحيوان على مقتضى ماتدل عليه الآيات القرآنية

قال الله تعالى (وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث و دم لبنا خالصاً سائغا للشاربين) الفرث هو فضالة مايبقى من العلف فى الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف مايبقى فى المعى قال الامام فخر الدين ان الحيوان اذاتناول الغذاء وصل ذالك العلف الى معدته ان كان انسانا والى كرشه ان كان من الانعام وغيرها فاذا طبخ و حصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد و ماكان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذى يحصل منه فى الكبد ينطبخ فيها ويصير د ما و ذالك هو الهضم الثانى و يكون ذالك الدم مخلوطا بالصفراء و السوداء و زيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى المرارة و السوداء الى الطحال و الماء الى الكلية و منها الى المثانة و اما ذالك الدم فانه يدخل فى الاوردة وهى العروق النابتة من الكبد و هناك يحصل الهضم الثالث و بين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم فى تلك العروق الى الضرع و الضرع لحم

غددى رخو ابيض فيقلب الله الدم عند انصبابه الى ذالك اللحم الغددى الرخو الابيض من صورة الدم الى صورة اللبن. اذا عرفت هذا فنقول المراد من الاية هو ان اللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهى الاشياء المأكولة الحاصلة فى الكرش و هذا اللبن متولد من الاجزاء التى كانت حاصلة فيما بين الفرث اولاثم كانت حاصلة فيمابين الدم ثانيا فصفاه الله تعالى عن تلك الاجزاء الكثيفة الغليظة وخلق فيها الصفات التى باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل واعلم ان حدوث اللبن فى الثدى ے اتصافه بتلك الصفات مشتمل على حكم عجيبة و اسرار بديعة يشهد صريح العقل بانها لا تحصل الا بتدبير الفاعل الحكيم و المدبر الرحيم وبيانه من وجوه (الاول) انه تعالى خلق فى اسفل المعدة منفذاً يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء اوشربة رقيقة انطبق ذالك المنفذ انطباقاً كلياً لا يخرج منه شئى من ذالك المأكول و المشروب الى ان يكمل انهضامه فى المعدة و ينجذب ما صفا منه الى الكبد و يبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ و ينزل منه ذالك الثفل و هذا من العجائب التى لايمكن حصولها الا بتدبير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة الى بقاء الغذاء فى المعدة حاصلة انطبق ذلك المنفذ و اذا حصلت الحاجة الى خروج ذالك الجسم عن المعدة انفتح فحصول الانطباق تارة والانفتاح اخرى بحسب الحاجة و تقدير المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير الفاعل الحكيم (الثانى) انه تعالى اودع فى الكبد خاصية جذب الاجزاء اللطيفة الحاصلة من ذالك المأكول او المشروب و لا تجذب الاجزاء الكثيفة و خلق فى الامعاء خاصية جذب تلك الاجزاء الكثيفة التى هى الثفل ولا تجذب الاجزاء اللطيفة البتة و لوكان الامر بالعكس لاختلت مصلحة البدن و لفسد نظام هذا الترتيب (الثالث) انه تعالى اودع فى الكبد خاصية للهضم و الطبخ حتى ان تلك الاجزاء اللطيفة تنطبخ فى البكد و تنقلب دماً ثم انه تعالى اودع فى المرارة خاصية جذب الصفراء و فى الطحال خاصية جذب السوداء و فى الكلية خاصية جذب زيادة المائية حتى يبقى الدم الصافى الموافق لتغذية البدن و تخصيص كل واحدة من هذه الاعصاب بخاصية من تلك الخواص لايمكن الا بتقدير الحكيم العليم (الرابع) ان فى الوقت الذى يكون الجنين فى رحم الام ينصب من ذالك الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادة لنمو اعضاء ذالك الولد و ازدياده فاذا انفصل ذالك الجنين عن الرحم ينصب ذالك النصيب الى جانب الثدى ليتولد منه اللبن الذى يكون غذاء ه له فاذا كبر الولد لم ينصب ذالك النصيب الى الرحم ولا الى الثدى بل ينصب على مجموع بدن المتغذى فانصباب ذالك الدم فى كل وقت

الى عضو آخر انصبابا موافقا للمصلحة و الحكمة لاينأنى الا بتدبير الفاعل المختار الحكيم (الخامس) عند تولد اللبن فى الضرع احدث تعالى فى حلمة الثدي ثقوباً صغيرة ومساماً ضيقة و جعلها بحيث اذا اتصل المص اوالحلب بتلك الحلمة انفصل اللبن عنها فى تلك المسام الضيقة ولما كانت تلك المسام ضيقة جداً فحينئذ لايخرج منها الا ماكان فى غاية الصفاء و اللطافة و اما الاجزاء الكثيفة فانه لايمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى فى الداخل فالحكمة فى احداث تلك الثقوب الصغيرة والمنافذ الضيقة فى رأس حلمة الثد ى ان يكون ذالك كالمصفاة فكل ما كان لطيفاً خرج و كل ماكان كثيفا احتبس فى الداخل ولم يخرج فبهذا الطريق يصير ذالك اللبن خالصاموافقاً لبدن الصبى سائغا للشاربين ثم ذكر الامام كيف الهم الصبى المص و غيرها من العجائب فى هذا النظام ام نذكرها هنا للا يجاز ثم قال و انماتحدث هذه الاحوال بتدبير فاعل حكيم رحيم يدبر احوال هذا العالم على وفق مصالح العباد فسبحان من تشهد جميع ذرات العالم الاعلى والاسفل بكمال قدرته و نهاية حكمته و رحمته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ـ

قال الله تعالى (و اوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتاً و من الشجر و مما يعرشون ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذالك لآية لقوم يتفكرون) قال الامام فخر الدين الرازى قوله و اوحى ربك الى النحل يقال وحى و اوحى و هوالالهام و المراد من الالهام انه تعالى قرر فى انفسها هذه الاعمال العجيبة التى يعجز عنها العقلاء من البشر و بيانه من وجوه (الاول) انها تبنى البيوت المسدسة من اضلاع متساوية لايزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها و العقلاء من البشر لايمكنهم بناء مثل تلك البيوت الابالآت وادوات مثل المسطرة و البيكار (الثانى انه ثبت فى الهندسة ان تلك البيوت لوكانت مشكلة باشكال سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة اما اذاكانت تلك البيوت مسدسة فانه لايبقى فيما بينها فرج ضائعة فاهتداء ذالك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الاعاجيب ثم قال فلما امتاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء و الكياسة وكان حصول هذه الانواع من الكياسة ليس الا على سبيل الالهام وهى حالة شبيهة بالوحى لاجرم قال تعالى فى حقها (وأوحى ربك الى النحل ان اتخذى الخ) وقوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه) اى العسل الذى يخرج من بطونها تختلف الوانه مابين ابيض و اصفر و احمر وغير ذا لك من الوان العسل مع ان هذا الجسم متساوى الطبيعة فحدوث تلك الالوان تدل على تدابير

الفاعل المختار قال الامام فخرالدين وجود النحل والعسل يدل على وجود الاله الفاعل المختار الحكم من وجوه (الاول) اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة و المعارف الغامضة مثل بناء البيوت المسدسة و سائر الاحوال التى ذكرناها (والثانى) اهتداؤها الى جمع تلك الاجزاء العسلية من اطراف الاشجار والاوراق (و الثالث) خلق الله تعالى تلك الاجزاء النافعة فى جو الهواء ثم القاؤها على اطراف الاشجار و الاوراق ثم الهام النحل الى جمعها بعد تفريقها وكل ذالك امور عجيبة دالة على ان اله العالم بنى تر تيبه على رعاية الحكمة و المصلحة يقول الماديون ان الالهام الحيوانى ماهو الا عادة موروثة فالنحل اهتدى بعد محاولات كثيرة الى بناءخلايا للعسل على شكل معين فادمن عليه فصارعادة له فاورثها صغاره و اثبت غير الماديين من علماء الحيوانات ان هذا الزعم باطل فاخذوا حيوانات كالنحل و ربوها حتى كبرت و هى لم تر ما يفعله آباؤهم ثم تركوها فعملت نفس اعمالهم و ربما قال الماديون ذالك عادة موروثة فلم لم يرث الانسان عادة آبائه فى البناء و النحت وغيرها من الصنائع مع انه ارقى من الحيوان ـ

وقال تعالى فى سورة ياسين (اولم يروا اناخلقنا لهم مماعملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون و ذللناها لهم فمنها ركوبهم و منها يأكلون و لهم فيها منافع مشارب افلا يشكرون) يقول الله تعالى اناّ خلقنا الانعام و هى الابل والبقر و الغنم لاجل بنى آدم فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم قال الامام فخرالدين و قوله تعالى فهم لها مالكون اشارة الى اتمام الانعام فى خلق الانعام فانه تعالى لوخلقها ولم يملكها الانسان ماكان ينتفع بها و قوله تعالى و ذللناها لهم اي صيرناها منقادة لهم بحيث لاتستعصى عليهم بل تتصرف لهم و تنقاد لاشارتهم الم ترالفيل مع عظم جثته و قوته كيف ينقاد لبنى آدم فلولم يسخره الله لبنى آدم لما انقادله لضعف بنى آدم وعظم جثة الفيل وطاقته فالقوى لاينقاد للضعيف فترى هناك قوة مدبرة تجعل القوى خاضعة للضعيف ولولاتلك القوة لماصارت الحيوانات منقادة للانسان فالله سبحانه وتعالى هو الذي ذللها لنا فجعلها لركوبنا و لمنافع اخرى كحمل اثقالنا من بلد الى بلد و للانتفاع بالبانها ولحومها واوبارها و جلودها فيستدل بهذه الاحوال كلها على عظم قدرة الله عز و جل فلولاها لما قدرنا على تمليك الحيوان والانتفاع بها فان كثيراً من الحيوانات تفوق بنى آدم فى القوة و الجثة كالفيل و البعير و الخيل و مع هذا يخضعها بنى آدم و يذللها وما ذالك الابقدرة الله سبحانه و تعالى ولولم يسخرها الله لنا لما قدرنا على الانتفاع بها ولا اذلالها قال الله تعالى و فى خلقكم ومايبث من دابة آيات لقوم يوقنون ـ

الاستدلال بعالم النباتات على مقتضى ما تدل عليه الايات القرآنية

قال الله تعالى فى سورة الانعام (ان الله فالق الحب و النوى يخرج الحى من الميت و مخرج ا لميت من الحي ذا لكم الله فانا توفكون)

قا ل الامام فخر الدين الفطر هوالشق و كذالك الفلق فا لشئ قبل ا ن د خل فى الوجود كا ن معدو ما محضاً و نفياً صرفاً و العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لاانفراج فيها و لا انفلاق ولا انشقاق فاذا اخرجه المبدع الموجد من العدم الى الوجود فكا نه بحسب ا لتخيل و التوهم شق ذالك العدم و فلقه و ا خرج ذالك المحدث من ذالك الشق فبهذا التأويل لايبعد حمل الفا لق على ا لموجد و المبدع و المحدث و قال الا مام فى تفسير (يخرج الحى من الميت و مخرج الميت من الحى) المقصود منه ان ا لحى و الميت متضادان متنافيان فحصول المثل عن المثل يوهم ان يكون بسبب الطبيعة والخاصية اما حصول الضد من الضد فيمتنع ا ن يكون بسبب ا لطبيعة و ا لخاصية بل لابد وان يكون بتقدير المقدر الحكيم و المدبر العليم

قال الله تعالى فى سورة الانعام (وهوالذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ فا خرجنا منه خضراً نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية و جنات من اعناب و الزيتون و الرمان مشتبها و غيرمتشابه انظر وا الى ثمره اذا اثمر و ينعه ان فى ذالكم لآيات لقوم يومنون) يقول الله تعالى ما معناه ا نه هو الذى انزل الماء من السماء و هوالمطر فاخرج بذالك الماء النباتات التى من شأنها النمو فاخرج النبات الذى لاساق له شيأ غضاً اخضر و يخرج من ذالك حبا متراكبا هو السنبل و فيه الحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض و يحصل فوق السنبلة اجسام دقيقة حادة مثل الابر لتمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة قال صاحب الفلسفة الحقة لوفحصنا بزرة من القمح فحصاً علمياً نجد انها مكونة من مواد ازوتية التى تتركب من ا وكسجين وكربون و ازوت و مواد هيدروكاربونيه ا ى مواد مكونة من اوكسجين و هيدروجين وكربون بدون و جود ازوت ثم يوجد مع هذه المواد خلية صغيرة تسمى الجنين وهى الخلية التى تستحيل بسبب الحياة التى اودعها الخالق تعالى فى النبات الى نبات شبيه بالتى خرجت منه فلو وضعنا هذه البزرة فى ارض رطبة متمتعة بالاشياء التى جعلها الله تعالى شروطاً عادية للانبات وهى الماء و الحرارة الشمسية و الهواء نجد بعد مدة يسيرة انها برزت من الارض على هيئة شجيرة

صغيرة ذات ساق وورقتين فى قمته فتستمر على النمو الى ان تلحق شأوها فتنبت لناسبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ولو زرعت تلك الحبات كلها لا تنجت لنا ملايين من الحبوب المشا بهة لها ايضاً حتى اننا لواستمررنا على ز ر ع كل ماينتج لامكننا ان نملأ مخازن الدنيا كلها حبوباً ذلك كله من حبة وا حدة لاشك ان من يرى هذه الغرابة لابد ان تتوق نفسه الى النظر و التفكر فى صنع البارى تعالى لنمو البزرة و استحالتها الى شجرة فنقول يوجد داخل البزرة خميرة مخصوصة يسمونها دیستاز و هذا الديستاز قدجعله البارى تعالى سبباً لاحالة المواد الهيدروكاربونية الى مادة سكرية قابلة للذوبان فى الماء تسمى الكليكوز و حكمة هذه الاستحالة عجيبة فان تغذية النباتات لاتحصل الابتشرب خلاياها للسوائل المغذية فلولم تستحل المواد الهيدرو كاربونية الى كليكوز لما امكن للجنين تشرب الغذاء لان هذه المواد غير قابلة للذوبان فوجد الد يستاز ليحصل بهفعل كماوى مهم يستحيل تلك الموادالى كليكوز قابل للذوبان (فتامل) و فى الوقت الذى يحصل فيه تشرب الخلية الجنينية للسائل المغذى يكبر حجمه فتنقسم تلك الخلية الى خليتين فتظل الخلايا الجديدة تكبرو تنقسم الى ان تكون السويق اى الساق الصغير الذى يبرز بعد وضع البزرة بمدة يسيرة و فى الوقت ذاته يتكون جذير اي جذر صغير يتجه الى مركز الارض و من الغريب ان الخلايا لما تنقسم و تتكاثر لاتكون اوراقا ولاتكون خيوطا ولا ولا بل تكون ذالك السويق المعهود لكل شجيرة قمح و هولايتجه الى اسفل ولا الى احدى الجوانب بل يظهر خارج الارض كان فى داخل الارض مهندسا ماهرا فوق العادة يأمرالخلايا ان هذه تبقى فى هذا الموضع والاخرى فى ذالك على حسب الدقة والهندسة التى يرى بهاذالک السويق فسبحانک اللهم لا اله الا انت لک المثل الاعلى فى السموات والارض و انت الصانع المختار الحكيم

والحبة اوالنواة اذا غرست فى الارض الرطبة وسقيت بماء اظهر الله فى تلک الحبة اوالنواة من اعلاها شقا ومن اسفلها شقا فالشق الاعلى تخرج منه الشجرة الصاعدة الى الهواء و اما الشق الاسفل فتمتدمنه العروق و تصير تلک الحبة سببا لاتصال العروق بالشجرة و من عجائب القدرة الدالة على حكمة البارى هى ان الحبة اذا وقعت فى الارض الرطبة انتفخت ثم انشقت ولا تنشق من الجوانب الا من اعلاها و اسفلها مع ان الانتفاخ حاصل من جميع الجوانب والنوى مع مافيه من الصلابة العظيمة التى بسببها يصعب فلقه اذا وقع فى الارض الندية ينفلق بحكم الله و قدرته و يصير مجموع النواة على نصفين يخرج من احدالنصفين الجزء الصاعداي الشجرة و من الثانى الجزء الهابط

و هي العروق فالصاعد يصعد على صورة شجرة والهابط يغوص في اعماق الارض وهي العروق فيخرج من تلك الحبة او النواة شيئان مختلفان في الكيفية احداهما صاعد والاخر هابط مع اتحادالطبيعة والماء والهواء والتربة فعلمنا ان ذالك كان بسبب تدبيرالخالق الحكيم لابسبب الطبع والخاصية فان كانت طبيعة الحبة والنوى ابراز العروق التى تهبط الى اعماق الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في الهواء مع ان الحس والعقل يشهد ان يكون طبيعة احد الجزئين اي العروق والشجرة في اتجاههما و طبيعتهما و خاصيتهما تخالف الجزء الاخر فعلمنا ان ذلك ليس بمقتضى الطبيعة والخاصية بل بمقتضى القدرة الربانية ثم ان باطن الارض جرم كثيف لا ينفذ الوتد القوى ولا يغوص السكين الحادالصلب الا بدقة و استعمال قوة و مع هذا ترى تلك العروق التى تكون دقيقة فهى مع دقتها و غاية لطافتها و نعومتها تقوى على النفوذ في تلك الارض الصلبة و الغوص في بواطن الاطيان الكثيفة فحصول هذه القوى الشديدة لهذه الاجرام الضعيفة مع لطافتها ونعومتها لابدان يكون بقدرة الله تعالى والايصعب علينا تعليلها و قال تعالى فى اخرالاية بعد ما اشار الى النخل والفواكه الاخرى (ان في ذالكم لايات لقوم يؤمنون) فان في حدوث الاجناس المتنوعة والانواع المتشعبة من النباتات من الماء والطين والهواء لايات عظيمة تدل على وجود البارى الحكيم قال المستر جران اليس ناموس التماثل هوالاية الحقيقية اليس الحيوان والنبات يستعير من الخارج مواد مباينة لمادته من عضوية و غير عضوية وما ذايفعل بها هل يحيلها الى مادته الخاصة اوالنوعية اوالجنسية اوالشخصية اوالذاتية يمكن الاثبات بسهولة ان الجسم يتركب و يتعوض و يجدد نفسه مع كل خواصه و ذالك مع المواد الغريبة عن مادته اليس من الغريب المدهش ان قطعا مخصوصة منفصلة عن كائن مها كان ازراراً اوخلايا او بزورا تمتلك عين القدرة التى يمتلكها المجموع التى كانت هي جزء منه فتركبه بكل خواصه و مزاياه ثم قال ولكن ماذا تقول في ان خلية بسيطة تحتوى على قوة ابراز كل هذا الاعضاء (اي الاعضاء النباتية) بكل هذه الخواص كيف ذالك لعمرى ان هذه الاشياء هي آية عجيبة

و قال صاحب الرسالة الحميدية و اغرب شانه (اي النبات) و كل شئونه غريبة كيفية تمثيله لاجزاء الارض والماء والهواء لبنيته و تطويرها باطواره بينما هذه الاشياء عديمة النمو والحياة اذتراها قددخلت في تركيب النبات فانقلبت جسما ناميا متغذيا ذاحياة نباتية مكتسبا خواصا لم تكن له من قبل ثم تنظر الى ذالك الجسم النباتى فتراه من وجه عديم الارادة فاقدالادراك اشبه شئ بالجماد وتنظراليه من وجه آخر فتراه قد ضرب بعروقه في

بطن الارض لتناول الغذاء فهو وان لم يسع على اقدامه كالحيوان فى طلب رزقه ولكن يبلغ فى باطن الارض مالايبلغه الحيوان و ترى اغصانه تتعالى او يتعرش بشوكه و لبابه على المرتفعات لينتفع بنورالشمس كالحيوان المتسلق على الاشجار لطلب الاثمار انتهى فكل تلك الاطوار تدل بان للعالم الها حكيما يدبرشؤن العالم كلها وهل يعقل ان هذه التطورات فى النباتات تكون مصدرها حركة اجزاء المادة مع الضرورة العمياء او الصدفة الصماء او النواميس الطبيعية (كما يقول بذالک الماديون) ام هى آيات بينات ترفع اعلام الشهادة بان للعالم خالقا يخلق مايشاء و يفعل مايريد

و قال تعالى فى سورة الرعد (و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) ذكر صاحب صفوة الاعتبار ان المشار اليه فى الاية الاعتبار بما فى الارض من الثمرات و انها كلها مثل الحيوان ذكر وانثى قال و هذا التفسيرالبين المحمولة فيه الاية على حقيقة اللفظ من قوله تعالى و من كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين انما اطلعنا عليه من ترقى العلوم الطبيعية والفلاحية فقد تبين بالتجربة والمشاهدة و قرره جميع فلاسفة المتاخرين فى كتبهم ان جميع انواع الثمرات بل حتى الزهور ايضا تشتمل على ذكر و انثى و اذا افرد احدهما عن الاخرلاتتولدالثمرة غير ان بعض الانواع تكون فيها الشجرة الواحدة مشتملة على البزر الذكر و البزر الانثى و تتلاحق مع بعضها بالريح وهوالمشار اليه بقوله تعالى (و ارسلنا الرياح لواقح) و بعض الانواع تكون فيه شجرة الذكر مفردة عن شجرة الانثى و هذا النوع الاخير كان معلوما منه سابقا بعض افراد النخل والتين لكن الان قد تحقق ان جميع الانواع لاتثمر الا بالتلاقح بين الذكر والانثى حتى اذا تتبع قطع احد الصنفين من شجرة تشتملها و ابقى نورالاخر بحاله و لم يكن فى ذالک الموضع شجرة اخرى مثلها فان مابقى فيها من النور لايثمر و قد حرر ذالک و علمت علامات الذكر و علامات الانثى فى كل نوع بحسبه فسبحان القادر الحكيم الذى ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم حقا و صدقا باوضح المعجزات فقد انبأ بهذا منذ اكثر من الف و ثلاثه مائة سنة عند مالم يكن هناك حكيم يختلج هذا بفكره فضلا عن الامة الامية و هو احدها لايقرأولايكتب فلاشک ان هذا انما هو بوحى من الخالق الذى يعلم ما خلق سبحانه و تعالى و لدقة هذا الامر و غرابته قد اعترف مصنفو اهل هذاالعصر بان الحكمة قدفازت بها الامة العربية منذ بعث فيها رسولها واستندوالما اشتمل عليه القران من بديع الحكم فان معرفة كون الريح تلقح الاشجار لم تعلم عندالحكماء الا فى آخر هذا القرن و القران الكريم ناطق بها ولهذا قال مستر اجنيرى الانكليزى

انّ اصحاب الأبل قدعرفوا ان الريح تلقح الاشجار والثمار قبل ان يعلمها اهل اوروبا بثلاثة عشر قرنا اقول وكذالک کون الثار تشتمل على الزوجين وما ذالک الابتعليم الخالق لابواسطات ولا تعلمات ولا تجربات و تحليلات کیاويه انتهى قال تعالى فى سورة الرعد (و فى الارض قطع متجاورات و جنات من اعناب و زرع و نخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماواحد و نفضل بعضهاعلى بعض فى الاكل ان فى ذالک لآيات لقوم يعقلون) (قطع متجاورات) اي بقاع متلاصقات (و نخيل صنوان و غير صنوان الصنوان جمع صنو وهو ان يكون الاصل واحد و تنبت فيه النخلتان اوالثلاث فاكثر فكل واحدة صنو فيسقى ماذكر من القطع والزرع والنخيل بماء واحد لااختلاف فى طبع الماء ولا فى اجزائه فيفضل الله بعضها على بعض فى الاكل فيما يحصل منها من الثمر فترى التمر متغائرا فى الاشكال و الطعوم و الروائح و قد يكون من اصل واحد و ذالک يدل دلالة واضحة على وجود صانع حكيم يدبر الامر بقدرته فالقطعة الواحدة التى تسقى بماء واحد و يكون تائير الشمس فيها متساويا تنبت ثمارا مختلفة فى الطعم واللون والطبيعة والخاصية هذا يدل على وجود مدبر فاعل مختار فلهذا قال الله تعالى (انفى ذالک لايات لقوم يعقلون) فالذين يتفكرون فى هذه الاحوال لايتاخرون عن الجزم بان الخالق سبحانه و تعالى هوالذى خلق الاثمارالمختلفة فى الاشكال والالوان والطعوم والروائح فى تلک القطع المتجاورة بقدرته قال الله تعالى (الله الذى خلق السموات و الارض و انزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقالكم) اي انزل الله من السماء ماء فاخرج بذالک الماء من الثمرات رزقا لكم فلولم ينزل الله الماء من السماء لم تنبت الارض شيأ من الثمرات والزرع

وقال تعالى فى سورة النحل (هو الذى انزل من السماء ماءلكم منه شراب و منه شجرفيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذالک لاية لقوم يتفكرون) اى هوالذى انزل الماء فمنه ماتشربونه و منه يحصل شجر ترعاه المواشى ففى انزال الماء وانبات الزرع والاثمار اية عظيمة للمفكرين فمن تفكر فى ان الحبة والنواة تقع فى الارض فيتصل بها الماء المنزل من السماء فينفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منها عروق تبسط فى اعماق الارض كما تقدم بيانه و ينشق اعلاها فيخرج منها ساق فينمو و يخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار فيتولد من تلک الحبة اوالنواة شجرة عظيمة باورا قها و ثمارها و ازهار ها فمن تفكر فى هذه النشئة الدالة على قدرة الخالق

عرف ان هذه الاحوال تدل دلالة صريحة على وجود خالق الاشياء كلها وهو الله سبحانه و تعالى

قال الله تعالى فى سورة الشعراء اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيهامن كل زوج كريم ان فى ذالك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين) اى الم يروا الى عجائب الارض الدالة على قدرته تعالى فقد انبت فيها من كل زوج اي من كل صنف مرضى كثير المنافع وان فى ذالك الانبات لاية عظيمة تدل على كمال قدرة الله تعالى و قد سبق بيانه

وقال الله تعالىٰ فى سورة السجدة (اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون) الجرز الارض اليابسة التى قطع عنها الماء والنبات اى اولم يروا الى الارض اليابسة كيف نسوق اليها الماء فنحييها فنخرج منه زرعا لتاكل منه انعامهم و تخرج منه الحبوب والاثمار ليقتات بها الا نسان، افلا يبصرون الى قدرته تعالى و مننه فيستدلون به على كمال قدرته و مواهبه

و قال الله تعالى فى سورة فاطر (الم ترأن الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها) المراد من ثمرات مختلفا الوانها اي اجناسها من الرمان والتفاح والعنب و غيرها اواصناف الثمرة الواحدة كالعنب فاصنافه تزيد على خمسين وكذالك التمراصنافه تزيد على مائة اوهيآ نها واشكالها والوانها قال الامام فخر الدين و هذا يدل على انه لايجوز ان يكون حدوث النبات لاجل تاثير الطبائع والافلاك والانجم و ذالك لان تاثير الطبائع والا فلاك والانجم والشمس والقمر بالنسبة الى الكل واحد ثم قال اعلم ان مدار هذه الحجة على ان المؤثر الموجب بالذات وبالطبيعة يجب ان يكون نسبته الى الكل نسبة واحدة فلما دل الحس فى هذه الاجسام النباتية على اختلاف صفاتها وتنافر احوالها ظهر ان المؤثر فيها ليس موجبا بالذات بل فاعلا مختارا

و قال الله تعالى فى سورة يسن (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون) قال صاحب كشف الاسرار النورانية ان فى الاية اشارة الى تكون الاحجار الفحمية ذات النار الشديدة التى تستعمل الان فى المطابخ والتنانير والا لات البخارية و نحوذالك و يستحضر منها غاز الاستصباح حيث ان تلك الاحجار ليست الا مادة النباتات التى تتكون منها الغابات و كانت تنبت فى المستنقعات فى قديم الزمان

ثم قال و قد وجدوا مرارا جذوع اشجار كبيرة فى طبقات الفحم الحجرى انتهى ولاشك ان الفحم الحجرى هو بقايا هذه النباتات التى بجذوعها واوراقها تميز الارض الفحمية و قد جائت آيات كثيرة فى عالم النباتات تدل على قدرة الخالق ولكن اكتفينا بشرذمة منها و قال الله فى سورة النمل (ام من خلق السموات والارض و انزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ماكان لكم ان تنبتوا شجرها أاله مع الله بل هم قوم يعدلون) اي ام من خلق السموات والارض وانزل لاجل منفعتكم مطرا من السماء فانبت به حدائق اي بساتين ذات بهجة اي حسن و رونق يبتهج به الناظرون اليها اذلم يكن فى قدرتكم انباتها فانبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال خارجة عن قدرة بنى آدم فدل ذالک على وجود قادر حكيم الذى انبت النباتات والاشجار على اصناف واشكال شتى ثم قال (أاله مع الله) اي هل اله آخر كائن مع الله و هذا تبكيت لهم بنفى الالوهية عما يشركون به تعالى فالذى يرى الحدائق وكيفية انباتها و يتفكر فى حقيقتها لابدان يعرف ان السبب الحقيقى فى انبات الحدائق هوالله سبحانه و تعالى اذهو خارج عن قدرة البشر ثم قال الله تعالى (بل هم قوم يعدلون) اي هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق والصواب فهم يعدلون عن الحق الواضح الذى هوالتصديق بوجود الله تعالى و قال الله تعالى فى سورة الواقعة (افرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون لونشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون) اي افرأيتم ماتحرثون أ انتم تنبتونه و تردونه نباتا ام نحن المنبتون لاانتم قال الامام فخر الدين ماملخصه فقوله افرأيتم ماتحرثون اي ماتبتدؤن منه من الاعمال أأنتم تبلغونها المقصود ام الله ولا يشک احد فى ان ايجاد الحبة فى السنبلة ليس بفعل الناس و ليس بفعلهم ان كان سوى القاء البذر والسقى فلوشاء الله لجعله حطاما اي نباتا يابسا لاحب فيها فتتعجبون من سوء حاله فتندمون على اجتهادكم فى الحرث فهذا يدل على ان انبات الزرع و خصبه ليس الا بتقدير الله سبحانه و تعالى

و قال الله تعالى فى سورة عبس (فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا و قضبا و زيتونا و نخلا و حدائق غلبا و فاكهة و أبا متاعا لكم ولانعامكم) اي فلينظر الانسان الى تكون طعامه وكيفية حدوثه فقد هيأ الله طعامه بانزال المطر من السحاب فالسبب الاصلى فى اخراج طعامه هوالماء ثم بعد نزول المطر شقق الارض بقدرته فاخرج منها النباتات كالحب والقضب اى البرسيم و انبت منها شجرة العنب والزيتون والنخل و جميع الفواكه والمراعى لتكون طعاما لنا ولانعامنا فهذه الاشياء و حدوثها تدل على وجود الصانع و قدرته و رحمته وشفقته بنا قال الله (متاعا لكم

ولانعامكم) اي فعل ذالک تمتيعا لکم ولمواشيکم فان بعض الحب والفواکه جعلها غذاء لبنی آدم و جعل بعض الاشياء کالبرسيم والعلف طعاما لانعامنا

قال الله تعالى (والذى اخرج المرعى فجعله غثاء احوى) اي انبت العشب وما يرعاه الدواب والمرعى الکلاء الاخضر ثم قال فجعله غثاء احوى اي جعله بعد ذالک دربسا اسود والغثاء مايبس من النبت فحملته الاودية والمياه والوت به الرياح والحوة السواد و الاحوى الذى يضرب الى السواد

اثبات وجود الخالق بالآيات القرآنية المتعلقة بخلق السموات و الارض والکواکب

قال الله تعالى فى سورة الاعراف (اولم ينظروا فى ملکوت السموات والارض و ماخلق الله من شئ)

اي اولم ينظروا بعين البصيرة فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملک وکمال القدرة فکل ذرة من ذرات عالم الاجسام والارواح برهان باهر ودليل قاهر على التوحيد کما قال بذالک الامام فخر الدين فکيف لايکون فى عالم السموات والارض دلائل لائحة على وجود الصانع المجيد ففى ملکوت السموات والارض ادلة واضحة على وجود خالقه وقد استدل العلامة اسحق نيوتن و غيرهم بادلة محسوسة على وجود الخالق بما فى ملکوت السموات والارض من النظام المتقن والايات الباهرة (انظر براهين نيوتن) وقد تقدم علم الفلک فى هذا العصر تقدما باهرا واظهر لنا علماؤه ککوبرنيکوس وکپلر ونيوتن وغاليلو وغيرهم بواسطة النظارات اشياء کثيرة کانت مجهولة قبل القرن الثامن عشر فملکوت السموات والارض فى نظر علماء الفلک هو عبارة عن مجموع الشموس وسائر الکواکب التى يعمربها الفضاء المنظور منه وغير المنظور فان لله شموسا و نجوما لم تدرکها حواسنا لبعدها عنا اذ کل نجم من النجوم الثوابت التى نراها فى قبة السماء هى شمس مثل شمسنا تدور حولها سيارات والمظنون ان شکل الشموس الاخرى وسياراتها مثل شکل النظام الشمسى و من اشهر الاجرام السماوية (الشعرى) قال تعالى (وانه هو رب الشعرى) وهى من اشد الکواکب نورا وهى مع ذالک النور اللامع تبعد عنا بنحو ٩٠ ترليون ميل و توجد شموس کثيرة اکبر من شمسنا ولکن لبعدها عنا نراها صغيرة جدا والنظام الشمسى هو نظامنا فيه تسع سيارات تدور حول شمسنا وکان بطليموس يعتقد بان الارض واقعة فى المرکز وکل السيارات تدور حولها اولا القمر ثم عطارد فالزهرة فالشمس فالمريخ فالمشترى فزحل واستمر هذا الرأى الى القرن الخامس عشر مع ان الحکيم فيثا غورث قبل المسيح بخمس مائة عام قد اکتشف

ناموس حركات الاجرام السموية و قرر بان الشمس واقعة فى المركز والارض مع بقية السيارات تدور حولها ولكن علماء الفلك رفضوا رأيه بسبب التعصب و فى نحو نصف القرن السادس عشر بينما كان تعليم بطليموس هو المشهور قام كوبر نيكوس واحيا تعليم فيثاغورث وهو التعليم الحقيقى المعول عليه فى هذه الايام وقد سبق بعض فلكى العرب فى تأييد راي فيثاغورث قبل تأييد كو برنيكوس رأيه فبموجب هذا الرأي الجديد الشمس واقعة فى المركز و الارض و بقية السيارات تدور حولها اولها عطارد ثم الزهرة فالارض فالمريخ فالمشترى فزحل فاورانوس فنبتون ثم السيار الجديد بلوتو فالاثنان الاولان داخلان فى فلك الارض والخمسة الاخيرة خارجة عن مدار الارض و تسمى السيارات الخارجية وافلاك هذه السيارات ليست فى مستوى واحد بل هى فى مستويات مختلفة فمنها ما هو افقى و منها ما هو رأسى و منها ما هو مائل الى اليمين اوالى الشمال و جميع هذه السيارات هى اجرام مظلمة كارضنا ولا يضيئها الا انعكاس اشعة الشمس عليها فكل السيارات مع ارضنا تدور حول الشمس و قد اشار اليه سبحانه وتعالى بقوله (وكل فى فلك يسبحون) ثم الاقمار كل واحد منها يدور حول سياره الخصوصى والشمس تدور على محورها كالسيارات ولها حركة اخرى هى الانتقالية فى الفضاء بسرعة ١٦ كيلوميتر فى الثانية الواحدة وهى تتحرك مع سياراتها والارض فى جملتها نحو نقطة فى المجرة (التى هى السطح العام لنظام العالم) لم يستطع تعيينها الى الان واظن هذه الاية (والشمس تجرى لمستقر لها) تدل على سير الشمس الى نقطة معنية والاعتبارات المأخوذة من ملكوت السموات والارض على وجود الخالق من وجوه كثيرة وقد جمع الامام فخر الدين الرازى اكثر الوجوه فى تفسيره ونحن ننقل بعض الوجوه التى تدل دلالة صريحة على وجود البارى مع اقوال الفلكيين فاولها النظر الى مقادير هذه الاجرام الفلكية فانها مع اشتراكها فى الحقيقه الفلكية اختص كل واحد منها بمقدار خاص مع انه لايمتنع فى العقل وقوعها على ازيد من ذالك المقدر اوانقص منه بذرة فلما قضى صريح العقل بان المقادير باسرها على السويه قضى بافتقارها فى مقاديرها الى مخصص مدبر وهو الله لاالطبيعة اوالمادة البكماء -

الوجه الثانى ان الاجرام الفلكية مع تشابهها فى الطبيعة الفلكية كل واحد منها مختص بنوع معين من الحركة فى البطء والسرعة فلكل واحد منها حركة مختصة بمقدار معين مخصوص من البطء والسرعة فاختصاص بعضها بالسرعة و بعضها بالبطء عن الاخر ليس الا لمخصص والعقل يقضى بان كل واحد منها انما اختص بما هو عليه بتقدير العزيز العليم -

الوجه الثالث ان كل حركة فانه يمكن وقوعها اسرع مما وقع وابطأ مما وقع فاختصاص تلك الحركة المعينة بذالك المقدارالمعين من السرعة اوالبطء اختصاص بامر ممكن ولابدله من مخصص مختار

(الوجه الرابع) و مما يستحق التعجب هو مع ان هذه الاجرام تسير و تدور بسرعة فائقةالادراك لاتزال محافظة بالتمام على مداتها وحركاتها فهذا دليل واضح على وجود قوة مدبرة تدبر وتحافظ على نظام العالم

(الوجه الخامس) اعلم ان السيارات العظام فى النظام الشمسى تنقسم الى طائفتين داخلية و خارجية فالداخلية هى عطارد والزهرة والارض و المريخ اما الخارجية فهي المشترى وزحل واورانوس ونبتون فيوجد فرق بين الطائفتين فاما السيارات الداخلية فليس لها اقمار ماعدا الارض و اما الخارجية فلكل واحد منها قمراواكثر و فى ذالك دليل واضح على وجود الخالق سبحانه و تعالى اذبها تستعيض عن قلة النور الذى تستمده من الشمس بسبب بعدها الهائل ذكرت ذالك اليزاافرت فى كتابها فى علم الهيئة انتهى ـ

اعلم ان الشمس والسيارات التى تدور حولها انما هى جزء صغير جدا من ملكوت السموات والارض اذ كل نجم من النجوم الثوابت التى نراها هى شمس مثل شمسناتدور جولها سيارات كما تدور السيارات حول شمسناوالمظنون ان شكل الشموس الاخرى وسيارا تها مثل شكل النظام الشمسى فالانسان عاجزعن ادراك حدود الكون لان النظر الطبيعى والصناعي لايصل الى جزء صغير من اجزاء الكون الشاسع فارضنا ليست الا كالهباء ة بالنسبة الى العوالم الاخرى و شمسناهى اصغر من الابرق بكثير فهو اكبر منها الف مرة و ماهو الا نجم من نجوم الشعرى و ان من النجوم مايصل ضوءه اليناقى الفي عام لبعده الشاسع مع ان ضوء الشمس مع بعدها عن الارض تسعين مليون ميل تقريباً يصل اليناضوءه فى ثمان دقائق واربعة عشرة ثانية وهناك نجوم اخرى اكبر بكثير من شمسنا ومن نجوم الشعرى مالايدركها تصور-هذا شكل العالم الذى يقرب بها علماء الفلك عظمة العالم الى العقل البشرى فسبحان مدبرهذه الكائنات العظيمة قال الله تعالى (لخلق السموات والارض اكبرمن خلق الناس) قال ابوالوفافى كتابه

ان مانشاهده من العوالم ان هوالاقطرة صغيرة من بحرتاهت عنه مداركنا الى الآن ولايزال

لغزاً من الالغاز التي يبعد عن عقولنا حلها باي حال من الاحوال لفقدان الوسائط الموصلة لذالك و لايعلم عدد ما احتواه من الاجرام و الكواكب فى الحقيقة الا خالقها .

وقال الله فى سورة الرعد (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخرالشمس والقمركل يجري لاجل مسمى يدبرالامر يفصل الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) السماء لغة كل ماعلا الانسان فهومن السموا اي العلو و هذا الفضاء اللانهائى سماء والسحاب سماء و الكواكب سموات قال الاستاذ محمد بك مسعود فى تقويمه السموات السبع المذكورة كثيرا فى القرآن الشريف هى هذه السيارات السبع وهى طباق اي بعضها فوق بعض لان فلك كل منها فوق فلك غيره والارض احدى هذه السيارات ولولم تعتبر سماء بالنسبة للانسان لانه يعيش عليها فالسيارات الكبيرة وان كانت ثمانيا الا ان سبعا منها فقط هى التي تعلو الانسان فهي السموات بالنسبة له وهى عطارد الزهرة المريخ المشترى زحل واورانوس و نبتون وقال اما الشمس و النجم الجديد بلوتو مركز لافلاك هذه السيارات فليستا من السموات السبع المرادة فى القرآن وان كان يصح ان تسمى بالسموات لغة و لكنه ارادبالسموات غيرها وقد قال الله تعالى (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا و جعل القمر فيهن نوراوجعل الشمس سراجا اي فيهن جميعا و فى هذه الايه اشارة الى ان الشمس والقمر ليست من السموات السبع المرادة فى القرآن وقد اختلف العلماء فى معنى (طباقاً) المذكور فى الاية قال الاسكندري يحتمل ان يكون المراد بكونها طباقا كونها متوازية لان لكل كوكب حيز و هذه الكواكب مجموع الاجرام السماوية المالئة للفضاء وليس لتلك الاجرام حد معلوم اوتكون طباقا باعتبار حركاتها و حيزها و طبيعتها فانها تنقسم الى نجوم و شموس و كواكب و توابع و ذوات اذناب وكلها بحسب الظاهر طبقات على حسب البعد عنها

و قال العلامة الشيخ طنطاوى جوهرى فى عدد السيارات ماملخصه ان لااعتبار بالعدد فانه قد يستعمل للكثرة فقط

و مهما يكن الامر فالاجرام العلوية يطلق عليها اسم السماء و قدجاء فى القرآن فى مواضع كثيرة بان الله انزل الماء من السماء قال الله تعالى (و انزل من السماء ماء) (و انزل لكم من السماء ماء) و المطر لاينزل الا من السحاب فاراد الله بالسماء السحا ب فلا شك ان الاجرام العلوية يطلق عليها لفظ السماء قال الله فى هذه الاية المتقدمة (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) اى رفع الله السموات بغير عمد مرئية فرفعها بقوة اودعها فيها و

جعل الاجرام السماوية فى الجو فى المراكز المعينة لها بقدرته قال الطبيعيون يتم الارتكاز لجميع الاجرام السماوية فى الفضاء بالقوة الجاذبة و الدافعة فالارض تجذب الشمس و بقية الكواكب السيارة و الشمس تجذب الارض فتجذب بعضها بعضا كانها مرتبطة بحبال وقد و ضعها البارى تعالى على ابعاد متناسبة بحيث يكون تجاذبها واسطة لتوازنها انظر براهين نيوتن و حقيقة القوة الجاذبة) قال صاحب (صفوة الاعتبار) ان الحكماء المتأخرين الذين وصلوا بالمعارف و التحاليل و الا لات الى مالم تبلغه فلاسفة الاقدمين قد زيفوا لهم كثيراً من خرافاتهم وبينوا اخطاءهم فهولاء حذا قهم قد اقروا بانه لابد من خالق لما هو موجود اذ ما يعللون به كثيرا من الاشياء من قولهم الجاذبية والنواميس الطبيعية و غير ذالك قد صرحوا بانها عبارات اصطلاحية و الا فحقائقها امور مجهولة يلتزم متتبعها بالاعتراف بالصانع و قال الحكيم المشهور المتبحر فيلكس لامروس من فحول علماء القرن التاسع عشر من ميلاد المسيح ما ملخصه ان الحكمة الالهية اقتضت الان حفظ الاشياء وضبطها فى مواضعها الشاغلة هى لها (يريدبها الاجرام السماوية) بموجب قوة مجهولة ذاتها لافعلها تسمى بالجذب وهى كلمة يعلم منها الفعل لا السبب اذ هذا الاخير مع كثرة بحث الطبيعين عنه و تفتيشهم عليه لم يزل مجهولا الى الان وعلى المولع بدراسة العلوم ان لاياخذ بظواهر مثل هاته الكلمات العلمية المصطلح عليها بين علماء الطبيعة التى يوضح بها سبب او اسباب طبيعية مجهولة لحادث من الحوادث فاذاقيل هنا مثلا ان الاجرام تزن اوتثقل لانها مجذوبة لغيرها او انها جارية على مقتضى نواميس الجذب كان ذالك الدور المعيب الى آخر كلامه (وانظر براهين نيوتن و بحث الجاذبية) و المراد بقوله تعالى (ثم استوى على العرش) اى استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره و قوله تعالى (و سخر الشمس و القمر) اى ذللها لمنافع خلقه وقوله (كل يجرى لاجل مسمى) اى كل من الشمس و القمر يجرى لمدة معينة فيها تتم دورة كل منها فكل من الشمس و القمر يجرى كل يوم على مدار معين من المدارات اليومية و تقدير حركاتها بمقادير مخصوصة لايحصل الا من مقدر و هو الله سبحانه و تعالى و قوله يدبر الامر) اى يدبر عالم الاجسام و الارواح بقدرته و قوله (يفصل الايات) الدالة على كمال قدرته و الاعتبارات المأخوذة من عالم السموات والارض للدلالة على و جود الخالق كثيرة لاتحصى فنظام السموات و حركات الاجرام السماوية المنظمة تدل دلالة واضحة على وجود الخالق سبحانه و تعالى فان نظام الكون المتقن لايمكن وجوده على هذه الصفة العجيبة الا بايجاد مدبر حكيم يوجد الاشياء بقدرته فيتقنها بحكمته

قال الله تعالى فى سورة فاطر (ان الله يمسک السموات و الارض ان تزولا و لئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا) اى ان الله يمسك السموات و الارض من زوالها فثباتها على ما هاعليه يدل على قدرة الخالق فسرهذه الا ية المحقق السكندرى فقال انه تعالى خلق الاجسام و خلق لها قوة التماسک فى اجزائها المفردة و خلق فيها قوة الانجذاب فى جميع الاجرام تقريرا للتوحيد و ابطالا للا شراك انتهى فجميع الاجرام السماوية قائمة فى مراكزها بقدرة الله تعالى ولولا قدرته لزالت من مراكزها وقد قال العلامة نيوتن من المحقق ان الحركات الحالية للكواكب لايمكن ان تنشأ من مجرد فعل الجاذبية العامة لان هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس فيجب لاجل ان تدور هذه الكواكب حول الشمس ان توجد يد الهية تدفعها على الخط المماس لمداراتها انظر (براهين نيوتن) فالجاذبية العامة لاتثبت الاجرام السماوية فى مراكزها ان لم تكن هناك قوة الهية تجعلها قائمة فى مراكزها مع حركاتها السريعة و قد قال الله تعالى فى سورة الروم (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره) اى بارادته تعالى فتبقى معلقة فى الفضاء بامره للدلالة على كمال قدرته تعالى و وجوده و لوسلمنا ان الاجرام السماوية قائمة بالجاذبية العامة فهى قوة اودعها الله تعالى فى الاجرام فهى من الله تعالى ايضا و نحن نجهل حقيقتها فنقول انها ناموس طبيعى اوجدها الله منذ خلق الكون وهى القوة السارية الممسوكة بها الاجرام منذ خلق الله تعالى العوالم و لكننا لم نطلع على ماهيتها الى الان فالسبب الحقيقى فى امساك الاجرام الفلكية فى مواقعها هو امر الله و قدرته و قال الله تعالى فى سورة الاعراف (والشمس و القمر و النجوم مسخرات بامره) قال المحقق السكندرى ان لكل من اجرام الشمس و القمر و الكواكب سيراً خاصا و سيراً آخر بسبب التأثيرات فالله سبحانه و تعالى خص جرم الشمس بقوة سارية فى اجرام سائر الافلاك باعتبارها انها صارت مستولية عليها قادرة على تحريكها على سبيل القهر فاجرام الافلاك و الكواكب صارت كالمسخرة لهذا القهر و القسر و لفظ الاية مشعر بذالك و اودع تعالى قوةسارية فى شئى مجهول لنا تدور حوله فجعل سبحانه و تعالى لكل مجموع نجمى قوة قاهرة حفظ بها جميع الافلاك و الكواكب فلهذا السبب قال تعالى (والشمس و القمر و النجوم مسخرات بامره) فالسبب الذى يمسک السيارات فى افلاكها و يحفظ نظامها فى مداراتها هوجذب الشمس لها فلولاه لسارت فى طريق مستقيم الى حيث لايعلم الا الله و كذا لك جميع الكواكب يجذب بعضها بعضا من جميع الجهات فالسماء بما فيها من المجاميع و الشموس متماسكة كالبنيان يشد بعضه بعضا و المراد بقوله (بامره) اى بقدرته وارادته

اذليس هى قادرات بانفسهن فالفاعل الحكيم خص جميع الاجرام بقوى و حركات خاصة فهى كالمسخرات فى قبول تلك القوى و الحركات عن قدرة المدبر الحكيم ـ

و قال الله تعالى فى سورة يونس (هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نوراً و قدره منازل لتعلموا عددالسنين و الحساب ما خلق الله ذالك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون) يقول الله تعالى انه جعل الشمس ذات ضياء لان نوره غير مستمد من غيره بل ناشئ عن احتراق موادها فلهذا قال الله (الذى جعل الشمس ضياء و سماها سراجا ايضا و جعل القمر ذا نور فالشمس جعلها لنا سراجا وهاجا فنستمد منه النور والحرارة فلولا الشمس لما وقع نهار وكنا فى ظلمة ولولا حرارتها لماانبتت الارض نباتها ولم تتحمل اجسامناالبرد القارس بسبب عدم حرارتها و اما القمر فهو كالمرآة تعكس نورالشمس على الكواكب التابعة لها فلهذا عبرعن ضوء القمر بالنور لان ضوءه ليس بذاتى بل هو مكتسب من الشمس قال الامام فخرالدين اعلم ان انتفاع الخلق بضوء الشمس و بنور القمر عظيم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل و بحركة الشمس تنفصل السنة الى الفصول الاربعة و بالفصول الاربعة تنتظم مصالح هذا العالم و بحركة القمر تحصل الشهور (القمرية) و باختلاف حاله فى زيادة الضوء و نقصانه تختلف احوال رطوبات هذا العالم و بسبب الحركة اليومية يحصل النهار والليل فالنهار يكون زمانا للتكسب و الطلب و الليل يكون زمانا للراحة وكل ذالك يدل على كثرة رحمة الله على الخلق وعظم عنايته بهم فانا قد دللنا على ان الاجسام متساوية و متى كان كذالك كان اختصاص كل جسم بشكله المعين و وضعه المعين وحيزه المعين و صفته المعينة ليس الابتدبير مدبر حكيم رحيم قادر قاهر و ذالك يدل على ان جميع المنافع الحاصلة فى هذا العالم بسبب حركات الافلاك و مسير الشمس و القمر و الكواكب ماحصل الا بتدبير المدبر المقدر الرحيم الحكيم سبحانه و تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيراً ثم انه تعالى لما قرر هذه الدلائل ختمها بقوله ماخلق الله ذالك الا بالحق و معناه انه تعالى خلقه على وفق الحكمة و مطابقة للمصلحة ثم قال الله تعالى (يفصل الايات لقوم يعلمون) اى ان الله يفصل الايات التكوينة الدالة على وجوده و قدرته فيعلمون منها العلماء الحكمة فى ابداع الكائنات و يستدلون بها على وجود خالق المخلوقات و قال الله تعالى فى سورة يونس (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش ـ

قال السكندرى ـ الخلق معناه التقدير فخلق السموات و الارض اشارة الى تقدير حالة من احوالها و ذالك التقدير يحتمل وجوها كثيرة ـ

(اولا) تقدير ذواتها بمقدار معين مع ان العقل يقضى بان الازيد منها والانقص جائز فاختصاص كل واحد منها بمقداره المعين لابد وان يكون بتخصيص مخصص وذالك يدل على افتقار خلق السموات والارض الى الفاعل المختار ـ

(ثانيا)كون هذه الاجسام متحركة فى الازل محال لان الحركة انتقال من حال الى حال فالحركة يجب ان تكون مسبوقة بحالة اخرى والازل ينافى المسبوقية فكان الجمع بين الحركة و بين الازل محال اذاثبت هذا نقول هذه الافلاك و الكواكب اماان يقال ان ذواتهاكانت معدومة فى الازل ثم وجدت اويقال انها وان كانت موجودة لكنها كانت واقفة ساكنة فى الازل ثم ابتدأت بالحركة و على التقديرين فتلك الحركات ابتدأت بالحدوث وهى حقيقة ابتدأت بالحركة مع ابتداء الحدوث و الوجود فى وقت معين مع جواز حصولها قبل ذالك الوقت و بعده واذاكان الامر كذالك كان اختصاص ابتداءتلك الحركات بتلك الاوقات المعينة تقديرا وخلقا ولايحصل ذالك الاختصاص الابتخصيص مخصص قادر مختار ـ

(ثالثا) ان اجزاء الكواكب مركبة من اجزاء صغيرة دقيقة و لابد ان يقال ان بعض تلك الاجزاء حصل فى داخل الاجرام و بعضها حصل على سطوح الاجرام فا ختصاص حصول كل واحدة من تلك الاجزاء بحيزه المعين و موضعه لابد وان يكون بتخصيص المخصص القادر المختار ـ

(رابعا) ان العناصر البسيطة متكونة من اجزاء دقيقة ذات طبيعة واحدة و الكواكب مركبة من جملة عناصر ممكنة الوجود فى ذواتها فكل ماكان ممكنا لذاته فهو محتاج الى المؤثر وهوالقادر سبحانه و تعالى ـ

(خامسا) ان الاجسام متماثلة فاختصاص بعضها بالصفات التى لاجلهاكانت سموات كواكبا وارضاوالبعض الاخر بالصفات التى لاجلها كانت عناصر و حرارة وضوء وهواء لابد وان يكون امرا جائزا وذالك لايحصل الابتقدير مقدر و تخصيص مخصص ـ

قال الله تعالى (ومن آيا ته خلق السموات والارض ومابث فيهما من دابة و هو على جمعهم اذايشاء قدير) قال العلامة الالوسى فى تفسيره (ومابث) عطف على السموات. اى و من آياته خلق مابث من دابة اي حيوان له دبيب و حركة فيدل ذالك على وجود الدواب فى السموات كماهى موجودة فى الارض ولايبعد ان يكون فى كل سماء حيوانات و مخلوقات على صور شتى و احوال مختلفة لانعلمها و قال الله تعالى يسئله من فى السموات

*3

و الارض كل يوم هو فى شان و هذه الاية يدل على وجود الاحياء (ومن يستعمل للعاقل) هذا ملخص ما كتبه الالوسى وهويدل على وجود المخلوقات فى السماء و يقول ارباب المدارك السامية (ان الكائنات لم تخلق عبثا وان لكل موجود علة والعلة العامة لوجودالكواكب هى سكناها بكائنات حية وقد اختلف آراء علماءالفلك فى هذه المسئلة فبعضهم يرجحون وجود الاحياء فى الكواكب و قال بعضهم كالدكتور الفريد رسل بان الارض وحدها هى الجرم المسكون لان الاجرام الاخرى لاتصلح للسكنى لحرها وبردها الشديدين وامكانية الحياة تتوقف على الظروف والمحيط و الظروف فى السيارات غير صالحة للحياة و من اهم الاسباب الفعالة لتحديد احوال الحياة و اشكالها على سطح السيارات اختلاف الضوء و الحرارة و قدعلم من الارصادات الفلكية ان بعض الاجرام تمت فيه شروط الحياة كالمريخ و بعضهالم تتم فيه شروط الحياة فلهذا من المشكوك وجود الكائنات الحية فى تلك الاجرام قالت المدام اليزا افرت فى علم الفلك ان الله اعد هذه الارض لسكنى الانسان على انه ربماكانت قبل ايجاد البشر فيها معدة لامور اخرى لانعلمها واما الان ففى كل مانراه على الارض دلائل على عناية سابقة و مناسبة قبل الوقوع كالفحم و الزيت لاجل الايقاد والاضاءة واعد لنا احراشا لاجل الحصول على الخشب و معادن لعمل الالات و انهارا لجري السفن و سهولا لزرع الحبوب و اعد لنا الهواء و النور والحرارة باحكام مدقق لاجل قيام هذه الا جساد و على هذا اذا التفتنا الى باقى السيارات لابد ان يخامرنا فكر بان الله اوجد تلك ايضا مسكنا لمخلوقات اخرى تختلف فى طبيعتها كل الا ختلاف عن التى لنا اوان فيها مقاصد اخرى وان كان كذالك وان لم يكن فالامر واضح ان شروط الحياة هنالك مختلفة كثيرة عما هى عندنا و قدكان الفيلسوف العظيم هرشل يعتقد بان الشمس مسكونة وكان يعتقد ان جرم الشمس مظلم بارد وان بينه و بين كرة اللهب سحب كثيفة تخفف وطأة الحرارة و الضوء عليه و بالتالى على سكانه قال العلامة اوليورلودج قدعرف الان ان فى الكون اراضى غيرارضنا هذه و قد يكون فيها من يقابل الانسان من الكائنات و لكن اليس فى الكون كائنات تختلف عنا و هل يجوز ان نعتقد ان كل كائن مدرك يجب ان يكون له جسم مادى مثل اجسامنا ؟ ان اعتقاد ا مثل ذالك لامسوغ له ولاقام عليه دليل وقداظهر العلم مافى الكون من الانتظام و ان فيها عوالم كثيرة لاعالما واحدا و لنا فى الاجرام الفلكية مثال على انه قديكون فى الكون كائنات كثيرة لانعلمها انتهى فسبحان من خلق هذه العوالم وجعل لها نظاما متقناً و بث فى كل سماء امره الا يدل وجود هذه العوالم و نظامها المتقن على وجودباري

المسموكات فتبا لعقول الماديين الذين يعتقدون انها خلقت بالمصادفة اللهم اهدنا الى صراطك المستقيم ولا تجعلنا من القوم الضالين المضلين۔

قال الله تعالى (افى الله شك فاطر السموات و الارض)

اى ان مدار الانكار ليس فى الشك انما هو فى ان وجود الله تعالى لايحتمل الشك اي افى شانه تعالى شك و هو فاطر السموات و الارض فالفطرة شاهدة على وجود خالق السموات و الارض فالبداهة تحكم بوجود مبدع الاكوان وقد سئل اعرابى عن الدليل فقال البعرة تدل على البعير و الروث على الحمير و آثار الاقدام على المسير فسماء ذات ابراج و ارض ذات فجاج و بحار ذات امواج اماتدل على الصانع الحكيم العليم القديرقال العلامة فريد وجدي العقيدة بوجود الخالق فطرة فطرت عليها النفس الانسانية او هى فى مرتبة العلوم الضرورية التى تحصل للانسان كثمرة من ثمرات مواهبه العقليةفمن المعارف الانسانية الضرورية ان كل شى له علة توجده اوصانع يصنعه فاذا نظر الى الكونو استعرض مافيه من الكائنات حدث له علم ضرورى بان هذه الكائنات لم توجد اتفاقا فلا بد لها من موجد اوجدها ۔

وقال الله فى سورة ابراهيم (وسخرلكم الشمس و القمر دائبين) اى يدأبان فى سيرها فلولم تطلع الشمس علينا و لم تغرب فى و قتها لبطل امر العالم كله فعند طلوع الشمس الناس يسعون فى معائشهم و عند غروبها يهدؤن لتحصيل الراحةوفى ذالك انبعاث القوة الهاضمة و تنفيذ الغذاء الى الاعضاء قال الله تعالى (وهوالذى جعل لكم الليل لتسكنوافيه و النهار مبصرا) وقد جعل الله ارتفاع الشمس و انحطا طها وميلها عن خط الاستواء سببا لاقامة الفصول الاربعة وبطلوعها يطلع النبات و ينور الشجر و يحتدم الهواء فتنضج الثمارولو كانت الشمس واقفة فى موضع واحدلاشتدت السخونة فى ذالك الموضع واشتد البرد فى سائر المواضع فبسبب حركتها يأخذ كل موضع من الارض حظا من شعاعها و حرارتها قال صاحب الفلسفة الحقة وجود الشمس ضرورى لاعطائنا نورا نمشى به فى مناكب الارض فلولاه لكانت الحياة كعدمهاوقال لولا وجود الشمس لما عاش على سطح الارض لاحيوان ولانبا ت و قال حكمة غروب الشمس عظيمة جدا فبدونه كانت تستمر ترشق الارض بسهام اشعتها فتسخن هذه الى درجة لاتطاق فيهلك الانسان والحيوان و النبات و الجماد ايضاً و بالتأ مل ترى انها موضوعة على اس من الحكمة ركين جدا لانه بعد غروبها تبتدى الارض فى ارسال الحرارة المكتسبة منها بطريقة مستمرة حتى لايكون

الجو بارداً جداً بعد ذهاب الشمس کی لایکون الانسان کالمستجير من الرمضاء بالنار و لاتزال ترسل تلك الاشعةالحرارية المعتمة بطريقة محكمة فلاتبذر تبذيراً اولاتقترتقتيرا الى ان تشرق الشمس فى اليوم التالى فتحصل النتيجة السابقة وقال حجة الاسلام انظر كيف سخر الله الشمس و كيف خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة الارض فى وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحرعند الحاجة الى الحر فهذه احدى حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان تحصى ثم النبات اذا ارتفع عن الارض كان فى الفواكه انعقاد و صلابة فتفتقر الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه و يصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذالك لوكانت الاشجار فى ظل يمنع شروق الشمس و القمر و سائر الكواكب عليها لكانت فاسدة نا قصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد اذاظلتها شجرة كبيرة وللقمر اثرعظيم فى المد و الجزر فانظر الى قدرة الله تعالى كيف خلق الشمس و القمروجعل لنا فيها مصالح شتى فقال الله تعال(و سخر لكم الليل و النها ر و الشمس و القمر) اى جعل تصريف الشمس و القمر فى حركاتها و دورانها حسب مايترتب عليه منافعنا و مصالحنا فسبحان المدبر الحكيم فبدائع الفطرة و عجائب الخلقة فى الاجرام السماوية اكثر و اعظم من عجائب دنيانا و خلقنا فلهذا قال الله تعالى (لخلق السموات و الارض اكبر من خلق الناس) وقال الله تعالى فى سورة الانعام (و جعل الليل سكنا و الشمس و القمر حسبا نا ذالك تقد ير العزيز العليم و هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوابها فى ظلمات البر والبحر قد فصلنا الايات لقوم يعلمون) جعل الله حركات الشمس والقمر بحسبان معين فهما يجريان بحسبان فنستدل بحركتهما و دورانهما على الاوقات فنعرف حساب السنين والا شهر والا يام بسببهما ثم قال الله تعالى (وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بهافى ظلمات البر و ا لبحر) قال صاحب الفلسفة الحقة فائدة النجوم الا هتداء بها فى ظلمات البحار و قطع امتداداتها فلولا ها لماامكن المواصلات بين البلدان السحيقة التى يترتب على اتصالها ببعضها قيام اود الحياة على هذه الكرة و قال الامام فخرالدين من الدلائل الدالة على كمال القدرة والرحمة والحكمة هوانه تعالى خلق هذه النجوم لمنافع العباد و هي من وجوه (الاول) انه تعالى خلقهالتهتدى الخلق بها الى الطرق و المسالك فى ظلمات البر و البحر حيث لايرون شمسا ولاقمرا لانهم عندذالك يهتدون بها الى المسالك و الطرق التى يريدون المرور فيها (الثانى) و هو ان الناس يستدلون باحوال حركة الشمس على معرفة اوقات الصلاة و يستدلون باحوال الكواكب

فى الليالى على معرفة القبلة و سائر المصالح الدينية والدنيوية .

(الثالث) انه يمكن ان يقال ان المعطل بنفى كونه تعالى فاعلا مختاراً فهوتعالى خلق هذه النجوم ليهتدى بها فى اثبات ذالك لانا نشاهد هذه الكواكب مختلفة فى صفات كثيرة فبعضها سيارة و بعضها ثابتة و الثوابت بعضها فى المنطقه و بعضها فى القطبين و ايضا الثوابت لامعة و السيارة غير لامعة و ايضا بعضها كبيرة درية عظيمة الضوء و بعضها صغيرة خفية قليلة الضوء وايضا قدروا مقاديرهاعلى مراتب كثيرة اذا عرفت هذا فنقول ان الاجسام متماثلة و متى كان الامر كذالك كان اختصاص كل واحد منها بصفة معينة دليلا على ان ذالك ليس الابتقدير الفاعل المختار (انتهى من كلامه) ثم قال الله تعالى (قدفصلنا الايات لقوم يعلمون) اى قد بينا الايات الدالة على قدرتنا لقوم يتفكرون فى نظام الكون و اتقانه فيستدلون به على قدرة الخالق و وجوده

الاستدلال بالرياح والسحاب والمطر على وجود الخالق على مقتضى ماتدل عليه الايات القرآنية

قال الله تعالى فى سورة الروم (و من آيا ته ان يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته و لتجرى الفلك بامره و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون)المراد بالرياح المبشرات ـ المبشرات بالمطراوبصلاح الاحوال فالرياح فيها فوائد كثيرة فهى التى تسوق السحاب بقدرته تعالى و تثيره كما قال الله تعالى (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً) فلولم تكن الرياح لنتنت الدنيا و ظهرت الامراض الوبائيه ولهامنافع كثيرة فى الخصب و نزول المطرفلهذا قال الله تعالى (وليذ يقكم من رحمته) اى من نعمته وهى المنافع التابعة للرياح ثم قال الله تعالى (ولتجرى الفلك بامره و لتبتغوا من فضله) اى وجعل الرياح لتجرى الفلك اى السفن بارادته لتبتغوا من فضله بتجارة البحر فلولا الرياح لوقفت حركة السفن فتتعطل تجارة البحر و السفر الى الجهات البعيدة ثم قال الله تعالى فى سورة الجاثية (وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) قال الامام فخر الدين الرازى وجه الاستدلال بالرياح انها مخلوقة على وجه يقبل التصريف و هوالرقة واللطافة ثم انه سبحانه وتعالى يصرفها على وجه يقع به النفع العظيم فى الانسان و الحيوان و النبات و ذالك من وجوه احدها انها مادة النفس التى لوانقطعت ساعة عن الحيوان لمات و قيل فيه ان كل ما كانت الحاجة اليه اشد كان وجدانه اسهل و لما كان احتياج الانسان الى الهوا اعظم الحاجات حتى

لو انقطع عنه لحظة لمات لاجرم كان وجدانه اسهل من وجدان كل شئ و بعد الهواء الماء فان الحاجة الى الماء ايضا شديدة دون الحاجة الى الهواء فلا جرم سهل ايضاً وجدان الماء ولكن وجدان الهواء اسهل لان الماء لابد فيه من تكلف الاغتراف بخلاف الهواء فان الالات المهيئة لجذبه حاضرة ابدا ثم قال فثبت ان كل ماكان الا حتياج اليه اقل كان و جدانه صعبا و ما ذاك الا رحمة منه تعالى على عباده ثم قال و ثانيها لولا تحرك الرياح لماجرت السفن و ذالك مما لا يقدر عليه احد الا الله فلو اراد كل من فى العالم ان يقلب الريح من الشمال الى الجنوب و اذا كان الهواء ساكنا ان يحركه لتعذر وكرة الارض محاطة بطبقة من الهواء و هو مركب من عنصرين احد هما الا وكسيجين و ثانيها الهيدروجين ويختلط بالهواء شى من حمض الكربون و قليل من بخار الماء فالاوكسيجين هو غاز لالون له ولارائحة و لاطعم وهو الجزء الضرورى لحفظ حياة جميع الكائنات الحية فيحتاج اليه الانسان و الحيوان والنبات فى تنفسه وهوسبب الاحتراق و لولا وجوده لما امكن ايقاد النيران و فى الهواء جزء من غاز الازوت لالون و لارائحة و لاطعم له وهو اخف من الهواء ولولاه لاحترق الانسان فى حال التنفس لانه يلطف فعل الاوكسيجين المحرق و وجوده ايضا ضرورى لتغذية النباتات و النباتات تغتذي من حمض الكربون الموجود فى الهواء بواسطة اوراقها و جميع اجزائها الخضراء فتأخذ كربونه لتكوين انسجتها ثم يخرج منها على حالة الزفير الاوكسيجين ليستنشقه الحيوان و النبات فالانسان والحيوان تاخذ الاوكسجين فى حالة تنفسها وتحوله الى حمض الكربون وتخرجه منها على هذه الحالة ليكون غذاء للنباتات فتتغذى النباتات منه فانظر الى قدرة الخالق و حكمته كيف يهيئ الغذاء للانسان و النبا تات من اجزاء محرقة كالاوكسجين و جزء سام كحمض الكاربون وهذه الحكمة من انواع تصريف الله تعالى للرياح ايضاً

قال الله تعالى فى سورة الحجر (وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه و ما انتم له بخازنين) .

اللواقح معناه الحوامل لان الرياح تحمل السحاب من لقحت الناقة اى حملت وقوله تعالى فانزلنا من السماء ماء اى انزلنا من السحاب التى تحمله الرياح ماء ومعنى قوله فاسقيناكموه اى جعلناه لكم سقيا بعد ماكان الماء المتجمع فى السحاب بخارا فجعلناه ماء و انزلناه الى الارض بصفة قطرات من المطر اى حولنا البخار المتكاثف الى مطر بقدرتنا وقوله (وما انتم له بخازنين) اى انتم لا تقدرون على خزنه فى السحاب و انزاله بصفة

المطرالی الارض بل نحن القادرون علی ایجاده و خزنه فی السحاب و انزاله و قیل ما انتم بخازنین له بعد ما انزلناه الی الا بار و العیون بل نحن نخزنه فیها لنجعلها سقیا لکم وقال الله تعالی فی سورة الحج (الم تران الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطیف خبیر) قال الامام فخرالدین اراد انه رحیم بعباده و لرحمته فعل ذالك حتی عظم انتفاعهم به لان الارض اذا اصبحت مخضرة و السماء اذا امطرت کان ذالك سببا لعیش الحیوانات علی اختلا فها اجمع و معنی خبیر انه عالم بمقادیر مصالحهم فیفعل علی قدر ذالك من دون زیادة و نقصان .

قال تعالی فی سورة النور الم تر ان الله یزجي سحاباً ثم یؤ لف بینه ثم یجعله رکاما فتری الودق یخرج من خلاله و ینزل من السماء من جبال فیها من برد فیصیب به من یشاء و یصرفه عمن یشاء یکاد سنا برقه یذهب بالا بصار)

الازجاء السوق قلیلا قلیلا و الرکم جمعك شیئا فوق شئی حتی تجعله مرکوما و معنی الا یة ان الله یسوق السحاب برفق و سهولة ثم یؤلف بین اجزائه ثم یجعله رکاما ای متراکما بعضه فوق بعض فتری المطر یخرج من خلاله فهذه الا حوال کلها تدل علی وجود مدبر حکیم ینشئی السحاب من الماء ثم یسوقه الی محل مخصوص و یؤلف بین اجزائه فیجعله متراکما و ینزل منه المطر فی ای محل شاء و قوله (وینزل من السماء من جبال فیها من برد) ای ینزل الله الثلوج من السماء بصفة قطع صغیرة ولوکانت القطع کبیرة لهلك الناس فینزل الله الثلوج وهی تحدث من امتزاج هواء بارد جدا باخر حار نسبة و بما ان برودة الهواء البارد کافیة لتحویل بخار الغیوم حالا الی مادة جامدة فهي تبلوره فیسقط بصورة قطع صغیرة بقدرة الله تعالی لئلا یکون سببا لهلاك البشر قوله (فیصیب به من یشاء و یصرفه عمن یشاء) ای یصیب بماینزل من البرد من یشاء و ینجو من غائلته من یشاء ثم قال الله تعالی (یکاد سنا برقه یذهب بالابصار) ای یخطفها من فرط الاضاء ة قال الامام فخر الدین وجه الاستدلال بقوله یکاد سنا برقه یذهب بالابصاران البرق الذی یکون صفته ذالك لا بد وان یکون ناراعظیمة خالصة و النار ضد الماء و البرد فظهوره من البرد یقتضی ظهور الضد من الضد و ذالك لایمکن الا بقدرة قادر حکیم فسبحان من یخرج الماء و النار و الظلمة من شئی واحد .

وقال الله تعالی فی سورة عبس (فلینظر الانسان الی طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقاً فانبتنا فیها حبا و عنباً و قضباً و زیتونا و نخلا و حدائق غلبا وفاکهة

وابا متاعالكم ولا نعا مكم) يقول اللهتعالى (فلينظرالانسان الى طعامه) الذى يعيش منه كيف دبر الله امره فهو موضع اعتبار فهيأ الله بانزال المطر من السماء قال انا صببنا الماء صبا قال الامام فخر الد ين انظر فى انه كيف حدث الغيث المشتمل على هذه المياه العظيمة وكيف بقى معلقا فى جو السماء مع غايه ثقلة وتامل فى اسبابه القريبة والبعيدة حتى يلوح لك شئ من آثار نور الله و عدله و حكمته و فى تدبير خلقه هذا العالم ثم بعد انزال المطر شق الارض بحكمته فانبت فيها الحب و العنب و القضب و الزيتون والنخل و غيرها من النباتات لتكون غذاء و طعاما للاحياء الموجودين على وجه الارض و لنا فى عالم النباتات ايات بينات تدل على وجود البارى بكل وضوح فمنذ نشأ العالم فى كل لحظة تندفق الى الهواء من تنفس الحيوان و اعمال اخرى طبيعية مقادير عظيمة من الحامض الكربونيك وهو سم يفنى المصدر الحيوى و لماكان وجود الحامض الكربونيك فى الهواء مضراً لزم وجود ماينزعه منه لكى تسلم حياة الحيوان المتنفس فلذالك جعل فى النبات خاصية عجيبة فانها تحل الحامض الكربونيك الى جوهرين هما الاوكسجين والكربون و تمص هى بعد الحل المذكور الكربون فقط و تترك الاوكسجين سابحا فى الهواء ليتنفسه الانسان فيطهر به دمه و قداثبت التحليل الكيماوى ان اجزاء الهواءلم تتغيرقط فى نسبها منذ نصف جيل .

استدلال الحكماء والعلماء بوجود الكائنات على وجود البارى

سنقدم لك المحادثة التي جرت بين سقراط و ارستوديم

قال سقرا ط لارستوديم قل لى أبوجد رجال تعجب لمهارتهم و جمال صنائعهم فقال له نعم حقيقة .

(سقراط) اخبرنى عن اسمائهم

(ارستوديم) اعجب فى الشعر ـ القصصى بهوميرو و فى المراثى بسفوكيل و فى صناعة التصاوير بزوكسيس و فى صناعة التماثيل ببولكتيت .

(سقراط) اي الصناع فى نظرك اولى بالاعجاب أالذي يخلق صورا بلا عقل ولا حراك لها ام الذي يبدع كائنات ذات عقل و حياة ـ

(ارستوديم) و حق جوبيتر ان اولاها بالاعجاب هوالذي يبدع الكائنات المتمتعة بعقل و حياة اذا لم تكن هذه الكائنات من نتائج الاتفاق .

(سقراط) و لكن اي الكائنات اولى ان تعتبرها من نتائج الاتفاق اومن نتائج الادراك أالتى غايتها ظاهرة ام التى منافعها مشكوك فيها .

(ارستوديم) من العدل ان اقول ان الكائنات ذات النفع هي اولى بان تنسب الى عمل الادراك .

(سقراط) الاترى ان الذى فطرالناس قد اعطاهم ما لديهم من الاعضاء لغايات و مقاصد خاصة فاعطاهم الاعين للنظر والاذان للسمع و ماذا كانت تجدينا الروائح ان لم تكن لنا انوف و هل كنا نشعر بمرارة المر و حلاوة الحلو ان لم تكن لنا السنة تميز بين هذه الطعوم ثم الاترى من دلائل التبصر و الحيطة ان تكون الاعين لرقتها و سهولة تأثرها قد متعت باجفان تقفل و تفتح بالارادة و تنسدل على العينين وقت النعاس و قد حليت اطرافها باشبه شئ بالغربال من الرمش ليحميها شر الرياح و ان الحواجب قد وضعت لتمنع تساقط العرق اليها و ان الاذان خلقت قابلة لتمييز جميع

الاصوات بدون ان تمتلى قط الى ان قال كل هذه الاعمال التى تدل على تبصر و احتياط الى اي شئ تعزوها الى الاتفاق ام الى الادراك .

(ارستوديم) لا وحق جوبيتر ان هذه الاعمال اذا نظر اليها الانسان تدل على انه قد صنعها صانع يحب الكائنات الحية .

(سقراط) و ماذ اتقول فى الميل المودع فى النفوس للتناسل و فى الحنان المخلوق فى قلوب الامهات للهيمنة على فلذات اكبادهن و فى الخوف الموجود فى تلك الكائنات من العطب .

(ارسنوديم) لاشك ان كل هذا يدل على انه اختراع كائن قرر خلق الحيوانات

(سقراط) اتعقل انك وحدك قد تحليت بعقل و ادراك و انت كما تعلم لاتقارن بشئ من الوجود و ان هذه المخلوقات كلها المتمتعة بادراك مثلك لاتحتاج لعقل يرتب علاقتها و يقيم امرها على قاعدة النظام .

(ارستوديم) انا انكر ذالك و حق جوبيتر فانى لا ارى ذالك الصانع كما ارى الصناع من الناس .

(سقراط) انک لاترى كذالك روحك التى تتسلط على اعضائك فهل تستطيع ان تقول ان جميع افعالك صادرة بلا عقل وادراك بل بالاتفاق فكانت نتيجة هذه المجادلة اعتراف ارستوديم بوجود الصانع اه (تعريب الدكتور محمد فريد و جدى)

استدل الحكيم افلاطون على وجود الخالق بالبرهان الذي يدعى بالسببى فقال فى كتابه المسمى يتميه (من البديهى ان كل حادث له سبب احدثه و لا يعقل وحدوث شئ بلا سبب و من المعلوم بالضرورة ان العالم حادث لانه مشاهد و محسوس و مادى وكل هذه الصفات محسوسة فيه و لماكان كل ماهو محسوس ممكن ادراكه بواسطة الحواس فهو حادث و مصنوع فيكون الوجود وهو اجمل الاشياء الحادثة له سبب احدثه هو اكمل الاسباب كلها

(رأي الفيلسوف ديكارت فى الله) استخلص ديكارت من نفسه و تفكيره وجود الله و اتى ببراهين ثلاثة على وجوده فقال .

(١) انا موجود و لست كاملا فانا لم اوجد ذاتى فاذاً الله موجدي فهو موجود .

(٢) ان ذاتى مدركة للكمال فالذات الكاملة هي التى اوحت الى بوجودها فالله

اذاً موجود بكماله لانني لوكنت السبب فى و جودى لما تصورت فى نقصاً و لاعطيت ذاتى الكمال مع الوجود .

(٣) الوجود ملازم للكمال و تصورالكمال يتضمن الوجود الحاضر الذي هو فى الكمال فاذاً الذات الكاملة موجودة .

و قد كتب العلامة الدكتور فريد و جدي فقال يقول ديكارت ان عندي شعورا بوجود ذات كاملة لا يفترق فى الوضوح عن شعورى بان مجموع زوايا اي مثلث تساوى زاويتين قائمتين اذن فالله موجود .

قال العلامة فريد و جدي لما وصل ديكارت الى هذا الحد اراد ان يبرهن ان سعوره بوجود تلك الذات الكاملة لم يأته من التفكر الشخصي بل اتاه من تلك الذات الحقيقية الخارجة عنه فقال (ان لفظة الله ان لفظت بها فانما اعنى بها هيولى لانهاية لها ازلية دائمة مستقلة عالمة بكل شئ و قادرة على كل شئ وانى انا و جميع العوالم الموجودة مخلوقة لها و ناتجة منها و هذه معارف جمة كلما تأملت فيها بدقة ازددت اعتقادا بانى لم استنبط الشعور بوجود الله من ذاتى وحدها و عليه فيجب ان استنتج من ذالك ان لله وجوداً مستقلا و ان شعوري بوجود هيولى غير متناهية لايمكن ان يكون اصله فى ذاتى انا ذالك الكائن المتناهي بل غرست فى ذاتى من قبل هيولى غير متناهية فى الحقيقة .

براهين فنيلون الفيلسوف العظيم فى وجود الله

قال فى كتابه وجود الله علمت ببحثى فى نفسي انى لم اخلق ذاتى لان ايجاد الشئ يقتضي الوجود قبله فيلزم على ذالك انى كنت موجوداً قبل ان اوجد وهو تناقض صريح فهل انا موجود بذاتى فلاجل ان اجيب على هذا السوال يلزمني ان اعرف ماذايجب ان يكون عليه الكائن الموجود بذاته يجب ان يكون ازلياً ثابتاً لانه يكون حاصلا من ذاته على علة وجوده ولا يكون محتاجا لشئ من الخارج عنه فكل مايمكن ان ياتيه من الخارج لايعقل ان يتحد به ولا ان يكمله لان الحادث المتغير لايمكن ان يتحد مع الموجود لذاته الذي لا يقبل التغير فالفرق بين هاتين الطبيعتين يجب ان يكون لانهاية له اذن فلا يمكنهما ان يولفا مجموعا حقيقيا اذن فالموجود بذاته لايمكن ان يزاد شئ على حقيقته ولا على رحمته ولاعلى كماله فهو فى ذاته كل مايمكن ان يكون ولايجوز عليه ان يكون اقل مما هو عليه فالموجود على هذه الحالة هو على ارقى درجات الوجود

وبقى على ان اسأل هل الشئ الذي اسميه (انا) الذي يفكر و يعقل و يدرك ذاته هو تلك الذات غير المتغيرة ام لا ان الشئ الذي اسميه انا بعيد جدا عن الكمال المطلق فانا اجهل وانخدع واشك و يكون احيانا هذا الشك الذي يعد نقصا من احسن ما يجب على الاتصاف به و ما هواشد من ذالك انى قد اريد ولا اريد فارادتى تتذبذب ولا تستقر على حال فتناقض نفسها بنفسها فهل يصح ان اعتقد فى نفسي الكمال المطلق وانا فى وسط هذه التقلبات و النقائص فى وسط هذه الجهالات والا ضاليل غير الارادية بل والارادية ايضا اذن فلست انا الكامل كمالا مطلقاولست انا القائم بنفسي فلابد اذن من قيوم اوجدنى واذا كان غيري اوجدنى فلابدان يكون موجودا بذاته و يلزم من ذالك ان يكون كا ملا كمالا مطلقا فهذا الكاين القائم بذاته و الذي انا قائم به هو الله .

وله برهان آخر مؤداه . انى وان كنت محدودا منتهيا الا انى احمل فى ذاتى شعورا بلا نها ية و بكمال لاحدله فمن اين حدث لى هذا الشعور الذي يعلو مداركى و يدهش لى احيانا هل حدث من العدم ؟ لاشئ ماهو محدود يستطيع ان يبعث فى هذا الشعور لأن المحدود لايشعر بغير المحدود و ما لاشبهة فيه انى لم اوجد لنفسي هذا الشعور لانى انا ايضا محدود و متناه فلامناص اذن من ان نستنتج من هذا ان الذي او جدلى هذا الشعور هوالموجود الذي لانهاية لكماله وهوالله .

براهين برسويت الفرنساوى على وجودالله قال ليس علينا الاان ننظرالى انفسنا لنتحقق اننا صادرون من اصل رفيع نرى انفسنا اهلا لأن نفهم الاشياء و ندرك الموجودات وانهاقد تجهل بعضها فنشك فيها اونرى الاحوط لها ان لاتحكم عليها بحكم حتى تصل منها الى حقيقة ما وما ذالك الا لانها تعتقد ان بها نقصا يمنعها الوصول الى الحقيقة المطلقة و اذا كان فى الوجود عقل ناقص يشك و يتردد ويجهل وهو مع ذالك موجود فمن باب اولى يكون موجوداً فيه عقل كامل ليس عقلنا منه الاقطرة بحر اوشعاع من شمس لانه ما لايعقل ان نكون نحن و حدنا المتمتعين بعقل وادراك و يكون الوجود العظيم كله خاليا منهما اذيقال انه اذاكان الوجودكله مكونا من مواد صماء عمياء لاعقل لها و لاادراك فمن اين نشأ للانسان هذا العقل والادراك وفاقد الشئ لايعطيه كما هو معلوم اذن فلابد ان يكون فى الوجود عقل مطلق و ادراك لاحدله . ولبرسويت برهان آخر وهو كل ما هو ثابت فى العلوم الرياضية وفى العلوم الاخرى يجب ان يكون من النظام الازلى الثابت هذه الحقائق كانت و ستكون على ممر الاحقاب حقائق مقررة و لورآها الانسان فى اي زمان وفى اي مكان لاعتبرها كذالك على الاطلاق لانه ليست حواسنا هي التى ترينااياها

على هذه الصفة بل لانهاهى فى الوا قع كذالك ولواتفق تلاشى الوجودكله و بقيت أناوحدي فلا ازال اتصور تلك الحقائق واعتقدها حقائق وانها كانت حسنة نافعة ولوزلت انا ايضا وزال كل عاقل فى العالم فلم ينقص ذالك من قدر تلك الحقائق ولم يخرجها عن كونها كانت حقيقة نافعة ، فاذابحثت الان عن الذات التى تتركز فيها هذه الحقائق از لية ابدية كما هى فى الواقع كنت مضطرا لاعتقاد بوجوب وجود كائن مستقرة فيه كل هذه الحقائق و مدركة لديه و هذا الكائن يجب ان يكون هو الحقيقة بعينها بل منه تشرق الحقيقة ذاتهاعلى كل موجود .

اذا تقرر هذا فمن الحقائق المقررة الازلية التى ادركتها حقيقة جليلة القدر وهى انه يوجد فى العالم شئى موجود بذاته وهو ابدى لايدركه تحول ولا يعتريه تبدل لانه لوفرضنا انه كان وقت ليس فيه شئى مطلقا فى العالم اي لاشئى قائم بغيره ولا شئى قائم بنفسه من القدم فلم يكن غير العدم والعدم لا يصلح لايجاد شئى فلا يصح ان يقال ان العدم حقيقة ابدية وانه لا حق الى الابد الا العدم اذن فلابدان يكون فى الوجود شئى كان قبل كل شئى فيه من الازل وفيه تركزت جميع الحقائق الكونية وان تلك الحقائق الابدية التى تدرك بالنظر فى الوجود بلا تحول ولا تبدل هى صادرة من الله اوبعبارة احسن هى الله نفسه لان جميع الحقائق الابدية ليست فى الواقع الاحقيقة واحدة .

براهين ليبنتز الفيلسوف الالمانى المشهور

قال العلامة فريد وجدى ارتضى ليبنتز من براهين ديكارت على وجود الخالق برهانه الذي رمى به الى ضرورة وجود كائن واجب الوجود وله برهان آخر وهو ان الله هوالعلة الاولى لوجود الاشياء لان كل ماهو محدود ومتناه ككل شئى تقع عليه انظارنا وتتأثرله مشاعرنا هو من الممكنات اي ليس بضرورى الوجود فقديوجد اولايوجد وليس فى احدها شئى يوجب له الوجود بذاته و الزمان والمكان والمادة المتحدة فى ماينها تستطيع ان تقبل حركات و صورا من نوع آخر غير النوع الحالى اذن يجب البحث عن الاولية لوجود العالم الذي هو مجموع هذه الكائنات الممكنة يجب البحث عنها فى الهيولى التى تحمل معها علة وجودها فهي واجبة الوجود و الازلية يجب ان تكون هذه العلة عاقلة لان الكون الموجود لماكان ممكنا اى قديكون ولايكون وفى الامكان حدوث دنياوات اخرى من نوعه فيلزم من ذالك ان تكون علة الوجود محيطة بعلاقات اجزائه

قبل ان تتمكن من احداث دنيا جديدة فيه ويكون تحديد تلك الدنيا على حال مناسب للمجموع فعل ارادة و اختيار ولاشئ يجعل تلك الارادة فعالة الا القدرة التى لها وهذه العلة الحكيمة يجب ان تكون غير محدودة ولامتناهية من كل وجه وكاملة كمالامطلقاً من حيث القدرة والحكمة والرحمة ولماكان الوجودكله مرتبطا ببعضه و مفرغا فى قالب واحد فلاسبيل لفرض وجود علة ثانية معها .

براهين ارسطو فى اثبات الخالق

قال ارسطو فى اثبات الخالق : الجوهر على ثلاثه اضرب اثنان طبيعيان و واحد غير متحرك ولا يوجد الا ثلاثة انواع من الكائنات وهى الكائن الذي يحركه محرك والكائن الذى يعطى الحركة للمتحرك والكائن الوسط بين المتحرك والمحرك وهوكائن يجب ان يهب الحركة ولا يتحرك هو فهو ابدي ازلى اصل لغيره منزه فعال مؤثر واذا وجدنا المتحركات على اثر اختلاف جهاتها واوضاعها ولابد لكل متحرك من محرك فاماان المحرك يكون متحركا فيتسلسل القول ولا ينحصر والا فيستند الى محرك غير متحرك ولايجوز ان يكون فيه معنى ما بالقوة فانه يحتاج الى شئى آخر يخرجه من القوة الى الفعل فالفعل اذن اقدم على مابالقوة وكل جائز وجوده ففى طبيعته معنى ما بالقوة وهوالامكان والجواز يحتاج الى واجب به يجب وكذالك كل متحرك فيحتاج الى محرك فواجب الوجود فذاته ذات و جودها غير مستفادعنه بالفعل و جائز الوجودله فى نفسه و ذاته الامكان (اثبات ارسطوالوحدانية) ثم قال فمحرك العالم واحدلان العالم واحد ولوكان كثيراً لحمل واجب الوجود عليه ماعلى غيره بالتواطوء فيشملها جنسا و ينفصل احدهما عن الاخر نوعا فتتركب ذاته من جنس وفصل فيسبق اجزاء المركب على المركب سبقا بالذات فلا يكون واجبا بذاته ثم قال ان واجب الوجود هو عقل لذاته لانه مجرد عن المادة منزه عن اللوازم المادية فلا تحتجب ذاته عن ذاته اما كونه عقلا لذاته فلانه مجردلذاته فهو يعقل ذاته و من ذاته يعقل كل شئى فهو يعقل العالم العقلى دفعة واحدة من غير احتياج الى انتقال و تردد من معقول الى معقول وانه ليس يعقل الاشياء على انها امور خارجة عنه كما نعقلها نحن بل يعقلها من ذاته وليس هوعاقلا و عقلا بسبب وجودالاشياء المعقولة بل الامر بالعكس اي ان عقله للاشياء قد جعلها موجودة وليس له شئى يكمله فهو كامل بذاته مكمل لغيره ولماكان هولم يزل ولن يزال موجودابالفعل فيجب ان يكون له من ذاته الامر الاكمل الافضل .

براهين العلامة الشهير اسحاق نيوتن على وجود الخالق

هو اكبر علماء الفلك فى عصره من الانجليز جعل قاعدة فلسفته النظر فى خواص المادة واستنتج من ذالك عقيدة وجود الخالق و معرفة صفاته لما اشتهر نيوتن ببعد النظر وقوة الاقناع سأله الناس ان يؤتيهم بدليل على وجود الخالق يكون فى درجة المحسوسات فاجابهم قائلا

لاتشكوا فى وجود الخالق فانه مما لايعقل ان تكون الضرورة وحدها هى قائدة الوجود لان ضرورة عمياء متجانسة فى كل مكان و فى كل زمان لايتصور ان يصدر منها هذا التنوع فى الكائنات ولاهذا الوجود كله بما فيه من ترتيب اجزائه وتناسبها مع تغيرات الازمنة والا مكنة بل ان كل هذا لا يعقل ان كان يصدر الا من كائن اولى له حكمة وارادة و قبل ان نذكر لك براهين نيوتن استحسنا ذكر بعض الاشياء المتعلقة بالسموات والارض و بعض النواميس الطبيعية كالجاذبية وغيرها ليسهل على قارى هذا الكتاب فهم براهين نيوتن لانها متوقفة على معرفة الطبيعيات والفلك لان كثيراً من علمائنا يجهلون الطبيعيات و علم الفلك فتفيدهم المعلومات الاتيه لفهم الحجج الدامغة التى ذكرها نيوتن لاثبات الخالق بالدلائل الحسية

اعلم ان سائر الاجرام السماوية كالكواكب والسيارات تدور بمقتضى مبدإ ثابت هو سبب انتظام العوالم الشمسية والارضية فى حركاتها العلوية والسفلية و قد هتك حجاب هذا الناموس العظيم العلامة نيوتن فقرر كما ان سائر الاجسام ذات الوزن تتجه الى مركز الارض كذالك الاجسام العلوية التى يتألف منها النظام الشمسي تميل باتجاه عام الى نحو الشمس فالارض تجذب اليها جميع الاشياء بقوة الجذب وهى علة سقوط الاجسام نحوها و تنجذب نحو اجرام اخرى وكذالك الشمس تجذب اليها جميع الاجرام السماوية التى يتألف منها النظام الشمسى وهذه الخاصية تسمى بالجاذبية العامة و لكن لوكانت هناك القوة الجاذبة وحدها لدنت جميع الاجسام من الشمس وسقطت فيها فتبين لنيوتن بعد البحث ان هناك قوتين احداهما القوة الجاذبة وهى التى تجذب الكواكب نحو الشمس والاخرى تسمى القوة الدافعة وهى التى تدفع الاجسام اوالكواكب عن الشمس وتسمى القوة الطاردة عن المركز اوقوة التباعد عن المركز فاذا كانت القوتان متعادلتين فانهما تتكافأن وتبقى الاجرام حافظة لمواقعها فى الفضاء بالنسبة للشمس فارضنا كرة معلقة فى الفضاء وهكذا الشمس والقمر وسائر الكواكب

وتبقى هذه الاجسام معلقة فى الفضاء بقوة الجذب والدفع فالارض تجذب الشمس و بقية الكواكب والشمس تجذب الارض فيجذب بعضها بعضا كانها مرتبطة بحبال وقدوضعها الباري سبحانه و تعالى على ابعاد متناسبة بحيث يكون تجاذبها واسطة لتوازنها وقانون الجذب العام الذي قرره هذا العالم هو ان الاجسام تتجاذب تجاذبا طرديا بالنسبة لاحجامها و عكسيا بالنسبة لمربع المسافة بينها و بمقتضى هذا الناموس تدور حول الشمس الكواكب الثمانية وهى عطارد الزهرة الارض المريخ المشتري زحل اورانوس نبتون وبلوتو وحول كل من هذه السيارات تدور نجوم صغرى تدعى بالنجيات وكلها خاضعة لناموس الجاذبية وللارض منها نجمة وهوالقمر وسأكتب فصلا مستقلا اشرح فيه حقيقة القوى الجاذبة والطاردة بالتفصيل والان اشرح لك حجج نيوتن فى اثبات الخالق بالبراهين الحسية قال نيوتن من المحقق ان الحركات الحالية للكواكب لايمكن ان تنشأ من مجرد فعل الجاذبية العامة لان هذه القوة تدفع الكواكب نحوالشمس فيجب لاجل ان تدور هذه الكواكب حول الشمس ان توجد يد الهية تدفعها على الخط المماس لمداراتها ثم قال من الجلى الواضح بانه لايوجد اي سبب طبيعى استطاع ان يوجه جميع الكواكب وتوابعها للدوران فى جهة واحدة و على مستوى واحد بدون حدوث اى تغير يذكر فالنظر لهذا الترتيب يدل على وجود حكمة سيطرت عليه ، ثم انه لايوجد سبب طبيعى استطاع ان يعطى هذه الكواكب و توابعها هذه الدرجات من السرعة المتناسبة تناسبا دقيقاً مع مسافتها بالنسبة للشمس ولمراكزالحركة تلك الدرجات الضرورية لان تتحرك هذه الاجرام على مدارات ذات مركز واحد مشترك بين جميعها فلاجل تكوين هذا النظام مع جميع حركاته يجب وجود سبب عرف هذه المواد وقارن بين كميات المادة الموجودة فى الاجرام السماوية المختلفة وادرك ما يجب ان يصدر منها من القوة الجاذبة وقدر المسافات المختلفة بين الكواكب والشمس و بين توابعها و زحل و المشتري والارض وقرر السرعة التى يمكن ان تدور بها هذه الكواكب و توابعها حول اجسام تصلح ان تكون مراكزلها اذن فمقارنة هذه الاشياء والتوفيق بينها وجعلها نظاماً يشمل على هذه الاختلافات بين اجزائه كل هذا يشهد بوجوب وجود سبب ليس باعمى ولا بحادث بل ذات علم راسخ بالميكانيكا والهندسة .

ثم قال ليس هذا كل مافى هذه المسئلة فان الله ضرورى ايضا سواء لادارة هذه الاجرام على بعضها وهوالامر الذي لايمكن ان ينتج من مجرد قوة الجاذبية اولتحديد وجهة هذه الدورات لتتفق مع دورات الكواكب كما يرى ذالك فى الشمس والكواكب وتوابعها

بينما ذوات الاذناب تدور فى كل وجهة على السواء ثم قال وغير هذا ففى تكون الاجرام السماوية كيف ان الذرات المبعثرة استطاعت ان تنقسم الى قسمين القسم المضيئ منها انحاز الى جهة لتكوين الاجرام المضيئة بذاتها والقسم المعتم تجمع فى جهة اخرى لتكوين الاجرام المعتمه كالكواكب و توابعها كل هذا لايعقل حصوله الابفعل عقل لاحدله ثم قال كيف تكونت اجسام الحيوانات بهذه الصناعة البديعة ولاى المقاصد وضعت اجزاؤها المختلفة ، هل يعقل ان نصنع العين الباصرة بدون علم باصول الابصار و نواميسه والاذن بدون المام بقوانين الصوت ، وكيف يحدث ان حركات الحيوانات تتجدد بارادتها ومن اين جاء هذا الالهام الفطرى فى نفوس الحيوانات ، الى ان قال وهذه الكائنات كلها فى قيامها على ابدع الاشكال واكملها الاتدل على وجود اله منزه عن الجسمانية حى حكيم موجود فى كل مكان يرى حقيقة كل شئ فى ذاته و يدركه اكمل الادراك فسبحان الخالق المدبر

و فى كل شئ له آية ، تدل على انه واحد

القوة الجاذبة و الدافعة و النظام الشمسى

سنشرح فى هذا الباب حقيقة قوتى الجذب والدفع ببيان واضح لتفهم براهين نيوتن بوضوح تام فنقول يوجد تجاذب عام بين الاجرام الفلكية كما سبق ذكره و تسمى بالجاذبية العامة فالجذب العام هو قوة تنقاد لها جميع الاجسام الفلكية وتتأثربها وتوجد قوة الجذب بين جميع اجزاء المادة فتنجذب اجزاؤها بعضها الى بعض بقوة مناسبة و يظهر من مراقبات الاجسام الارضية والاجرام الفلكية ان الخالق سبحانه وتعالى قد جعل الجاذبية ناموساً عاماً لكل الكون المادى ولذا سميت بالجاذبية العامة فاذا وضعت اجساماً خفيفة كالفلين على وجه الماء وقربت بعضها الى بعض وهى طافية ترى بعضها يجذب البعض بقوة يشعر بها و مثل ذالك الفقاقيع التى تطفو على وجه الماء وكذالك اذا قرب مركب الى آخر يخشى ان يتجاذبا فيتلاطما و اذا علقت رصاصة على جانب جبل ترى واضحاً ميلها عن الخط العمودى على سطح الارض الى جهة الجبل والارض تجذب جميع الاجسام التى عليها بقوة الجاذبية والاجسام الاخرى تجذب الارض اي ان الارض تجذب ما عليها من الاجسام وتنجذب منها ولكن لكبرها وصغر الاجسام التى عليها يظهر انها تجذب الاجسام اليها (وهى علة سقوط الاجسام الى الارض) ولاتنجذب نحوها فكيفما دارت الارض بالاجسام التى عليها تبقى تلك الاجسام لاصقة بهاولا تفلت منها لانها مرتبطة بها بقوة الجاذبية فاذا دارت على محورها او دارت فى فلكها اي حول الشمس تبقى الاجسام ثابتة عليها واذا رمينا جسماعنها

جذبته حالا حتى ترده اليها ولذالك تنزل كل الاجسام الى الارض ولذالك يبقى الهواء محيطاً بها والماء مستقراً فى البحار على سطحها اذهى كلها مرتبطة بها بقوة الجاذبية حتى الطيارات والطيور السابحة فى الهواء تكون مجذوبة نحوالارض وهى طائرة و تعرف جاذبية الارض للاجسام التى عليها بالثقل فالجاذبية هى علةالثقل وسقوط الاجسام عليها وكلما بعد الجسم عن سطح الارض قل ثقله لان الجاذبية تتغير كالبعد عن المركز فلهذا الثقل يتغير كذالك وقدقررنيوتن بان جميع اجزاء المادة تنجذب بعضها الى بعض بقوة مناسبة طردا للجسماتها وعكساً لمربعات ابعاد بعضها عن بعض فالجذب يكون مناسباً للجسمات والابعادفالجسم يجذب الجسم الاخر على مقدار جسمه و بعد كل منهما عن الاخر فاذا صعد انسان فى منطاد (اي البالون) وكان ثقله على الارض ثلاثين رطلا يصير ثقله ستة دراهم فقط اذا علا عنها علوالقمر عن سطح الارض و قوة الجاذبية اوجدها الله تعالى منذ خلق الكون ولم نطلع على ماهيتها الى الان قال الله تعالى (ان الله يمسك السموات والارض ان تزولاولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا) فسرهذهالاية المحقق السكندرى فقال انه تعالى خلق الاجسام و خلق لها قوة التماسك فى اجزائها المفردة و خلق فيها قوة الانجذاب فى جميع الاجرام تقريراًللتوحيد وابطالا للاشراك ونسبوا اكتشاف الجاذبية الى العلامة نيوتن ولكن فى الحقيقة اول من اكتشف هذه القوة هو محمد بن موسى واما القوة الدافعة فهي ضد القوة الجاذبة فالسيارات تبعد عن الشمس بسبب دورانها حولها فتحدث بذالك القوة الدافعة و تبعدها عن مركزالشمس فيجب ان تكون القوتان اي الجاذبة والدافعة متعادلتين لتبقى الاجرام حافظة لمواقعها فاجرام السموات كلها تعادلت بهاتين القوتين فتعلقت فى الخلاء على لاشئى بسبب توازنها قال الله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) قال الغزالى فما من ذرة فى سماء او ارض ولا جماد اوحيوان الا اسست على الميزان و الميزان عبارة عن العدل العام والنظام التام فى السموات و الارض و جميع الاجرام العلوية و السفليه ذات حركات سريعة منتظمة ذات قوانين سارية و تلك القوانين تربط العوالم بعضها ببعض فالشمس جاذبة والارض مجذوبة و القمر تابع فالعالم كله جار بقانون عام يسمى بالجذب بقدرته تعالى شانه و بما ان الشمس كرة عظيمة لهذا تفوق جاذبيتها جاذبية باقى السيارات لذالك كل السيارات تدور حولها وما ارضنا الا سيارة من جملتها وقد اشاراليه سبحانه تعالى بقوله (وكل فى فلك يسبحون) و مايستحق التعجب هو مع ان هذه الاجرام تسير بسرعة فائقة الادراك لاتزال محافظة على مداراتها و حركاتها فهذا دليل واضح على

وجود قوة مدبرة تدبر و تحافظ على نظام العالم ولولا تلك القوة لاختل النظام فان القوة الجاذبة والدافعة لاتكفيان لحفظ نظام العالم كما اوضح ذالك العلامة نيوتن .

براهين الفيلسوف المشهور كلارك الانجليزي

قال لايمكن ان يكون هذا الوجود المادى مستقلا بنفسه الا اذا كان هو واجب الوجود بذاته و لكن مالاشك فيه ان الوجود ليس هو واجب الوجود لانه سواء تأملت فى شكله الظاهري مع قابليات اجزائه وحركاتها المختلفة او اعتبرت مادته التى هو مكون منها بدون التفات الى شكلها الذي هي ظاهرة به الان فلا ارى فيها الا آثار ارادة واختيار فمجموعها فى جملته وكل من اجزائها فى موضعه و حركته و مادته و شكله وبالجملة كل مافيه يظهرلى انه متعلق بغيره غير مستقل و بعيد من ان يكون موجودا بذاته انا اعترف ان الوجود لاجل ان يكون صالحا يجب ان تكون اجزاؤه على الترتيب الذي هي عليه اليوم و لكنى لاارى ان ذالك التركيب وجد بضرورة طبيعية وهى الضرورة التى يستند عليها الملحدون و يدافعون عنها .

يقول الماديون ان نظام الكون لايدل على قصد وانما هي الضرورة التى تقيمه على هذا النمط وهو اعتقاد فاسد لايتفق مع الاصول العلمية فهذه الكواكب السابحة فى الفضاء على مدارات منتظمة تدل دلالة واضحة بانها مقودة بنظام دقيق خلقها الله عن قصد حكيم و جعل لها نظاماً متقناً و حركات منتظمة فهذه النجوم و الكواكب التى تراها فى جو السماء مع انها تسير و تدور بسرعة عظيمة فائقة الادراك لاتزال محافظة بالتمام على مداراتها و حركاتها فهذا دليل واضح على وجود قوة مدبرة تدبر و تحافظ على نظام العالم و ان الضرورة العمياء لاتكفى لحفظ هذا النظام البديع المتقن .

براهين لوك الفيلسوف الانجليزى

قال انه لاجل اثبات الخالق لانرانا فى حاجة الا الى التأمل فى انفسنا وفى وجودنا (جاء فى الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه) فانه مما لامشاحة فيه ان كلا منا يعتقد انه موجود وانه شئ من اشياء الوجود اما الذي يشك فى وجود نفسه فليس لنا معه كلام وانا نعلم ايضا بالبداهة بان العدم لاينتج مطلقا كائنا حقيقيا و من هنا يظهر لنا بوضوح جلى وباسلوب رياضى بانه لابد من ان يكون قد وجد شئ فى الوجود من الازل لان كل ماله بداية يجب ان يكون ناتجا من شئ تقدمه ، و مما لاريب فيه ان كل كائن يكتسب وجوده

من وجود غيره يستمد منه كل ما هو متمتع به من الخصائص والصفات اذن فالينبوع الازلى الذي نتجت منه جميع الكائنات يجب ان يكون هواصل جميع قواها فهو اذن قادرعلى كل شي وغير ذالك فان الانسان يرى فى نفسه قوة على العلم فيجب ان يكون الاصل الازلى الذى نتج منه الانسان عالما لانه لا يعقل ان ذالك الاصل يكون مجردا عن العلم و تنتج منه كائنات عاقلة و مما يناقض البداهة ان المادة المجردة من الحس تمتع نفسها بعقل لم يكن لها من قبل فيجب بالبداهة ان يكون اصل الكون عاقلا بل لاحد لعقله وهو الله تعالى شانه.

براهين جاك روسو الفرنساوى

جاك روسو كان من اشهر فلاسفة الفرنساويين قال فى كتابه (الاعتراف بالعقيدة) ان المادة المحسوسة تكون تارة متحركة و تارة ساكنة واستنتج من ذالك انه لاالحركة ولاالسكون صفة اصلية من صفاتها ثم قال لاولما كانت الحركة عملا فهى نتيجة سبب لوارتفع حدث السكون بعدها فاذا لم يوثر شئ على المادة فلا تتحرك مطلقا وهي لا يعنيها ان تتحرك او تسكن والسكون هو حالتها الطبيعية ثم لاحظ روسو ان هناك نوعين من الحركة حركة وقتية ارادية وحركة قهريه آتية من مؤثر خارجي والتميزبين هذين النوعين من الحركة موسس على التجربة و شهادة الضمير فقال بالحرف الواحد انك لتسئلنى من اين علمت بوجود حركة وقتية فاجيبك بانى علمتها لانى احسست بها فانى اذا اردت ان احرك ذراعى تحرك فى الحال بدون ان يكون لحركته سبب مباشر غير ارادتى ، ثم سأل روسو نفسه عن الحركة المشاهدة فى الوجود هل هي صادرة عن سبب خارج عنه ام هي ارادية فيه فقال من المستحيل ان نفترض بانها ارادية فيه لان هذا الوجود المشاهد ليس فى مجموعه التيام ولا نظام آلى ولاحس عام كما يوجد بين اجزاء الجسد الحي و مما هو محقق اننا و نحن جزء منه لانشعر بشعوره الكلى والوجود فى حركاته المنتظمة المتلائمة الخاضعة لقوانين ثابتة لاتوجدله تلك الحرية التى تظهر فى الحركات الارادية للانسان والحيوان فاستنتج روسو من ذالك ان الوجود ليس بحي فى نفسه يتحرك بذاته و بارادته اذن فحركاته آتية اليه من سبب خارج عنه فقال روسو بعد ذالك ان التجربة والمشاهدة تكشفان لنا نواميس الحركة فى الوجود و هذه النواميس تعين نتائج الحركة ولا تعين اسبابها فالوجود فى رأى روسو لاحركة ذاتية له وانما حركاته كلهامكتسبة من محرك خارج عنه يطبع فيه تلك الحركات على النحوالذى تطبع به ارادتنا الحركات

على اعضائنا المختلفة ثم صعد روسو من السبب الطابع للحركة الى السبب المريد المختار فقال كلما امعنت النظر فى الحوادث التى تحدثها قوى الطبيعة وما يقابلها من رد الفعل و تأملت فى تأثير بعضها فى بعض تحققت من الانتقال من نتيجة الى نتيجة بانه لابد من ان يكون السبب الاولى متمتعا بارادة لان فرض تسلسل الاسباب الاولية الى مالانهاية هو كفرض عدم وجود اسباب اولية بالمرة و بالاختصار كل حركة ليست نتيجة حركة اخرى لا تكون الانتيجة عمل وقتى ارادي ولماكانت الاجسام الجامدة لاتنفعل الابحركات فلابوجد عمل صحيح الابارادة هذا هوالاصل الذي اعتمد عليه فانا اعتقد اذن ان ارادته سبحانه وتعالى تحرك الوجود و تحى موات الطبيعة.

بعد ان اثبت الفيلسوف روسو من استعراض حركات الوجود ان لابد انها صادرة عن قوة وارادة اخذ فى اثبات ان هذه الارادة يمدها عقل وادراك فقال ان التأثير والمقارنة والاختيار هي اعمال كائن موثر و مفكر هذا الكائن موجود ولكنك ستقول لى اين هو فاقول لك انه ليس فقط فى السموات التى يحركها ولا فى الكواكب التى تضئ علينا ولافى ذاتى بل هو يوجد ايضا فى النعجة التى ترعى وفى العصفور الذي يطير وفى الحجر الذي يسقط و فى الورقه التى تستطيرها الريح ، انا احكم بان فى العالم نظاما وان كنت اجهل غايته لانه يكفى فى الحكم على وجود هذا النظام المقارنة بين اجزائه و درس مظاهر تضامنها وعلاقاتها واستعراض نظامها و تلاؤم ابعاضها انا اجهل لم هذا الوجود موجود و لكنى لا اغفل النظر الى كيفية تغيره و ملاحظة هذا التبادل الصميم الذي تتساعد بواسطته اجزاؤه المختلفة فلنقارن بين غاياتها الخاصة و وسائلها و علاقاتها المنظمة فى كل ضرب من الضروب ثم لنسمع صوت ضميرنا الداخلى عن حكمه عليها فاي عقل سليم يستطع ان يرفض شهادته لها واي عين ليس عليها غشاوة لايكشف لها نظام هذا الوجود عن انه صنع حكمة ليس فوقها حكمة و باي سفسطة يستطيع الانسان ان يجحد نظام هذه الكائنات و التضامن العجيب الذي بينها فى حفظ مجموعها و لايوجد فى هذا الوجود كائن لا يمكن اعتباره من بعض الوجوه انه وسط مشترك لجميع امثاله المحتفين به بحيث يظهر للناظر انها جميعا مقاصد و وسائل بعضها لبعض ، ان العقل ليرتبك اذا تأمل فى ان هذه العلائق التى لا تحصى بين الكائنات لاتضيع منها واحدة ولاتختلط بغيرها فى المجموع فما ابعد تلك الفروض عن العقل تلك الفروض التى تزعم ان هذا النظام البديع المتلائم الاجزاء هو نتيجة الحركة العمياء المطبوعة فى المادة بالاتفاق ان الذين يجحدون وحدة القصد الظاهر فى العلائق الموجودة بين جميع اجزاء هذا

الوجود العظيم انما يحاولون عبثا ان يخفوا سفسطتهم تحت استار التجريدات والترتيبات والاصول العامة و العبارات الخيالية فمهما عملوا فمن المحال ان ادرك نظاما للكائنات مستمراً كما ارى ولا ادرك معه تلك الحكمة التى وهبها هذا النظام فلست انا الذى يستطيع ان انتج كائنات حية و ان الضرورة العمياء تستطيع ان تخلق كائنات عاقلة وان مالا يعقل لايمكن له ان يوجد كائنات عاقلة .

شبهات الماديين ودحضها بالبراهين

قال الماديون لايمكن للعقل ان يتصور وجود شئ ليس بجسم ولامادة جسم ولاصورة جسم ولا مادة معقولة ولاله قسمة فى الكم ولا فى الكيف فعله منه وليس متصلا به و يعنون بذالك ذات الله سبحانه و تعالى .

والجواب عن هذه الشبهة هو ان ادراك ذاته سجانه و تعالى المنزه عن الجسم والمادة الذي ليس كمثله شئ محال لقصور مداركنا و قدسبق ذكره و انما نستدل على وجوده بوجود الكائنات ونظامها البديع فقد قال على كرم الله وجهه .

كيفية النفس ليس المرء يعرفها . فكيف كيفية الجبار فى القدم
هو الذي انشأ الاشياء مبتدأ . فكيف يدركه مستحدث النسم

وقال ابوبكر الصديق رضى الله تعالى عنه يا من غاية معرفته القصور عن معرفته وقد قامت ادلة كثيرة على تنزيهه تعالى من الجسمية فاننا نعتقد ان ذاته قديمة ازلية والمادة وخواصها حادثة ولايمكن ان تكون قديمة فلهذا يجب ان تكون ذاته منزه من المادة والجسم نقول لايمكن لنا تصور تلك الذات المتصفة بصفة التنزيه كوجود الباري بلا جسم و مادة جسم لانها خارجة عن دائرة ادراكنا وعدم تمكن عقولنا من تصورها لايلزم منه عدم وجود الشئ المتصف بالخواص المتقدمة وقد جزم فطاحل علماء الطبيعة بوجود اثير مع عدم ادراكهم له بمداركهم الحسية وقالوا ان المادة مركبة من ذرات صغيرة ولم يدركوا تلك الذرات بالحس وقالوا انها مركبة من الكهارب (انظر بحث المادة) ولم يدركوا حقيقتها مع جزمهم بوجود تلك الاشياء الغير المحسوسة فهكذا لا يلزم من عدم ادراكنا لحقائق الاشياء عدم وجودها ومن العجيب ان الماديين يصدقون بل يجزمون بوجود اشياء كثيرة لايقوم عليه دليل عقلى بطريق الحس ويصدقون باشياء مخالفة للعقل البشري كقولهم بحركة المادة من غير محرك و قالوا انها عاملة بالاتفاق اوالمصادفة و يحاولون لاثبات مذهبهم قدر مايستطيعون ان يقنعوا انفسهم بتعليل

خلق الكون بمفروضات طبيعية لم تثبت امام النقد العلمي و لست ادري لماذا يصعب على عقول الدهريين تسليم وجود ذات لايدرك بحواسنا مع وجود دلائل قوية فى خلق الكائنات على وجوده و مع اعترافهم و اعتراف علماء الطبيعة بان حواسنا و عقولنا لاتدرك الاشياء كلها ان هذا هوالضلال المبين .

قال العلامة محمد بيرم ان حكماء المتأخرين الذين و صلوا بالمعارف والتحاليل والالات الى ما لم تبلغه الفلاسفة الاقدمون حتى زيفوا لهم كثيراً من خرافاتهم و بينوا اخطاء هم فهولاء حذاقهم اقروابانه لابد من خالق لماهوموجود اذ مايعللون به كثيراً من الاشياء من قولهم الجاذبية والنواميس الطبيعية قد صرحوابا نها عبارات اصطلاحية والا فحقائقها امور مجهولة يلزم على متبعيها الاعتراف بالصانع انتهى فاذا كنا عاجزين عن ادراك الاشياء المادية و ماهيا تها والقوى الموجودة فكيف يمكن لنا ادراك ذات الباري الذي هوليس بجسم ولا مادة وهومنزه عن جميع الاشياء وهو الذي ليس كمثله شئ وقد تكلمت فى اول الكتاب عن ذات الباري و معرفته فلاحاجة لاعادة البحث ههنا والشبهة الثانية للمادبين هي لايمكن ان يتصور العقل وجود شئ من لاشئ ويراد بذالك حصول المادة من العدم فنقول قداعتقد كثير من الفلا سفة الالهيين حدوث المادة فى الكون بخلق خالق مطلق التصرف فى الكون و مدبرله وقالوا ان الفاعل يوجد الشئ من لا شئ اي من العدم من غيران يحتاج الى مادة ولانمو وخالفهم ابوالوليد محمد بن رشد و تبع مذهب ارسطو وقال ان المادة كانت موجودة منذ الازل والا وجب ان يقال بان العالم صنع من العدم وقال هذا قول لايقبله العلم ولذالك كان ابن رشد يفترض وجود المادة افتراضا اذليس فى الامكان اقامة الدليل عليها وكان المتكلمون الذين يعارضونه يهدمون رأيه بكلمة واحدة وهي قولهم له انك تبنى رايك على افتراض لاعلى برهان و لكن كان ابن رشد يحج مناظريه فى هذا الموضوع بقوله ان ظاهر الايات الواردة فى القران عن ايجاد العالم تثبت رايه فان قوله تعالى (وهوالذي خلق السموات و الارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء) يقضي بظاهره وجوداً قبل هذا الوجود وهو العرش والماء و زمانا قبل هذا الزمان اعنى المقترن بصورة هذا الوجود الذي هو عدد حركة الفلك وقوله تعالى(يوم تبدل الارض غير الارض و السموات) يقضي بظاهره وجودا ثانيا بعد هذاالوجود وقوله تعالى(ثم استوى الى السماء وهي دخان) يقضي بظاهره ان السموات خلقت من شئ و نذكر الان رايه فى نشاة الكون من تلك المادة الازلية و ننقل ما كتبه فى كتابه (ماوراء الطبيعة) فى الفصل الثانى عشر قال (فى خلق الكون رايان متناقضان

و بينهماعدة آراء فالرايان المتناقضان قول بعضهم ان الكون نشأ بالنمو الطبيعي وقول البعض الاخر انه خلق خلقا اي وجد من العدم اما انصار النموالطبعي فعندهم ان الخلق انما هو عبارة عن تولدالكائنات وخروجها بعضها من بعض والفاعل فى ذالك عندهم لا وظيفة له غير تسهيل هذا الخروج والتوليد فهو اذن بمثابة محرك لاغير واما انصار الخلق فعندهم ان الفاعل يوجد الشئ من لاشئ اي من غيران يحتاج الى مادة ولا الى نمو (هذا الراي هوراي الاكثر ية من الفلاسفه والعلماء من حين نشأة الفلسفة والعلم الى اليوم وهم الذين يعتقدون بان قوة الخلق والايجاد موجودة فى الفاعل سبحانه وتعالى لا فى المادة قال المحقق الاسكندري فى تفسيركلمة (خلق) فى قوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوي على العرش) قال الخلق معناه التقدير فخلق السموات و الارض اشارة الى تقدير حالة من احوالها .

قال الماديون لايمكن ان يكون الموجود ناشئاً من العدم لان العدم لاشئ و يستحيل وجود شئ من لاشئ وقالوا ان عقو لنا ترى حصول شئ من لاشئ مستحيلا لاننا لم نرشيئا حدث من لاشئ ولا استطاع احد منا ان يحدث شيئا من لا شئ ولكن عدم مشاهدهم حدوث شئ من لاشئ لا يلزم منه انه محال وعدم استطاعة الانسان على ايجادشئ من العدم لايلزم منه عدم قدرة الاله على الايجاد من العدم فلايقاس فعل الانسان الضعيف بفعل الخالق القدير على كل شئ قال صاحب الرحلة المدرسية فى رسالته رداعلى سوال الماديين بحدوث الوجود من العدم عجبا ياصاحب العلم التجريبي كيف تدعي هذه الدعوى وانت فى كل ساعة ترى الوفاً من الموجودات قدحدثت بعد العدم الاترى الانسان او ليس اقرب عهوده انه نزل منيا فى رحم امه ثم صار علقة دم ثم صار انساناذا اعضاء وحواس و شعور و علم واين كان المنى الذى نشأمنه حينما كان جده وجدته منيا اولا ترى سائرالحيوانات او لاترى الشجر و النبات كيف يحدث بعد عدمه اولا ترى سائر الموجودات فى العالم ماتعرف وجوده بعدعدمه فكيف تقول ان حدوث الوجود بعدالعدم مستحيل انتهى اقول ماكتبه العلامة فى رسالته ليس بدليل على الوجود من العدم المحض لان الموجودات تتشكل و تظهر بوسائط مادية و لكن اذابحثنا عن تكون الجنين و نموالنبات نرى انهما يحدثان و ينموان بطريقة مدهشة فقد قال ارسطو ان تكوين الفرد فى حالته الجنينية ليس الانشوء جديد وقد ايد هذا الرأي الاستاذ ولف الالمانى و جهابذة من اهل النظر بعدنيف والفى سنه و قد ذاع مذهب ولف فى اوروبا الذى كان يقول ان تطور الجنين عبارة عن ظهور اعضائه وتشكلها خلال زمان معلوم و انها تتولد بعضها من بعض و حقق

ان البيوضات و عناصر التذكيرليست الاتركيباً عضوياً اولياً وقال ان اعضاء الجنين تظهر بالنشوء بعضها من بعض بطريقة غامضة من مادة الحياة الاولى (Protoplasma) التى تتكون منها الخلية وقد ايدكثير من علماء الفسيولوجى و التشريح مذهب العلامة

ولف فنرى ان ارسطو يقول ان تكوين الفرد فى حالته الجنينية ليس الا نشوأ جديدا و يقول ولف ان اعضاء الجنين تظهر بالنشوء بطريقة غامضة فيظهر لنا من هذين القولين بان الجنين واعضائه تنشأ نشوأجديدا بعد ان تكون معدومة بالنظرالى كيفيتها وعضويتها و اشكالها المخصوصة و هذا يدل على كمال قدرة الخالق على انشاء الاعضاء التى كانت معدومة و هو مثال يقرب الى اذهاننا كيف يوجد الله الشئى من العدم فاذاكان اللهقادراً على انشاء عضو معدوم فهل يستحيل عليه انشاء الاشياء من العدم ولنا فى عوالم النبات شواهد قيمة تدل على وجودالنبات من شي لايذكرفان الشجرة العظيمة ذات اغصان و اوراق وفروع متعددة تنبت من بذرة حقيرة فان سلمنا ان البذرة تنمو باختلاط عناصر اخرى كالماء و الطين و الهواء و لكن لانفهم كيف يحدث هذا الانقلاب العظيم باختلاط عناصر غير نامية لاحس لها فهذا المثال ايضاً يقرب الى افهامنا كيف يحدث الشئى العظيم من شئى لا يذكرولولا القدرة الالهية لما حدث هذاالانقلاب العظيم وقال الصوفية القائلون بوحدة الوجود ان حقيقة الواجب تعالى هوالوجود المطلق ويقابله العدم وهوليس بشئى

و للماديين شبهة ثالثة وهى قولهم لوكان نظام الكائنات بقصد و حكمة لكانت علامة القصد و الحكمة تامة فى كل شئى و هذه الشبهة مبنية على عدم معرفتهم لحكمة وجود بعض الاشياء كالاعضاء الاثرية فى بعض الحيوانات قالوا ان بعض الاعضاء لافائدة فيها فوجودها تدل على عدم وجود القصد و الحكمة و سنبين بالتفصيل جواب هذه الشبهة فى بحث القصد و الغاية ـ

نظريات الماديين فى الكون ونظامه

الكون عند الماديين عبارة عن مادة و حركة ونواميس فيعتقدون ان الوجود نشأ وانتظم بسبب وجود نواميس طبيعية لاتتغير وهى عبارة عن القواعد الثابتة التى تخضع لها جميع الكائنات و التى من مقتضاها ان الحوادث المتشابهة تحصل دائما فى احوال متشابهة فمن جملة النواميس عندهم ناموس الانتخاب الطبيعى و معناه ان الطبيعة بنفسها مندفعة للرقى الدائم و مسوقة لان تنتخب الجيد الصالح من الكائنات و تبيدالفاسد منها ومعنى قولهم هذا هوانهم يعتقدون ان الابداع الوجودي حدث بواسطة الانتخاب

الطبيعي و من مقتضاه ان لا يبقى الا الاصلح للبقاء فيقولون ان المادة لماكانت قديمة هي ونواميسها فهي دائمة الحركة و التشكل تقتضي النواميس فاذا فرضنا حدوث نوع من الحيوان فكل اشخاص ذالك الحيوان لاتكون على درجة واحدة من النماء و القوة فالاقوى والانمى من افراد هذا النوع يسبقون الضعاف الى مظان الغذاء و يناز عونهم البقاء فيزداد الاقوياء قوة على قوتهم ويزداد الضعاف ضعفاً على ضعفهم فيلد الاقوياء افراداً اقوياء يكتسبون مع الزمن صفات جديدة ترسخ فيهم فتصير احوالا و يلد الضعاف ذرية ضعيفة ينحط عن اصلها درجات ثم ينتهي الامر بتلاشي الضعاف و بقاء الاقوياء وقالوا ان الطبيعة بنظامها التام خرجت من العماء وان وجود النواميس الطبيعية كافية لتعليل الكون فقال الفلكيون منهم يكفينا قانون الجاذبية فى تعليل الكون وقال الاخرون منهم يكفينا قانون المادة والقوة ونواميس الطبيعية عن الاعتقاد بقوة تدبر العالم ولاتقع تحت الحس وقالوا ليس الانسان الاجسم ذو تركيب عضوي ولكل عضو منه وظيفة خاصة و لوا ان الفكر الذي يحمله الانسان بين جوانحه غير شاعر به له فى الفزيولوجيا مرد يرجع اليه .

ومن اكبر الادلة التى يقيمها الماديون على قدم المادة هو قولهم انه لايمكن خلق شيء من لا شيء اي من العدم ولا زوال شيء الى لاشيء و قالوا ان الطبيعة بنظامها التام خرجت من جوف العماء الصرف و قد تكلمنا على وجود الشيء من العدم وشبهاتهم الاخرى والان نتكلم على قولهم ان الطبيعة خرجت من العماء وان النواميس كافية لتعليل الكون فنقول ان هذا القول قول هراء لايثبت امام النقد العلمي فكيف ينتج العماء نظاما تاما فى الكون وكيف يصدر هذا النظام البديع الذى تراه فى الكائنات من غير قصد وكيف تصدر الحياة من اللاحياة فانك ترى نظاماً تاماً فى الطبيعة و نسبة تامة تضبط تركيب المادة (انظر بحث المادة) و ترى فى ملكوت السموات و الارض نظاماً متقناً يدهش العقل بل يعجز الانسان عن ادراك حقيقته (انظر براهين نيوتن) ولم يدرك الانسان الى الان سر الحياة قال الله تعالى فى مسئلة الروح (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) فهل يكفي قانون الجاذبية او النواميس الطبيعية فى تعليل الكون وهل يجوز لنا ان نعلل نظام الكون بالجاذبية و النواميس الطبيعية مع عدم اطلاعنا على حقائقها وهل يمكن ان المادة بنفسها مع النواميس الطبيعية مع انها عمياء صماء استطاعت ان تكون هذا التكوين البديع وهل يتصور ان شيأ محروماً من العقل والا دراك ينتج كائنات متمتعة بعقل وادراك وكيف تتوصل هذه المادة الصماء المجردة عن الشعور الى خلق العقل والحواس فى الجنس البشري وهل النواميس المجردة عن الحياة والادراك تستطيع ان تهب الحياة لسواها

فان فاقد الشئ لايعطيه كما هو بديهي (انظر براهين لوك) فليس للماديين على هذه المسائل اجوبة مقنعة ابداً فالعقيدة بابدية المادة و ازليتها و تمتعها بخصائص لاحد لها هي عقيدة لاتثبت بالدلائل العقلية اوالبراهين الحسية اوالدلائل التجريبية ولا عبرة بقوله انه يرى المادة بعينيه و يلمسها بيديه لانه مضطر بالقول بوجود مادة غير ملموسة كالاثير كماستعرف ذالك فى البحث عن المادة وفوق ذالك يعزو للمادة صفات لم ير ملازمة تلك الصفات لهاولم ير القوى الا ملازمة للمادة ولم يعرف حقيقتها وانما هي افتراضات لاثبات مذهبهم فالماديون قائمون على اصل ليس لهم عليه دليل حسي ولا دلائل تثبت امام النقد العلمي مع ادعائهم بانهم لايقبلون الاماثبت بالحس قال الفيلسوف روبينه يريد الفلاسفة الحسيون ان يبعدوا كل خيال او توهم و ان لايعتمدوا الا على المشاهدة المحسوسة وان يحذفوا من اقوالهم كل الافتراضات التى لايمكن تحقيقها ، هذه اصول الفلسفة الحسية فهل الماديون منها فى شئ ؟ هل منها الحكم بقدم المادة وابديتها و بعدم وجود عالم ارفع منها ؟ وهل منها الاعتماد على الافتراضات العلمية و بناء المذهب المادي عليها .

اصغ الىّ لاتلو عليك مايقوله العلم الحسى عن الوجود و مافيه و عما ندركه منه بحواسنا القاصرة ثم احكم بعد ذالك ان كان يحسن بنا اعتماداً على هذه الحواس المضلة ان نزهى بما نعلمه من هذه القشور المساة بالعلم الطبيعي و ان نبنى عليها مذهبا الحاديا ندافع عنه بحماسة اهل القرون الوسطى وان نصد عن كل بحث جديد يؤتينا بحقيقة مجهولة مناقضة لهذه المقررات السطحية بحجة انها قررت ان المادة قديمة وانه ليس وراها مرمى .

تكوين المادة والكائنات

نبحث فى هذا الفصل عن المادة وتكوينها و مسئلة خلق الكائنات ليتيسرلنا الاستدلال بوجود الكائنات و نظامها البديع على وجود مبدع الكائنات و سنذكرالان الاراء الفلسفية فى مبدأ تكوين العالم بموجب الرأي السديمي قبل ان نبدأ فى بحث المادة و حقيقتها والرأى السديمى فى الحقيقة افتراضات فلسفية ما انزل الله بها من سلطان و لكن يقول العالم الفلكى (لابلاس) بانها تنطبق كل الانطباق على قواعدالعلم الصحيح قال لا بلاس ان كل الاجرام السماوية نشأت من السديم الذي كان يملأ الفضاء (و هوالضباب الرقيق) وكان نوره ساطعاًمن شدة الحرارة فلما برد هذا السديم قليلا

تجاذبت دقائقه نحو مركز الشمس المشترك فدار على نفسه فى الجهة التى تدور فيها السيارات حول الشمس و استمرت الحرارة تشع منه فزاد تكاثفاً وصغراً و سرعة فانفصلت حلقات منه بقوة التباعد عن المركز و تجمعت دقائق كل حلقة بعضها فوق بعض فصارت كرة غازية و استمرت على الدوران حول المركز الاصلى ودارت ايضاً على نفسها بتقلصها وانفصلت منها حلقات تجمعت موادها فصارت اقماراً الا حلقات زحل فانها احتفظت بشكلها حتى الان وقد ذكر الله تعالى مبدأ التكوين فى القرآن العظيم فى ايات كثيرة قال تعالى.

(قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض فى يومين و تجعلون له انداداً ذالك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها و قدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها و للارض ائتيا طوعاً اوكرها قالتا اتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات فى يومين و اوحى فى كل سماء امرها و زينا السماء الدنيا بمصابيح و حفظا ذالك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (اولم يرالذين كفروا ان السموات و الارض كا نتارتقا ففتقناهما)

وقال الله تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات و الارض و جعل الظلمات والنور)

فسر الامام البيضاوي والفخر الرازي قوله تعالى (ثم استوي الى السماء وهي دخان) ان الدخان هومادتها او الاجزاء المصغرة التى ركبت منها تلك المادة (اي السديم) وكون السموات و الارض خلقت فى ستة ايام معناه ستة مقادير متساوية من الزمن وعن ابن عباس ان المعنى فى رتقا اي كانتا شيئا واحداً ملتصقتين ففصل الله بينهما و رفع السموات الى حيث هي و اقر الارض اذالرتق هوضد الفتق فاذا كان الفتق المفارقة فالرتق هو الملازمة فالارض خلقها الله تعالى مثل السموات و عطف الارض المذكورة فى الاية على السموات يقضي ظاهره ان الارض هي احدى السيارات و خلاصة قول لابلاس هي ان جميع هذه العوالم كانت غازاً منتشرا فى الفضاء متحركا بحركة مستمرة لازمة فاخذت حرارته تشع شيئاً فشيئاً و لما زادت الحركة الدورانية والاشعاع بالطبع انضمت الاعضاء لبعضها و تكونت شموس كثيرة وهذه الشموس لم تزل تدور حول نفسها و تقطع دوائر مخصوصة ثم انفصلت عنها سيارات و توابع و ذوات الاذناب و غيرذالك وهذه الارض جزء من شمسنا انفصلت عنها ودارت حولها ثم بردت على توالى السنين و انفصل عنها القمر قبل ذالك ولصغر حجمه برد اولا ثم بردت هى ثانياً وجمدت وصار عليها سائل وهو الماء هذا هو الرأي السائد الان عندعلماء الفلك وهي افتراضات علمية

قالوا الحكم بصحتها من باب الترجيح لا من باب الجزم و التأكيد وقد نظم الشاعر العراقى معروف الرصافى خلاصة هذا الرأي المعروف بالرأى السديمي فى قصيدةله فاجاد قال -

خبر فى الارض اوحته السماء . لا ولى العلم برسل الفكر
ان هذى الارض كانت اولا . ما ترى بحرا بها او جبلا
او سهولا او ربى اوسبلا . او رياضا زهرها الغض نما
من سحاب جادها با لمطر

انما كانت كتلك الا خوات . من نجوم سائرات دائرات
حول شمس هى احدى النيرات . كن من قبل عليهاسدما
كتلة واحدة فى النظر

ثم بعد انفصلت من ذا السديم . قطع منها صغيرو جسيم
ضمن افلاك بها الدور تديم . فاستقر الكل فيها انجما
حول غير الشمس لم تستدر

اولا نبتون منها انفصلا . ثم اورانوس يهدي زحلا
ثم للمشتري مريخ تلا . ثم هذى الارض فالزهرة ما
بعدها غير اخيها الا شهر

واخوالزهرة بالشمس اقتدى . ولها اقرب سيار غدا
وهي سارت خلفه طول المدى . فامام الارض دان انتظما
خلفها المريخ ثم المشتري

ارضنا كانت لظى مشتعلة . مذ من الشمس غدت منفصلة
لم تزل فى دورها متنقلة . كتلة فيها اللهيب احتدما
وهي ترمى فى الفضا بالشرر

ما ترى اليوم من الماء الحميم . و البراكين التى تحكى الجحيم
و من الزلزال ذي الهول العظيم . دل ان الارض فيا قدما
ذات جرم ذائب مستعر

كل ماكان بحال السيلان . فهو يغدوكرة بالدوران
وكذاك الارض فىماضيالزمان . كرة (ما)قدغدا سلتثا
جرمها من سيلان العنصر

ثم ان الارض من قبل الجمود . ولدت منها و ليست بالولود
قمرا دار عليها بسعود . وجلا فى الليل عنها الظلما
فهي بنت الشمس ام القمر

المادة و ماهيتها

ذهب افلاطون و ارسطوالى ان المادة ازلية و انها هى الهيولى الاولى لاشكل لها و لامثال و لكنها مستعدة لقبول الصورة و قال ارسطو ان المادة ليس لها وجود فى الخارج و انما الموجود فى الخارج مادة اتخذت لها صورة ، و لفلاسفة اليونان اقوال و آراء كثيرة فى ماهية المادة و قد توسع العلماء فى القرون الاخيرةسيما القرن التاسع عشر و عرفوا بعض الحقائق التى كانت مختفية و مجهولة عند المتقدمين و مع جهدهم فى كشف ماهية المادة لم يطلعواعليها و انما وصلوا الى بعض اكتشافات مهمة تتعلق ببناء ذراتالمادة واكثرها افتراضات علمية لاتخرج عن دائرة الحدس و التخمين و المذهب السائد الان هو ان الكون مركب من مادة و من قوة تحركها و قد كانوا يظنون انها متصلة البناء و لكن جاء ديمو قراطيس الفيلسوف اليونانى و قرر بان المادة منفصلة البناء وهى مركبة من ذرات سماها الجواهر الفردة وهى اصغر اجزاء من المادة وهى غير قابلة للانقسام و انها دائمة الحركة و من حركتها الدائمة تحدث الصور من طريق التيامها و انحلالها و ان الجواهر الفردة لها صورة و حجم و فيها قوة جاذبة تجذب بعضها الى بعض و لامسامة لها و كل الاجسام تتكون من عناصر اولية و احدة هى الجواهر الفردة و اختلاف الاجسام يرجع الى اختلاف طبائع الجواهر و ترتيبها و مراكز وضعها و اختلاف الجواهر فى هذه الخصائص لا نهاية له كما ان عددها غير متناه ايضاً و من هنا يكون تنوع الصور لا نهاية له و دقائق المادة هى التى تتركب من ذراتها اى الجراهر الفردة فالدقيقة اكبر من الذرة لانالدقيقة تتركب من الذرات فالذرة هى النهاية الصغرى للاجسام و توجد بين الدقائق مسامات تفصلها و قد استنتج من الظواهر الطبيعية ان دقائق الاجسام فى حركة سريعة دائمة و تزيد سرعتها تبعا

لازدياد درجة حرارتها وان زيادة سرعة حركة دقائقها هى التى تجعلنا نحس بزيادة درجة الحرارة حين مسها و ماالحرارة الاحركة سريعة جدا للجزئيات اى الدقائق و الذرات و كلما كانت الحركة اسرع كان الجسم اشد حرارة و فى النار العادية توجد حركة جزئيات النار كبيرة تنتقل الى ذرات الجسم الموضوع فيها حتى اذا مالمسناه زادت سرعة حركة جزئيات اصابعنا فنشعر بالحرارة و ذرات المادة لانوجد الا مركبة من ذرتين او اكثر و سمى هذا المركب بالدقيقة او الجزئى و متى انحلت هذه الدقيقة الى ذرات فهى تتطلب دائماً الاتحاد مع ذرات من جنسها و من جنس آخر و الذرات و الدقائق تكون دائما مضطربة اضطرابا شديدا و بما ان الدقائق لاترى بالعين اوبا قوى مجهر لهذا يتعذرالنظر الى حركتها مباشرة قال السر ارنست رتهر فورد بان الطبيعيات الجديدة قد ازالت الشك عن وجود الدقائق و الذرات و بالامتحان الدقيق ثبت بالتحقيق ان المواد كلها تتركب من الذرات و قد دلت بعض الابحاث العلمية ان الذرات لايمكن لها ان تستقر ابداً حتى فى المادة الصلبة التى تبدو عديمة الحركة و لقد وصل كبار العلماء الى جعل هذه الحركة تبطئ كثيراً و لكنهم لم يقدروا على ايقافها لان هذه الحركة ماهى الا الحرارة يمكن للمادة ان تفقد حرارتها بالكلية ففى قطعة الثلج مثلا يوجد مقدار عظيم من الحرارة وهى لا تظهر عادة لانها لاتنتقل الا اذا وجد بجوارها جسم ابرد من الثلج فحرارة النار مدركة بسبب برودة مايحيط بها من الاجسام و بما انالذرات والدقائق لاترى بالعين و لاباقوى مجهر (ميكرسكوب) لصغرها فلهذا لايمكن النظر الى حركتها مباشرة و قد توصل المستر برون الى الاستدلال بطريقته على حركة الجزئيات اوالدقائق فانه علق جسيمات صغيرة صلبة فى السائل فرآها مضطربة بمجهره القوى بسبب ارتطامها بدقائق السائل المضطربة و استدل بحركتها على حركة الدقائق والذرات و هناك دلائل اخرى تثبت حركة الدقائق و الذرات و توجد فى المادة بين دقائقها و ذراتها قوتى الجذب و الدفع فهى حقيقة طبيعية فاننا اذا اخذنا جسما صلباً و اردنا ان نفصل اجزاءه المتماسكة فانه يقاوم مجهوداتنا و كذالك يقاومنا اذا اردنا ان نضغط اجزاءه مثبتاً بذالك انه انمايتركب من دقائق تتجاذب و تتدافع فى آن واحد و الى هذا تعود ظاهرة التفاعل وعدم التفاعل فى العلم الطبيعى بل و فى اجزاء الطبيعة برمتها و مع هذا فان هذه الحقيقة تعدو الادراك العلمى فى تعليل كيف ان دقيقة واحدة تجذب اخرى فى حين انها تدفعها وتقاومها و فى ذالك يقول (الفيلسوف اسپنسر) اننا لانستطيع ان نأتى بقطعة من المادة

يظهر فيها ان جزأ يجذب آخر فى حين انه يدفعه ومع هذا فان الاعتقاد بذالك الزامى ضرورى و قال ان كثيرا مالا يمكن ان يدركه العلم الطبيعي يجب ان يعتقد وجوده اذ لولاهذا الامر لتحلل ذالك الهيكل النظامى الذى ترتكز عليه معرفتنا انتهى و السبب فى عدم معرفتنا لبعض الحقائق يرجع الى عجزالانسان عن ادراك الماهيات و الحقائق و قد قال الله تعالى فى مسئلة الروح (و ماأوتيتم من العلم الا قليلا) و قد ارانا الله فى تكوين المادة معجزة باهرة يعجز عقل الانسان عن ادراك حقيقتها فاذا سألتهم كيف تتجمع الذرات و تتماسك مع حركتها اواضطرابها الشديد و وجود قوة الجذب و الدفع قالوا هى من الامورالغامضة التى لم تبلغ عقولنا الى كنهها و مع هذا فان الاعتقادبذالك الزامى ضرورى لثبوتها بالدلائل العلمية حتى قال السراوليفرلودج امام الجمعية العلمية البريطانية انالانستطيع ان نعلل السبب الذى من اجله اذا امسكنابطرف عصا ورفعناه ارتفع الطرف الاخر و قد قال الله تعالى (سنريهم ايا تنا فى الافاق و فى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وفى الاية اشارة الى هذه الايات الباهرات التى يعجز العقل الانسانى عن ادراك حقائقها قال الفيلسوف العظيم (هكسلى) ان الطبيعة تبسط امامنا قضايا كثيرة و تطلب منا حلها فاذا شرعنا تأملها وجد نا انفسنا من الذين لايدرون معرفة حقائق الاشياء فالنقص ملازم الانسان مهما شحذ قريحته و مهما زادته السنون حنكة و خبرة انتهى فالماديون مع عدم معرفتهم بحقيقة المادة ينكرون وجود البارى و ينسبون الى المادة التى لم يقفوا على حقيقتها خصائص لم تثبت بالدلائل العقلية ولا الحسية لاثبات مذهبهم (و من يضلل الله فلاهادى له) مع وجود دلائل حسية و عقلية على وجود الخالق كما تقدم شرحها ولو نظر الماديون بعين الانصاف الى النواميس الطبيعية لعلموا انها لاتكفى لتعليل اصغر الكائنات بل هى لاتكفى لتعليل حركات الاجرام الفلكية كدوران الارض حول الشمس كما صرح بذالك الفلكى العظيم نيوتن فى براهينه فمن تفكر فى تعليلاتهم وجدها فاقدة لاعظم اركانها فمن المستحيل تعايل وجودكل هذه الكائنات البديعة بمجردحركات النواميس الميكانيكية و انما وضعوا هذه التعليلات السخيفة ليصلوا الى غرضهم من ابطال العقيدة بوجود الخالق فزعموا ان المادة قديمة و انها متحركة من غير محرك و عاملة بالاتفاق اى المصادفةمن غير قصد وليس عندهم دليل مبنى على الاصول العلمية يثبت قدم المادة اوحركتها من غيرمحرك او حدوث هذه الكائنات بالمصادفة فعجبا من الماديين كيف تقبل عقولهم قدم المادة مع عدم اطلاعهم على حقيقتها و فرضوا انهامتحركة بذاتها مع وجود دليل قوى على ان المتحرك لايتحرك الا بمحرك و قالوا انها عاملة بالاتفاق

اوالمصادفة فقدقال عمدة الملحدين بخنر ان كل الاجرام السماويه كبيرة اوصغيرة تخضع صاغرة بغير استثناء ولا انحراف الى الناموس الملازم لكل مادة و لكل جزء من مادة كما تدلنا عليه التجربة من آن لاخر و ان جميع حركاتها تبدو لنا وتتحد اما منا و تنبئنا عن حدوثها بضبط رياضى لايتطرق اليه الخلل انتهى ـ

فاذا كانت الاجرام السماوية تتحرك فى مداراتها بنظام ثابت خاضعة لناموس مقرر فهل بعد هذا دليل على وجود قوة مدبرة تخضع لها جميع الكائنات و بداهة العقل تشعر بان النظام لايصدر من العدم ولا بد من وجود قوة تدبر هذا النظام البديع و الا اختل النظام كله فالنظام هو اقوى دليل على وجود منظم عاقل يدبر نظام الكائنات كلها و هو الله سبحانه تعالى خالق الارض و السموات و لو لم تكن هناك قوة مدبرة فمن جعل للمادة هذا الناموس العظيم الذى يخضع له جميع اجزاء المادة و الاجرام السماوية فتمشى بنظام تام هل وجدت هذه الخاصية الملازمة لكل مادة من نفسها او من العدم فوجودهذه الخاصية من نفسها ينكرها بداهة العقل ولا تثبت وجودها من نفسها بالدلائل العلمية ولا بالدلائل المحسوسة ابداً

وهل يعقل الانسان ان الاتفاق المجرد من العقل اوالمصادفة تصدر منه هذا النظام البديع او الحركات المنتظمة مع ان نظام العالم يدل على مقاصد و غايات حكيمه ـ

قال العلامة الشهير فريدوجدى مخاطباً الماديين سلمنا لكم جدلا ان المادة قديمة و ان فيها نواميسها فما آثار النواميس فى عرفكم الا حركات بسيطة كناموس الجذب يجذب الاجسام و ناموس الدفع يدفعها و ناموس السكون يجعل الساكن مستمراً على سكونه حتى تاتيه قوة تحركه و المتحرك مستمر على حركته حتى تأتيه قوة توقفه و هذه الحركات البسيطة لايمكن ان تفسر خلق اصغر الكائنات فضلا عن الكون و مافيه فلننظر معكم الى الارض وهى منفصلة من الشمس فماذا نرى فى مادتها و نواميسها ـ

نرى كتلة ملتهبة انفصلت من جرم كبير (اى جرم الشمس) كما تقولون فباى ناموس انفصلت و المعروف ان الجسم الكبير يجذب الصغير كما تجذب كل ماعليها من الاجسام فتمنعها من التناثر فى الجو لنقل معكم انها انفصلت و لكن لاتنسوا ان ذالك ضد ناموس الجاذبية فما حدث بعد ذالك ـ

حدث ان الارض وقفت على مسافة من الشمس لاي سبب وقفت فى هذه المسافة ولم تهبط الى مالانهاية فالسبب غير معروف ولا يوجد ناموس يمنعها من التدهور الى مالاحدله ـ

قلتم انها انجذبت الى الشمس والكواكب الاخرى ليكن ماقلتم، وقفت الارض فى مركزها ثم رأيناها دارت على نفسها فاي ناموس ادارها، تقولون انها انفصلت عن الشمس وهى دائرة فاستمرت كذالك ،تقولون انها كانت فى الشمس دائرة لكن غير دورانها حول مركزها بل حول مركز الشمس لا نها كانت قطعة من سطحها لا من مركزها كما هو المعقول لنمش معكم الى حيث تريدون فلنسلم لكم بدورانها حول مركزها فاي ناموس ادارها حول الشمس بعد ذالك لايوجد ناموس فى العلم من هذا القبيل بل ولا يعقل وجوده (انظر براهين نيوتن) لنسلم لكم انها دارت حول الشمس بسبب مجهول فاحدث بعدذالك ـ

حدث ان قشرتها اخذت تبرد سلمنا ثم ماذاقلتم تكونت عليها سحب من الابخرة فهطلت عليها امطار (تقول ان الابخرة المتصاعدة من الاحتراق لاتكون سحباً كما هو مشاهد فكيف نشأت المياه على سطحها لنغض عن هذا ثم ماذا فتكونت بحاراً وانهاراً و مستنقعات حسن فماذا حدث بعد ذالك حدثت الحياة النباتية فى ابسط اشكالها كيف حدثت و باي ناموس نشأت هذه عقدة العقد والطلسم الذى لاحل له فان الحى لاينتج الامن حي والنواميس المعروفة كلها تعجزعن تعليل حدوث احقر الاجسام العضوية انتهى وسنتكلم عن الحياة فى فصل آخر والان نبدأ فى بحث المادة والا ثيرونذكر الاراء الحديثة فى ماهيتها ـ

كا الرأي السائد الان هوان الذرة من المادة تتركب من نواة محملة كهربائية موجبة تسمى بروتون و من هبا آت محملة كهربائية سالبة تدورحولها تسمى الكترونات وبين الكهربائية الموجبة و السالبة تعادل تام فتحفظ الذرة توازنها ثم ان الابحاث الحديثة فى بناء المادة تدل على ان البروتونات والالكترونات ليست باشياء مادية كما كانت تحسب سابقابل هي نوع من الطاقة تولدامواجاً اوهى تتصرف كانها امواج، و ذهب الاستاذ شرودنجر الى ان الكون لايتألف من الكترونات بل من موجات و ان الذرة لابد ان تعتبر مجموعة موجات كهر بائية و يقول العالم جنيز ان الكون المادي كله يتألف من موجات ولاشئ غير الموجات وهذه الموجات نوعان معبأة وهي تلك المادة التى نسميها مادة و اخرى غير معبأ ة وهي تلك التى نسميها اشعاعاً اوضوءاً ويعود هذا الرأي بالكون كله الى انه عالم من الضوء و تكون قصة خلق هذا العالم محصورة فى ان الله تبارك وتعالى قال ليكن نور فكان نور

وقدقال الله تعالى(الله نور السموات و الارض)

قال الاستاذ احمد فهمي لم نصل حتى اليوم الى حل واف يفسر لنالغز البناء الذري لان الذرة لايمكن ان ترى ابداً فان الموجةالضوئية هي اكبرمنها فلاتستطيع تناول الذرة او كشفها فهي اكبر من الذرة الف مرة و لذا فهي تطغى عليها كما تطغى موجة البحرالثائر على سارية صغيرة منفردة تعترض سبيلها فلا تكترث بها و كذالك لاتكترث الموجة الضوئية لذرة واحدة فلانراها باقوى مجهر (اي ميكرسكوب) و قد ثبت الان بعد استكشاف المواد المشعة كا لراديوم و اليورانيوم بان الا جسام اذا صدرت عنها اشعاعات قويةفان ذالك يقلل من مادتها فان صدور الاشعاع من الراديوم واليورانيوم ينجم عنها نقص فى كمية مادتها فهذه الظاهرة تدل على ان المادة تتحول الى اشعة وقد كان المظنون ان المادة لاتنعدم ولكن الان تثبت بانها تتحول من مادة الى اشعة و هذا يعد تطورا هاما فى آرائنا عن المادة

قال الدكتور جوستاف لوبون فى محاضرته ماملخصه اقص عليكم حديثاً عجيباً غريباً لم يكن يحلم به العلم منذ عشر سنين حديثاً عن قطعة اية مادة لتكن حجراً تصطدمونه فى طريقكم او ورقة موضوعة امامكم او قطعاً من المعادن التى تتداولو نها كل يوم -

كان يعتقد العلم فى الزمن الخالى ولايزال قوم يعتقدون الان ايضاً ، ان المادة تتألف من عناصر جامدة لايعتر يها العدم وجدت فى اصل الاشياء وتبقى فى خلال جميع تطوراتها بقاء سرمدياً فكانت الكمياء تقول لا يفنى شئ و المادة كانت رغما عن كل الا ستحالات التى تتكبدها تظهر انها حافظة لوزنها الاول (كما يظهر بالتجارب الكيماوية)

ولكن العلم يعلمنا شيئا آخر اليوم انه يرينا ان المادة مركبة من مجموعات صغيرة تشبه المجموعات الشمسية مؤلفة من عناصر يدور بعضها حول بعض بسرعة عظيمة وهي لاترى ثابتة فى حسنا الا بسبب تلك السرعة المفرطة و يقرلنا ان الجوهر الفرد مستقر قوي ضخم لاتعد القوى التى تستخدمها صنائعنا بجانبها شيئا يذ كر ويعرفنا ايضا ان المادة وهى مستودع حياة مركزه لها حس يجعلها تتغير باخف المؤثرات والطفها ويقول لنا أخيراً بان المادة ليست ابدية بل هي خاضعة للناموس الحتم الذى يقضى على جميع الكائنات بالفناء انتهى -

كان القدماء يظنون ان المادة لا تتلاشى والان يظنون ان المادة تتلاشى ببطء بالتحلل المستمر للجواهر الفردة التى تكونها -

ويقولون المادة التى كانت تعتبر قبل اليوم جامدة لاتعطينا غير القوة التى لاتأخذها من سواها هى على العكس من ذالك مستودع عظيم للقوة، القوة الباطنة للجواهر الفردة - التى يمكن ان تنفقها بدون ان تستعير شيئاً من الخارج -

و قالوا اكثر قوى الكون كالكهرباء و الحرارة الشمسية على وجه خاص هى من القوة الباطنة للجواهر الفردة التى تخلص فى اثناء تحول المادة -

و قالوا القوه والمادة شكلان مختلفان لشى واحد فالمادة هى الشكل الثابت للقوة الباطنة للجواهر الفردة و الحرارة و الصوت و الكهرباء الخ هى الاشكال غير الثابتة لتلك القوة -

و قال الاستاذ جو ستاف لوبون عن كيفية تحليل المادة بتحللها تفنى فى الاثير و لنتكلم الان فى ماهية الاثير الذى يعلل به الطبيعيون اكثر الظواهر كالنور و الكهرباء والحرارة -

(ماهو الاثير)

الاثير عند فلاسفة اليونان القدماء و فلاسفة العرب الذين اخذوا عنهم الفلسفة هو المادة الاصلية للعالم و عند فيثاغورث هو روح الوجود الذى منه نشأت الارواح الجزئية و عند انكساغورس هو اصل النار و عند افلاطون هو مادة اخف و انقى من الهواء و قد سمى بالهيولى و اما عند المحدثين فهو مادة لطيفة ومرنة مالئة لهذا الكون ومتسربة الى مابين ذرات الاجسام متجانسة الكثافة والمرونة فى كل جهة فهو مادة لايقوم دليل قطعى على وجودها و انما فرضت لتعليل بعض الظواهر الطبيعية كانتقال امواج النور و الكهربائية و ذلك انهم لما رأوا النور يصلنا من الاجرام البعيدة كالشمس و الكواكب بدون واسطة لان الهواء معدوم بيننا وبينها قالوا لابد من وجود واسطة بيننا و بينها فى ذالك الفضاء الشاسع الذى يفصلنا عنها

و قالوا ان النور و الحرارة هما انواع من الحركة او الاهتزازات السريعة فلا بد لنقل هذه الاهتزازات او الحركة من الا جرام السماوية الينا من واسطة كما ان الصوت الذى هو جنس من الحركة يصل الى مسامعنا بواسطة الهواء فقالوا لابد من وجود جسم

غازی لطیف للدرجة القصوی یحمل الینا الاهتزازات الضوئیة لیصل الینا اثرها فارتضی اکثر العلماً بهذا الفرض لانہم ماکانوا یستطیعون تعلیل بعض الحوادث الطبیعیة بدون فرض الواسطة و لکن العلامة اینشتین واتباعه انکروا وجود الواسطة فلم یقبلوا وجود الاثیروقال بعضهم لاحاجة لنقل الامواج الضوئیة من وجود اثیر و قالوا ان هذه الامواج تصل الینا علی مادةموجودة بین الکواکب وهی ککل المواد ذات وزن وکثافة و ان کانت دقیقة جداً ۔

و قال العلامة ج . ارتهر فند لائی رئیس المعهد الدولی للبحث الروحی فی لندن فی کتابه (علی حافة العالم الاثیری ماخلاصته ان المادة اصبحت تعتبر هذا الاثیر نفسه و انما فی حالات اهتزازات محدودة خاصة و المادة الطبیعیة التی تدرکها حواسنا فهی ذالك الجزء من الاثیر الذی یهتز فی دائرة معینة و الاثیر الذی لاتدرکه حواسنا مع وجوده هو الذی اهتزازاته خارجة عن الحد المعین فیمکن اعتبار اثیر الفضاً حلقة الاتصال الکبری التی توجد مابین عالم المادة وعالم الارواح لانه المادة المشترکة بین العالمین و کلاهما محصور داخل هذه المادة وکلا هما جزء منها وکلاهما مکون منها و العالمان جزء من کون واحد و الحیاة فی کلیهما مقیدة به فهنا فی العالم المادی الذی نعیش فیه انما نحس فقط بنوع من الاهتزا زات المنخفضة فی الدرجة و اما فی عالم الارواح حیث تؤدی الحیاة و ظائفها ایضاً فان الوعی یتأ ثربنوع من الاهتزا زات العالیه و قال یجب ان نعلم انَ الکون ما هوالا اثیر لا اکثر ولا اقل و انما فی حالات اهتزازات مختلفة ۔

وکتب ارنست هیکل بان هذا الترقی فی ادراك الاثیر یکسب فلسفة وحدة الوجود قوة عظیمة و ذالك ان الاراء الضالة التی کانت تقول بوجود الفراغ و بتأثیر بعضها علی بعض من بعد قد زالت الان وهذه اللانهایة الوجودیة وان کانت المادة لاتشغلها کلها فانها برمتهامشغولة بالاثیرثم قال نعم ان نظریة الاثیر اذا اخذت کقاعدة للایمان یمکنها ان تعطینا شکلا معقولا للدین و ذالك اذا جعلنا بازاء الکتلة الجامدة الثقیلة ای المادة ذالك الاثیر الشامل المتحرك الذی هوالاله الخالق ثم اید الاستاذ هیکل رأیه هذا برأی الاستاذ الجلیل (خلیسنجر) الالمانی الذی ابداه فی خطابه فذکر عنه انه قال ان احقر مظهر من مظاهر الطبیعة غیر الا لیة و اکبر مجلی من مجالی الحیاة الالیة یمکن ان یعلل وجود هما علی السواء بفعل قوی طبیعیة واحدة و بما انها

من جهة اخرى يشتركان فى الصدور من الاصل الاصيل المتوحد الذى يملأ الوجود اللا نهائى و هوالاثير فيمكن اعتبار هذا الاثير (الهاعاماً) و يكون نتيجه ذالك هذا الحكم و هوان الاعتقاد بالخالق يتفق و العلوم الطبيعية انتهى ذكرذالك الدكتور فريد وجدى فى كتابه على اطلال المذهب المادى ـ

و قال جماعة من الصوفية الذين يعتقدون بوحدة الوجود كما ذكر ذالك ملا عبدالرحمن الجامى فى الدرة الفاخرة قال اما الصوفية القائلون بوحدة الوجودفلما ظهر عندهم ان حقيقة الواجب تعالى هو الوجود المطلق لم يحتاجوا الى اقامة الدليل على توحيده و نفي الشريک عنه فانه لايمكن ان يتوهم فيه اثنينية و تعدد من غير ان يعتبرفيه تعين و تقيد فكل مايشاهد او يتخيل او يتعقل من المتعدد فهوالموجود او الوجود الاضافى المطلق نعم يقا بله العدم و هوليس بشئى ثم ان لوجود الحق سبحانه و حدة غير زائدة على ذاته وهي اعتباره من حيث هو هو وهي ليست بهذا الاعتبار نعتاً للواحد بل عينه وهى المراد عند المحققين بالاحدية الذا تية و منها تنتشئى الوحدة و الكثرة المعلومتان للجمهور اعنى العدديتين وهى اذا اعتبرت مع انتفاء جميع الاعتبارات سميت احدية و اذا اعتبرت مع ثبوتها سميت واحدية (انظر براهين بوسويت)

عرفت من مباحث العلماء المذكورة انهم لم يهتدوا الى ماهية الاثير ولاشعروا بوجوده لا بالدلائل الحسية و لا بالدلائل العلمية و لكنهم اضطروا لفرض وسط يحمل امواج النور والحرارة لا هومادى لانه يفقد بعض الصفات المادية العمومية كالوزن بل قالوا انه لم يصل الى درجة المادة بل هو شئى لاوزن له ولا مسام و هو غير قابل للانضغاط و غاية فى اللطافه فلايدرك با لحواس و يناقض بخصائصه كل مايعرف من اشياء الطبيعةو الذى دعا الطبيعيين الى فرض الشئى المجهول (اي الاثير) هوعجزهم عن تعليل بعض الظواهر الطبيعية فامنوا بوجود مادة مصمتة لاوزن لهاولا تقبل الا نضغاط وهي مع ذالك فى غاية اللطافة و قالوا انهاموجودة من الازل و باقية الى الابد مع انهم لم يروهاولم يحسوابها ولم يقم على وجودها دليل علمي فياللعجب يؤمنون بشى لم يقم دليل على وجوده ولم يؤمنوا بخالق الكائنات مع وجود ادلة معقولة ومحسوسة على وجوده ويعترضون على المعتقدين بوجود الله بانهم يقولون بوجود ذات لم يروها وباطلاق صفات عليها ليس لهم علم بها وهم يفرضون وجود الاثير بلا دليل معقول يثبته العلم الصحيح اويقبله العقل السليم ويثبتون له صفات مخالفة لاوليات العقل اوالبراهين الحسية فقد قالوا ان الاثيرهو جسم ليس له

وزن وهو مخالف لقانون الجاذبية و قالوا انه لايقبل الانضغاط وهوصفةعامة لجميع المواد فعدم انضغاط الاثير مخالف لبداهة العقل ومع لطافته نفواعنه المسامية التى هى صفة للمواد كلها سيا ما كانت منها لطيفة كالغازات والهواء فالماديون يعاندون الادلة الحسية والعقلية تعنتا منهم لاثبات مذهبهم الذي لا يمكن اثباته بالدلائل العقلية و الحسية ابداً ـ

ماهي الحياة

الاجسام التى تتحرك من نفسها و تغتذي وتتوالد كالحيوانات والنباتات تسمى اجساماً حية و التى لا تتحرك ولا تتغذى ولا تتوالد تسمى اجساما جامدة وقداختلف العلماء فى اصل الحياة فالفلاسفة اليونانيون من الاغارقة الاقدمين كانوايرون انالكون كله مقود بروح عامة تخلق و تربى كل الكائنات فلما جاء ارسطو زعم ان الحياة و ان كانت اصلا قائما بنفسه الا انها ليست متوحدة بل متكثرة و على درجات شتى فى الاحياء وقال الرواقيون بوجود روح كلية مدبرة للكل وارواح جزئية مدبرة للاجزاء وكان ايقور و جماعة من اطباء اليو نانيين والرومانيين يعللون جميع ظواهر الحياة بقوى الجوا هر الفردة و لما حدثت النهضة العلمية فى اوروبا وترقى علم التشريح والبيو لوجيا والفزيولو جيا طرأتغير فى الاراء القديمة فقال فان هلمونت ان كل عضو حي من الجسم الحى له حياة خاصة ولمانشأ (ستاهل) فى القرن الثامن عشر ذهب الى ان المذاهب الالية (التى تقرر ان الظواهر الحيوية يمكن تفسيرها نفس القوى الاليه الكيماوية الطبيعية العاملة فى المادة الجامدة) لاتعلل الصفات الخاصة للحياة فلابد من وجود روح خارج عن المادة وقد مال بعض العلماء الى المذهب الآلى و منهم كلودبرنار وهمولتز ولودويج فى المانيا الا ان كلود برنار المؤيد للمذهب الا لى كان يرى ان حدوث اشخاص الاحياء فى اختلافاتها وتنوعاتها التى لاتقف عند حد لايمكن ان يعلل بغير فرض وجود عقل مدبراو جدها على هذه الصورة بارادته ـ

وقد ذاع مذهب لودانتك الذي كان استاذ البيولو جيا فى جامعة السوربون يقول لودانتك انلكل خلية حياة اولية هىاصل الحياة العامة للجسدكله فلاجل معرفة سرالحياة فى ذاتها يجب ان تدرس حياة الخلية نفسها فبالتأمل فى الخلية نجدانها لا تفترق عن المادة الجامدة الابخاصة التمثيل اي باحالة المواد الجامدة الى مادة مماثلة لمادتها ثم قال والا ستحالات التى تحصل للخلية تأ تيها من فواعل خارجة عنها طبيعية وكيماوية تابعة للبيئة لاذاتية فى الخلية ـ

وقال اما حياة الاجسام المكونه من خلايا كثيرة من اول الكائنات الحقيرة الى الانسان نفسه فهي لاشئى غير مجموع حياة خلاياه الجسمية كلها ـ

وقال الاستاذ (ارنست هيكل) الالمانى ان كل خلية لها روح تديرها ولكنها لا تشعر بوجودها ـ

وقال الفيلسوف شوبنهور معترضا على الماديين الذين يعتقدون ان الحياة الاولية هى من الخلية وهى اصل الحياة العامة للجسد وهذا ملحضه
من اين حصل هذا المجموع من الخلايا المركبة لاى شخص من الاشخاص على صورته النوعية وكيف تم له ذالك وكيف يحفظ شكله طول مدة حياته وكيف تتكون شخصيته الطبيعية و تحفظ وجودها و تعيد تكوين ما دثر من اعضائها ثم قال (من اين كل هذا وكيف ولماذا ؟ لنقل مرة اخرى هذه من المساتير الطبيعية وقد وصف (داستر) بقوله سر لايسبر له غور ما يحدث فى اثناء نمو الخلية الجرثومية من جذبها الى نفسها المواد الخارجة و وصولها بذالك الى اقامة هذا النباء المدهش وهو الجسم الحيوانى اوالانسانى اوجسد انسان بعينه على سنة التدرج ومع هذا كله حاول بعضهم و وجد لهذه المساتير تفسيرا و لكنه من الضعف بحيث يوجب الحيرة وقال فالحياة لاتزال سرامكنو ناوالحركة الحيوية و نشاط الوظائف العضوية الكبرى ليست اقل منها تعاليا عن مداركنا ـ

وقال العلامة المشهور (روسيل ولاس) نديد داروں (ان الظواهر القائمة بالكائنات الحية هى من العجب ، و خصا ئصها من التفوق على جميع الصور المادية الخاضعة للنو اميس الالية طبيعية وكياوية بحيث انه من العبث المحض بان يحاول البيولوجيون الوقوف على سر مظاهرها العجيبة و تحديد ماهية الحياة بوضوح تام و بعبارات علمية يظهر من اقوال العلماء المتقد مين والمتأ خرين بانهم لم يهتدوا الى معرفة سر الحياة وانما هى افتراضات لايمكن اثبا تها بالطرق العلمية اوالحسية وقد قال الله سبحانه وتعالى فى مسئلة الروح (ومااو تيتم من العلم الاقليلا) فمسئلة الروح و الحياة خارجة عن مدارك الانسان كما اقر بهذا فطاحل علماء البيولوجيا و الفزيولو جيا والتشريح ككلود برنار و روسل ولاس و داستر وغيرهم و تزداد تحيرهم فى اصل الانواع فنشأت فيها مذاهب غريبة و آراء غير سديده ـ

اصل الانواع النباتية و الحيوانية

قد تحير العلماء في تنوع الصور الحية من الحيوانات و النباتات التي تعمر الارض و تعيش عليها و تسكن في الهواء والماء و لاتدخل انواعها تحت حصر فتفكروا في العلل التي اوجبت تكون و تنوع هذه الصور المختلفة و كيف يمكن تفسير التشابه الاساسى الذى يربط الكائنات الحية بعضها ببعض و هل لجميعها اصل قديم مشترك نشأت عنه فتطورت بعد ذالك شيئا فشيئا بالاسباب الطبيعية هذه هي المسائل التي حيرت العلماء فولدت المذاهب المختلفة فى اصل الانواع و نشأهذا البحث من لدن القرن الثامن عشر و اما ماهو فوق ذالك فكان الى الخرافات و الخزعبلات اقرب و انتشر من جملة المذاهب فى وقتنا هذا مذهب لامارك وداروين ولا نقدر ان نشرح تلك المذاهب بالتفصيل فى هذه الرسالة لئلا نخرج عن موضوعنا و انما نشرح لك بعض النقاط بالاختصار لنعرف حقيقة تلك المذاهب المبنية على اسس لم تثبت ثبوتاً علمياً و انما هى افتراضات ما نزل الله بهامن سلطان و نختارمن مذاهب اصل الانواع مذهبين اشتهرا فى وقتنا هذا و هومذهب لامارك و مذهب دارون اما لامارك فيقول ان الطبيعة تولد بعض الكائنات توليداً مباشراً فتتعمد الى تكوين منسوج خلوى من الكتل الصغيرة للمادة الجيلاتينية (نشبه الغراء) التى تجدها تحت يدها ثم تملا هذه الكتل الخلوية الصغيرة فى الاحوال المواقفة بالسوائل المناسبة و تحيها بتحريك هذه السوائل بواسطة سوائل الطف منها طبيعتها التهييج تأتيها على الاستمرار من البيئات المحيطة و قد فسر لامارك الطبيعة بانها القوة العامة المنزهة عن الفساد بطبيعتها التى لا تفتر عن التأ ثيرفى الموادطرفة عين و لكنها مجردة عن العقل و محكومة بقوانين و من بين هذه القوى قوة تسمى بالحياة وهى ليست بقوة خاصة لكنها نتيجة خاصة لبعض المركبات وجودها وقتى فيها و قال الانواع الحية لم تتكون الا سيئاً فشيئاً و وجودها نسبيّ و بقاؤها محدودو الطبيعة فى تكوينها الحيوانات بدأت من الادنى فما فوقه حتى انتهت الى الاعلى ولافرق بين النباتات و الحيوانات الا فى الحس و الحياة عنده عرض طبيعي و ليست باصل مستقل و قالا العقل منشأه الاعصاب فقط ولم يقل لنا لامارك كيف ان الطبيعة التى هى مجردة عن العقل استطاعت ان تخلق الاحياء من المادة الجامدة بحكم القوانين التى تحكم عليها ومن هو واضع هذه القوانين و من صير الطبيعة محكومة لهذه القوانين فالقوة العمياء بقانونها كيف تستطيع ان تتكون هذا التكون لبديع و تنوع االكائنات الحية من غير ان توجد هناك قوة عاقلة مدبرة تدبر شئون

العالم بحكمة تفوق الوصف فالماديون عاجزون عن جواب هذه الاسئلة جوابا يوافق بداهة العقل وان هذا لهو الضلال المبين

مذهب دارون

يقول دارون ان اصل الانواع النباتية و الحيوانية هو جرثومة واحدة اوجراثيم قليلة تطورت من حال الى حال تحت تأثير فواعل طبيعية حتى وصلت الى هذه التنوعات التي نراها و على رأسها الانسان و يقول ان اصل الانسان القرد ولكن هو حيوان بين القرد و الانسان لم يعثر على هيكله فى الاحافير للان و يعتبر دارون القرد الموجود الان نهاية ترق لفرع من افرع الشجرة الحيوانية و قد بنى دارون مذهبه على اربعة اصول طبيعية مشاهدة وهى -

١ - الاحياء تقبل التغير لمزاولة الحياة -

٢ - تنتقل هذه التغيرات الى النسل من طريقة الوراثة -

٣ - تتنازع الاحياء البقاء -

٤ - بقاء الاقوى و الاكمل من المتنازعين و تلاشى الاضعف

ولم يبحث دارون فى اصل الحياة بل قال ان الانواع كلها مشتقة من اصل واحد اواصول محدودة نفخ فيها الخالق روح الحياة فهو يعتقد بانها استمدت الحياة من خالق خلقها ثم اخذت فى التنوع لمقتضى نظرية سماها بالانتخاب الطبيعى و قد قرر اكثر العلماء المتأخرين ان هذين المذهبين لايحلان طلسم وجود الكائنات و تنوعها ولا يكفيان لتعليل اصغر تركيب آلى فى الطبيعة و نحن الان نشرح لك النواميس الاربعة التى ذكرناها -

فاذا فرضنا وجود سرب من الابقار الوحشية فى غابة تسير متحدة كعادتها لطلب الغذاء فان رأت مرعى تزاحمت عليه و القوى منها يفوز باطايبه فتزداد قوة على قوتها واضعفها يزداد ضعفا فبادمانها على هذا العمل القوى يتقوى و الضعيف يزداد ضعفاً فهذا يسمى ناموس تنازع البقاء -

فان انتقل هذا السرب الى مسافة بعيدة ومر بطريق و عرة لايقوى على اختراقها الاالممتازون منها بالقوة فلا يصل الى مأمنه الا الممتازون بالقوة فهذا يسمى بناموس بقاء الاصلح او الاقوى اوناموس الانتخاب الطبيعى -

و هذه الطائفة الباقية اذا اتفق وجودها فى بيئة جديدة فيها احوال جديدة من جهة المعيشة ولم تعتدها و حدثت فواعل طبيعية لم تألفها حدث انتخاب طبيعي جديد ولم يبق على قيد الحياة الا الممتازة منها بالجلد و القوة فاذا ادمنت الفئة الباقية المعيشة فى هذه البيئة الجديدة اضطرت الى اكتساب صفات جديدة جسدية و نفسية تناسب هذه الاحوال و الفواعل و هذا هو ناموس قبول الاحياء للتغير على حسب البيئات التى توجد فيها و هذا يؤثر على النسل الذى يأتى منها فيكتسب تلك الصفات الجديدة المكتسبة و يورثها هو ايضا نسله و هلم جرا و هذا مغزى ناموس الوراثة ـ

يقول دارون ان الخلية الاولى التى تكونت منها هذه الاحياء كلها تكاثرت او لا بحكم طبيعتها فصارت نباتات دنيئة اوحيوانات دنيئة فتولت النواميس الاربعة المذكورة آنفاً قرونا فلبثت تتنازع البقاء فلم يبق منها الا الاصلح ثم تتغير عليها البيئة فتكتسب صفات جديدة تورثها ذرياتها و هلم جرا حتى تتكون من هذه الجرثومة جميع المخلوقات ـ

هذه هي نظرية دارون التى اشتهرت فى العالم ولكن كثير من العلماء الراسخين اعترضوا عليه ولم يقبلوا صحة نظريته ولا صحة النوا ميس التى بنى عليها نظريته ثم جاء اخيرا العلامة دو فري فاثبت فساد اصول اللا ماركية والداروينية بالتجارب العملية فاعلن مشاهدات فيما سماه الا نتقالات او الظهور الفجائى لانواع نباتية جديدة طفرة بدون مرورها على صور تدريجية متنزلة من صور اسلافها الاولية قال الدكتور جوستاف جوليه بعد ما نقل قول دوفرى بان التحولات الفجائية هى القاعدة فى عالمى الحيوانات والنباتات وقال وهو محق فى قوله فاذا درس الانسان جميع التأريخ الطبيعي بدقة رأى نظرية التحول بالطفرة تصادف فى كل مكان مايؤيدها ومؤدى نظرية دو فرى المبنية على مقررات تجريبية يؤدي الى القول بالتولد الذاتى اي بالخلق المستقل و لكنه يقول ان التحول لم يحدث فى الاحياء بطريقة نظرية دارون من الانتخاب الطبيعى الآلى ولا بطريق نظرية لامارك من تأثير البيئة وحدوث التناسب التدريجى بين الكائنات والبيئات ولكن بطريق الطفرة اي ان القوة المدبرة للكون اوجدت الانواع المختلفة بعضها من بعض على سنة الطفرة فلاجل ايجادها للانسان مثلا حولت جرثومة القرد فى رحم القردة الى جرثومة انسانية فجاء ولدها انساناً لاقردا وصار نوعا قائما بذاته لا ان الانسان نشأ بلا قصد من تأثير ناموس الانتخاب الطبيعى على القردة او على حيوانات اخرى بابقاء الاصلح وباكتساب صفات و مميزات جديدة على سنة التدرج

البطئ في الوف القرون كما يقول دارون اوبتأثير البيئة كما يقول لا مارك ذكر ذالك العلامة فريد وجدي و فصل مذهب لامارك و دارون في كتابه ونحن لم نذكر ذالك بالتفصيل وانما ذكرنا ملخص مذاهبهم

وقد قال جو ستاف جوليه حياة الحشرات تنقض مذهب دارون ولامارك ونظرية التحول البطئ المستمر ولنضرب لك مثالا منقولا من كتاب (على اطلال المذهب المادى) فدودة القز تولد دودة تحياايا ما حياتها المعروفة ثم تنسج لنفسها شرنقة فتدخل فيها و هناك لاتموت فقط بل يسيل جسمها و يستحيل الى مادة اولية لاشكل لها ثم تتركب هذه المادة بنفسها فتكون جسما لانسبة بين شكله و شكل الدودة تكون فراشة ذات اجنحة و غرائز اخرى غيرغرائز الدودة فهذا المثال وحده يبطل كل نظريات الداروينيين واللامار كيين المؤسسة على ان اختلاف الاعضاء وتطورها وارتقاء الانواع و اشتقاق بعضها من بعض لايكون الاعلى مقتضى نواميس سموهاباسماء متنوعة و الحقيقة ان كل نوع نشأ كمانشأت الحشرة بفعل قوى ليست من القوى الطبيعية المعروفة واي شاهداصدق من هذا الشاهدالمحسوس و في الحقيقة اكثر النظريات التعليلية اوهام باطلة وانماوضعوها ليثبتوابها نظرياتهم وينسبوا كل شئ الى الطبيعة وينفوا وجود خالقها ـ

وممن انتقد نظرية لامارك و داروين الاستاذ الكبيرالسيدابراهيم الراوى الرفاعى في سور الشريعة في انتقاد نظريات اهل الهيئة والطبيعة صفحه (١٣) بمانصه المطلب الاول في انتقاد نظريةلامارك و داروين التيكان يلقيها على التلا مذة في المكتب الطبي الذى في القسطنطينية اسماعيل حقى بك الاختصاصى في علم ا لفلسفة حول نشأ الانسان فقال ـ

زعم اصحاب هذهالنظرية ان النوع البشرى كان في الاصل حيوانا قردة اوشبه قردة ثم بمرور السنين والدهور تلطف تدريجاو تكا مل الى ان وصل الى هذا الحال المشاهد و لايخفى ان زعمهم هذ ا مردود شرعا وعقلا اماشرعاً فقد قال الله تعالى في اول سورة النساء يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها وبث منهمارجالا كثيراونساء الخ

نفي القصد والغاية

يقول الماديون ان الاجرام السماوية والكائنات كلها تخضع للناموس الملازم لها و يقولون الكون منتظم بحكم الضرورة و لم نعرف ماهي الضرورة التي تقضى بهذا النظام

البديع المنزه عن الخبط و من جعل الكواكب تسبح فى الفضاء على مداراتها بنظام فى غاية الدقة والضبط وهل الضرورة قوة مدبرة ام كلمة ليس لها معنى اما الماديون فينكرون وجودقوة مدبرة فاذن الضرورة عندهم هي كلمة فارغة ليس لها معنى و انما وضعوها فقط لتأييد مذهبهم فيكررون هذه الكلمة عند الضرورة من غير تدليل فيقولون ان الكون خلق من غير قصد بل كل ذالك اوجد ته العوامل الطبيعية والفواعل الوجودية فلوتأملت فى عالم الحيوانات لرأيت جميع اعضاءها خلقت بحكمة وقصد فكل عضو من اعضاء الحيوانات خلق بقصد و حكمة وكذالك انظر الى كرتنا الارضية تجدها مأهولة بالنباتات و الحيوانات وهى من وسائل العيش فجعلت الارض مأهولة بها بقصد واذانظرت الى عالم النباتات و سرحت فكرك فى اجزائها تراها خلقت بقصد و حكمة وسنذكر ذالك فى بحث النباتات والحيوانات قال العلامه لويزبوردو فى كتابه (مسئلة الحياة القول بوجود القصد هوالمصباح الذي ينير مسائل علم البيولوجيا (علم الحياة فاذا حرمت من هذا النور اصبحت علوم التشريح والفزيولوجيا (علم وظائف الاعضاء)غيرمفهومة و خالية من المعنى وقس على ذالك كل شئى و حيثما يتأسس نظام ويستتب و يترقى وتشاهد اقترانات وتطابقات واتجاهات وظيفية الى غاية واحدة اواستحالة منتظمة لذرة واحدة اوالعالم برمته ، هناك يجب ان يعترف بان هنالك قصداً مقصوداً وروحاً مدبرة ، لانه بدون ذالك تفقد وحدة المجموع رابطتهافالقصد يظهر فى تلاؤم الحوادث ويثبت به

وقال الاستاذ فون بايرالالمانى فى الغاية والقصد اذاكانوا يعلنون الان بصوت جهوري بانه لايوجد قصد فى الطبيعة وان الكون لايقوده الاضرورات عمياء فانا اعتقد ان من واجباتى ان اعلن عقيدتى فى ذالك وهى انى على العكس ارى جميع هذه الضرورات تؤدى الى اغراض سامية وان الزوبعة الفكرية التى ثارت فى ايامنا هذه تعلن ان هذه التعاليم لايثبت كثيراو الذي اعتبره اناقصداً فى الحياة العضوية لايمكن ان يضحى فى سبيل سلسلة من الاتفاقات (و المصادفات)

قال العلامة فريد وجدى معترضاً على الماديين هل الضرورة هى التى ادركت ان دوام النوع لايكون الا بايجاد انثى بجانب الذكر تشابهه فى التركيب الظاهرى وتخالفه فى التركيب الباطنى فاعدت لكل منها الاعضاء اللازمة للتوليد ثم ادركت ان تقاربها لايمكن ان يكون بمجرد عاطفة حفظ النوع وان لابد لذالك من وسيلة تجعل اتصالها امرا محتما عليها فخلقت لكل منهالذة فى ذالك الاتصال ليكون واقعا لا محالة مهمااعترضها من العواثير فاخذ احدها ينجذب الى الاخرطلباً لتلك اللذة وتوفية لتلك الحاجة ليتم التلقيح وان لم يريداه ولم يسعيا اليه ـ

اللهم ان آثار القصد فى هذا الامر من اظهر مايكون فان كانت الضرورة هى التى فعلت ذالك فهى ضرورة عاقلة مدبرة حكيمة مريدة لبقاء الانواع تستحق ان تعبد وان يتأمل فى آثار رحمتها وسعة سلطانها ويتعجب من شمول علمها واحاطة قدرتها ـ

الضرورة ما احقرهذه الكلمة بجانب هذا الابداع العظيم و حيال هذه المشاهد الطبيعية التى لاتحد ـ

الضرورة ما اضيق مدلول هذه الكلمة عن تفسير عجائب هذا الخلق وتعليل قيام هذا الوجود المحير لاقوى المدارك ـ

واذا كانت الضرورة اعجز من ان تعلل ظاهرة واحدة من هذه الظواهر التى لاتحصى فان القائلين بها يستحقون الرحمة لاالرد و شبهتهم تستحق السخرية لا الحل ـ

الا لهام فى الحيوانات

نحن نأتى فى هذا الفصل بملخص ماكتبه العلامة فريد وجدى و ماقاله العلماء فى امر الالهام ـ

الماديون ينكرون الالهام الحيوانى وينسبون مايصدر من الحيوانات من الحركات لحفظ وجودها و البحث عن غذائها الى الضرورة العمياء هربا من القول بالقصد مع ان آثار القصد بادية فى حركات الحيوانات تشهد بالقصد الالهى والعناية الربانية ـ

يقول الماديون ان الالهام الحيوانى عادة موروثة فان النحل مثلا اهتدى بعد محاولات كثيرة ببناء خلاياه على نسق معين فادمن عليه فصار عادة له فاورثها صغاره ولكن اثبت غير الماديين من علماء الحيوانات ان هذا الزعم باطل فاخذوا حيوانات كالنحل وكلب البحر وهى صغيرة جداً وربوها حتى كبرت وهى لم تر مايفعله اباؤها ثم تركوها ففعلت نفس اعمالهم من بناء مساكن واقامة جسور وسدود (من عادة كلب البحر انه يبنى السدود على الانهار) بحيث لم يوجد ادنى فرق بين العملين فكيف يمكن تعليل هذه المشاهدة بغير الالهام الذي اودعه فيه الخالق ـ

ان كان ذالك عادة موروثة فلم يرث الانسان عادة آبائه فى البناء و النحت وهم قد اعتادوها منذ الوف مؤلفة من السنين و انت ترى انك لو ربيت احد افراده بمعزل عن الناس لنشأ جاهلا لايكاد يميز بين الخير والشر فاما ان يقول الماديون بان الحيوان ارق عقلا من الانسان او يقروا ان صنائع الحيوانات من الالهام الالهي ـ

و من الحيوانات التى تثبت الالهام الالهى هو الفراش فانه متى و صل الى الطور الثالث من حياته يضع بيضة على هيئة دوائر على الاوراق الخضراء هذا البيض لايفقس الافى الفصل التالى فيخرج على هيئة ديدان صغيرة فى الوقت الذى تكون فيه امهاته فى عداد الاموات اى انها لاتراه فمن الذى علم الفراش ان صغاره متى خرجت احتاجت الى التغذى بجنى النباتات الخضراء؟ و من الذى هداه الى وضع بيضه على تلك النباتات؟ هل هداه آباؤه الا انه لم يرها فى حياته فلم يبق الا الالهام الالهى -

و من المحيرات للعقل ماصرح به الاستاذ ميلن ادوارد فى جامعة سربون من فرنسا فقال ان الحيوانات المسمى (اكسيلوكوب) تراها طائرة فى الربيع تعيش منفردة و تموت بعد ان تبيض مباشرة فلم ير صغارها امهاتها ولاتعيش هى حتى ترى اولادها التى تكون على حالة ديدان لاارجل لهاولا تستطيع حماية نفسها من اية عادية ولا الحصول على غذائها ومع ذالك فحياتها تقتضى ان تعيش مدة سنة من الزمان فى مسكن مقفل وهدوء تام و الا هلكت فترى الام متى حان وقت بيضها تعمد الى قطعة من الخشب فتحفر فيها سرداباً طويلا فاذا اتمته على ماينبغى اخذت فى جلب ذخيرة تكفى صغيرها سنة و تلك الذخيرة هى طلع الازهار و بعض الاوراق السكرية فتحشوها فى قاع السرداب ثم تضع بيضة و تأتى بنشارة الخشب تكون منها عجينة تجعلها سقفا على تلك البيضة ثم تأتى بذخيرة جديدة تضعها فوق ذالك السقف ثم تضع بيضة اخرى و هكذا فتبنى بيتهامكوناً من جملة ادوار ثم تترك الكل و تموت قال العلامة ميلن ادوارد عقب هذه المشاهده -

يجب ان يدهش الانسان لما يرى حيال هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون لك ان كل هذه العجائب الكونية ليست الا نتائج الاتفاق (الصادفة) او بعباره اخرى نتائج الخواص العامة للمادة و اثر لتلك الطبيعة التى تكون مادة الخشب ومادة الاحجار و قالوا ان الهامات النمل مثل اسمى مدركات القوة المدركة الانسانية ليست الا نتيجة عمل القوى الطبيعية و الكيماوية التى يتم بها تجمد الماء واحتراق الفحم و سقوط الاجسام -

ان هذه الفروض الباطلة بل هذه الاضاليل العقلية التى يسترونها باسم العلم الحسى قد دحضها العلم الصحيح دحضاً فان الطبيعى لايستطيع ان يعتقدها ابداً واذا اطل الانسان على وكر من اوكار بعض الحشرات الصيفية يسمع بغاية الجلاء و الوضوح صوت العناية الالية ترشد مخلوقاتها الى اصول اعمالها اليومية انتهى -

جسم الانسان و اعضاؤه ومافيها من الاسرار

اذا نظرت الى الكون بعين البصيرة يظهرلك بانه خلق بقصد و حكمةواذارأيت شيئا لم تظهر لك حكمته فذالك لقصور علمک و ادراکك لا لا نه عار من الحكمة فكم من حكمة واسرار فى الكائنات خفيت على جهابذة العلماء فانكروها ولما ظهرت لهم الحقيقة رجعواعن غيهم و انكارهم -

قال الاستاذ شارل ريشه المدرس بجامعة الطب الفرنساوية ان حواسنا من القصور و النقص على حال يكاد معها يفلت من شعورها الوجود كل الافلات ثم قال ان كل هذا العلم الذى نفخر به الى هذا الحد ليس فى حقيقته الا ادراكا لظواهر الاشياء و اما حقائقها فتفلت منا و لا تقع تحت مداركنا و الطبيعة الصحيحة للنواميس التى تقود المادة الحية او الجامدة تتعالى عن ان تلم بها عقولنا مثال ذالك اننا اذا القينا حجراً فى الهواء نراه يسقط الى الارض فلماذا سقط الى الارض؟ يجيبنا نيوتن بقوله سقط بجذب الارض لهجذباً مناسباً لكتلته و للمسافة التى سقط منها و لكن ما هو هذا الناموس ان لم يكن مجرد تحصيل حاصل و الا فهل منهم احد ادرك تلك الذبذبة الجاذبة التى تجعل الحجر يسقط على الارض ان ظاهرة سقوط حجر على الارض من الشيوع بحيث لا تدهشنا ولكن الحقيقة انه لايوجد عقل انسانى فهم ذالك ان هذه الظاهرة عارية و عامة و مقبولة و لكنها غير مفهومة ككل ظواهر الطبيعة بغير استثناء انتهى قد حاول الانسان تعليل وجود الاحياء و تنوعها على الارض و مع اطلاعه على الدقائق البيولوجية (علم الحياة) و الامبريولوجيه و اطلاعه على قيقة المؤثرات الطبيعية و العوامل الخارجية لم يهتد الى حقيقة الحياة و تأثير الفواعل التى اشارإليها لامارك و دارون فى الاحياء مع تسليمنا بتأثيرها غيركافية فى تعليل وجودالاحياء وتنوعها بل انهامن المسائل التى لاتحل -

درس اعضاء الانسان

لونظرت الى بدنک بعين التبصر و الاعتبار لظهرت لك فيها حكم تحيرعقلك و تذهب بلبك و تدل على وجود مبدعها انظر اولا لى عظامک التى هى دعائم بدنک و الى ما جعل لها من الاغشية و اوضاع المفاصل و الرباطات و الغضاريف لحفظ كيانها و ارتباطها - و اسكان حركتها وهى تبلغ مأتين و ثمانية و كل واحدة منها خلق بقصد وحكمة كما هو مصرح فى علم الفزيولوجيا و علم التشريح قال الله تعالى (انظر الى العظام

كيف ننشزها ثم نكسوها لحما) ثم انظر الى جلدك الذى غلف الله به بدنك فقد اودع فيه حاسة اللمس و جعل منه البشرة بمنزلة القشرة و جعلها سميكة صلبة فى الاجزا* المعرضة للضغط كراحة اليد واخمص القدمين و رخوة خلوية فيا بقى و جعل فى الجلد منافذ تقوم بحاجات الانسان وجعل فيه مساماً كثيرة جداً لافراز فضول بدنه و امتصاص مروحات اعضائه وتأمل فى الجهاز الهضمى ومافيه من عجائب الحكم وانظر الى المعدة و وضعها وما اشتملت عليه من الطبقات والغدد والشرائين والغدد والاوردة والاعصاب لاداء الوظائف والغايات يدخل الطعام الى الفم بواسطة اليدين وهناك تقطعه القواطع اي الاسنان الاربعة الواقعة فى مقدم الفم ثم تمضغه الاضراس جيدا بعد ان يمتزج بالمادة اللعابية التى تفرزها الغدد اللعابية ثم تنقبض العضلات فيضغط على اللقمة التى تنتقل حالا الى البلعوم ومن هناك الى المرى بانقباض العضلات ثم يدفع المرى هذه اللقمة الى المعدة وهكذا يصل الطعام الى المعدة حيث تأخذ المعدة فى اجراء وظيفتها بانقباض طبقاتها وبعد ا ن يمتزج الطعام بالعصارة المعدية يتحول كتلة رخوة لينة تسمى كيموساً وتدفع هذه المادة الى الاثناعشرى فتتحول بواسطة المرارة والعصار البنكرياسي الى جزئين مادة شبيهة باللبن تدعى كيلوساً ومادة تدعى فرثا وتمر هاتان المادتان

(بيان الاصطلاحات الطبية)

(الغدد اللعابية) هى غدد صغيرة تفرز مادة الريق تساعد فى مضغ الاطعمة لانها تمتزج معها فتجعلها لينة قابلة للبلع ـ

(البلعوم) هو كيس عضلى غشائى يوصل بين الفم والمرىء ـ

(المرىء) انبوبة كبيرة غشائية ـ عضلية يمر منها الطعام والشراب الى المعدة وهى واقعة تحت الرئة اليسرى والقلب ـ

(المعدة) تتألف من ثلاث طبقات رقيقة و رخوة نسمى الظاهرة منها الزلالية والمتوسطة العضلية والداخلية المخاطية و نشاهد هذه الاقسام جيداً فى كرش الغنم ـ

(الامعاء) هى تتمة القناة الهضمية و نقسم الى قسمين عظيمين الى المعى الغليظ والمعى الدقيق فالدقيق طوله خمس و عشرون قدما و الجزء العلوي منه يسمى الاثناعشري وهو الاهم وطول المعى الغليظ خمس اقدام ـ

(الاثنا عشرى) يسميه البعض المعدة الثانيه هو الجزء الاهم من المعى الدقيق و طوله نحو اثنا عشر قيراطاً يبتدي عند فتحة المعدة السفلى ـ

(الاوعية اللبنة) انابيب رقيقة تنشأ من الغشاء المخاطى للمعى الدقيق

*6

من الاثنى عشري الى بقية الامعاء و بعد ذالك يفرز الكيلوس من الكيموس بواسطة الاوعية اللبنية النافذة الى المعي و بعد ذالك يتغير الكيلوس والفرث يدفع الى خارج الجسم

فالطعام يحتمل خمس تغيرات قبل ان يناسب احتياجات الجسم اولا ـ

(١) يتحول فى الفم الى مادة لزجة وبسمى هذا العمل المضغ ـ

(٢) يتحول بعد ان يصل الى المعدة بفعلها و امتزاج الطعام بالعصارة المعوية الى كيموس ـ

(٣) يتحول الكيموس فى الاثنا عشري بفعل المرارة والعصارالبنكرباسي الى كيلوس ويسمى هذا التحويل عمل الكيلوس ـ

(٤) يتحول الكيلوس بعد مروره بالاوعية اللبنية والقناة الصدرية والقلب حيث يصل من هناك الى الرئتين فيتهوى ويصير دماً ـ

(٥) تم وظيفة الهضم بافرازالفرث واخراجه فالطعام الذي يهضمه الانسان و يصير جزءاً من بدنه بدخل اولا الى المعدة فيتغير ويتحول الى سيال ومابقى مالافائدة للجسم منه يفرز فترى فى عملية الهضم غرائب تحير العقول فكل جزء من الجهاز الهضمى له وظيفة يقوم به بدقة و حكمة ألا تدل هذه الاعمال العجيبة الصادرة من الجهاز الهضمى على حكمة بارعة وان كل جزء منه لم يخلق الابقصد و حكمة ليقوم بوظيفته الموكلة اليه من قبل خالقه لتحويل المواد الجامدة الى جسم حى نام ومهما ادرك العلم من فوائد هذا الجهاز العجيب فلم يصل الى حقائقه ـ

ومايدهش العقل هى افعال الدماغ و النخاع المسمى بالحبل الشوكى القائمين بامور عظيمة فى الحياة و الشعور وقد روعى ضعف جوهرها عن الصدمات فجعلا فى المحافظ المتينة والعظام القوية و المجموع العصبى يتألف من الدماغ والا عصاب الجمجمية والنخاع الشو كى والعصب السمبا توي فالدماغ عضو نخاعي وهومادة لينة بيضاء مقررة داخل الجمجمة وهو مغلف بثلاثة اغشية الغشاء الخارجى منها ضعيف وقاس والمتوسط رقيق شبيه ببيت العنكبوت والبطن شبكة اوعية دموية والمخ هو الجزء الاكبر من الدماغ وهومؤلف من مادة بيضاء مكتنفة بطبقة غير منتظمة من

مادة سنجابية اللون والجزء الاسفل منه يسمى بالمخيخ والنخاع الشوكى هو المادة المتصلة بالمخيخ والممتدة الى آخر الفقرات ويغطى بغمد اوغشاء يمتد من الدماغ على طول العمود الشوكى والجزء الاعلى منه داخل فى عظام الجمجمة ويدعى النخاع المستطيل والاعصاب هي خويطات بيض ناشئة من الدماغ والنخاع الشوكى و متفرقة فى كل اجزاء الجسم والاعصاب الشوكية الناشئة عن النخاع الشوكى مرتبة فى واحد و ثلاثين وهى مركبة من قسمين احدهما مقدم وهوالمحرك والاخر مؤخر وهو الحساس و يتضمن كل عصب شوكى خيطين منفصلين من المادة العصبية احدهما يعطى قوة الحس والثانى قوة الحركة الى الجزء الذي يتفرق منه والعصب السمباتوي من سلسلة عقد ممتدة على كل جانب من العمود الشوكى على طوله وهي تتصل بكل من الاعصاب الجمجمية والشوكية وتتفرع فى جميع الاعضاء الداخلية ـ

قال الفزيولوجيون ان الدماغ مجلس العقل واما المخ فتنتسب له قوى الفكر والذاكرة والارادة وهوفى الجسم الانسانى الجزء الممتد من الجبهة الى المؤخري وهو يغطى المخيخ كله والمخيخ تنسب اليه الصفات الحيوانية الدنيا ـ

وقالوا ان انقباض العضلات يتم بواسطة ارادة الدماغ لانه مركز الارادة و الحركة فى الانسان فاذا اراد الدماغ تحريك عضو او عضلات يصدر اليه مايريده ولذا اذاكان الدماغ مستكنا تكون سائر الاعضاء والعضلات مستكنة ايضا وبالعكس اذا ارسل الدماغ سطوة عصبية على عضلة تنقبض حالاوتتحرك الاعضاء المندغمة فيها ـ

والعصب السيمباتوي هو اصل حياة جميع الاعضاء المهمة فى الجسد فان كل عضومن الجسد تحت سطوته قال الدكتور بلس زعم البعض ان العقل هوالدماغ نفسه وان الفكر فعل من افعاله واستدل على ذالك باختلال العقل لمرض دماغى و بضعفه فى الهرمين لضعف ادمغتهم ـ

ولكن لنا ادلة كثيرة لمنافاة هذا الزعم منها عدم اطراد ما استدل به عليه لانه قد يحدث مرض فى الدماغ ويبقى العقل سليما وقديزيد قوة ثم انا وان فرضنا اطراده لاينتج عنه مازعم لامكان نسبة الاختلال اوالضعف الى وجه آخر فمن الممكن ان الدماغ هو الالة التى يتوصل بها العقل الى ادراك مافى الخارج فاذا اختلت هذه الالة فلابد من ظهور الاختلال فى ما ارتبط بها من القوى العقلية مع ان تلك القوى لم تتغير وذلك كما اذا وقع شعاع من الشمس على زجاجة مدخنة فالضوء الذي ينفذها يضعف

عما كان قبل النفوذ مع ان اشعة الشمس باقية على حالها فاذا لا يقوم ذالك الزعم و اذا قيل ما العلاقة بين العقل والجسد فالجواب ان العقل جوهر مجرد ذوقوى مختلفة مرتبط مع الجسد تتحرك قواه اولا بالات الحس الظاهرولذا يظن انه اذا منع عن المؤثرات الخارجية منع عن الفكر والعلم بوجوده و اذا نبه بها اخذت قواه بان تتم اعمالها وتلك القوى تتقوى بالممارسة حتى تبلغ اعلى درجات الارتقاء كما فى الفلاسفة و خناذيذ الشعراء ـ

وقد شبهوا العقل بقرطاس او بآلة ذات اوتار فان القرطاس لا ينتظم فى سلك الطروس و المؤلفات الا بالكتابة و الالة الموسيقية لاترن بالحانها بدون الضرب كذالك العقل لايحصل عنده تصورما بلا تأثير خارجى الا ان العقل فاعل مختار يتصرف بمدركاته المسببة من ذالك التأثير خلافاً لما شبه به انتهى ـ

و فى الحقيقة اننا لانشك فى العلاقات التى بين الدماع والمخ و بين القوى العقلية كما انه يصعب علينا الاعتقاد بان الفكر ماهو الا عرض يلازم اهتزازات دقائق المخ المادية التى هى عبارة عن كتلة مادية صرفة كما يعتقد ذالك الماديون و فى الحقيقة العقل والشعور شئى آخر كما تدل على ذالك بداهة العقل ـ

قال الدكتورسنيار فى المؤتمر السنوى للطب النفسانى بانه لم يشاهد قط حادثة زوال اوضعف اواضطراب خاص لاحدى الوظائف العقلية تابعة لاصابة خاصة لجزء من اجزاء المخ حتى انه لم يعد من الممكن تعيين عضو محدود يكون مركزاً للنفس كالفصوص الجبهية مثلا وقال الدكتور ترود بعد ان قام ببحث العلاقات الموجودة بين المخ و الفكر سرد عدداً من المشاهدات التى حصل عليها بعد درسه لجروح المخ فظهرله انها منطبقة على المقررات المذكورة آنفاً و من بين هذه التجارب مادل على ان بتر جزء عظيم من المخ لم تكن نتيجته تقليل صفات الشخصية وقد شاهدالدكتور (رافجو) جريحين شفيا بعدان اخترقت القذيفة مخيهما من طرف الى طرف انتهى فهذه التجارب تدل على ان العقل والفكر ليسا بعرض يلازمان اهتزازات دقائق المخ بل هما قوى مجردة او اشياء غير مادية لا ندرك حقيقتها لقصور علمنا كما انا لا ندرك كيفية ارتباطها مع الدماغ و المخ وقد ظهر ان الاصابات المخية الخطيرة لاتغير شيأً فيما يختص بالذاكرة وهي الخاصة الاصلية المميزة للشخصية و قيل ان العقل الباطن الذي يسمونه (Subconscience) هوماشوهد فى اثناء النوم المغناطيسى والانتقال النومى من ان للانسان وراء عقله العادى عقلا ارق وثبت انه هو المصرف لجميع الاته والحافظ لكل

مدركاته يدرك و يشعر من ذاته مستقلا عن الحواس وليس عقلنا العادي الامظهرا من مظاهره ـ وكتب العلامة فخر الدين الرازى فى كتابه المباحث الشرقية لوكانت القوة العاقلة جسدانية لضعفت فى زمان الشيخوخة دائماً لكنها لا تضعف فى زمان الشيخوخة دائماً فهى اذاً غير جسدانية وقال (قالوا القوى الجسمانية تكل بكثرة الافعال ولاتقوى على القوى بعد الضعف وعلة ذالك ظاهرة لان القوى الجسمانية بسبب مزاولة الافعال الكثيرة تتعرض موادها للتحلل والذبول وبسبب ذالك يعرض الضعف لها واما القوة العقلية فانها لا تضعف بكثرة الافعال و تقوى على القوى بعد الضعف فظهر انها غير مادية زعم الماديون ان نسبة الفكر والقوى العقلية مصدرها الدماغ وقالوا ان الانسان آلة مادية صرفة تتلاعب به التأثيرات الخارجية ولكن لو سألتهم كيف تتحول هذه الحركات الاهتزازية كالحركة الاهتزازية التى تولد الصوت اوالضوء مثلا بعد وصولها الى مراكزها النسبية من الدماغ الى ادراكات حسية وافكار فهمية يجيبوك ان هذه الاهتزازات حينا تبلغ المراكز الحسية من الدماغ يحدث فيها من رد الفعل ما يحدث فى مراكز النخاع الشوكى فتهتز لها الاعصاب المحركة المناسبة لها وتوقظ القوى الكامنة فيها فتقوى الا هتزازات وتدفعها الى الاعضاء تحت هيئة امر محرك و لكن تلك الاهتزازات والتهيجات العصبية لا تكون الامحركات مادية فكيف تحدث ادراكا وفهما و فكرة فلاريب ان الماديين يعجزون عن جواب هذا السوال جوابا معقولا يقبله العقل السليم واما الذين يعتقدون بوجود الروح فيعلموننا وجود شخصية عاقلة فيناتسمى نفسا تنتبه الى مايطرأ عليها من الحوادث الخارجية فتكون سبباً للادراك والفهم و يؤيد ذالك حادث الذهول فعندما نكون مستغرقين فى عمل من الاعمال نغفل عن سماع تكتكة الساعة اوصوت آخر مع ان اهتزازات الصوت اثرت فى عصب سمعنا وبلغت الى الدماغ من دون ان نتنبه لها وما ذالك الالكون نفسنا المشتغلة بافكار اخرى لم تنتبه فلم تؤثرفيها الاهتزازات المادية فلهذا لم ندرك الصوت فالمادة بذاتها عديمة الاحساس والمادة الدماغية ماهي الا آلة لاظهار احساسات النفس العاقلة

(العين) انظر الى عينيك فقد جعلها الله فى محل مناسب لها للابصار وقد وضعها فى التجويف الحجاجي وقاية لها من الافات واستخدم فى وقايتها الحواجب والاجفان والاهداب زيادة على ما لهذه الاجزاء من الفوائد وكم فى العين من البدائع التى تدهش العقول فانها تتركب من طبقات وهي الصلبة والقرنية والمشيمة والقزحية

الملونة بالاسود اوالازرق اوغيرها والشبكية و الرطوبة المائية والبلورية التى هي كالعدسة المحدبة من وجهيها والرطوبة الزجاجية وكلها طبقات موضوع بعضهافوق بعض وضعاً هندسياً بحيث لواختلت واحدة منهاعن موضعها اختل النظر ولكل جزء من العين وظيفة خاصة تبهر العقول فالقرنية خلقت محدبة لتكون اقوى على جمع النور وثقب الصلبة من الخلف لمرور العصب البصرى الذى يحمل حس البصر الى الدماغ وعند هذا العصب تكون وريقة رقيقة غربالية تمرمن ثقوبها خيوط العصب و يمرمن اكبر ثقوبها الشريان المركزى ليزود العين بدورة الدم و الحجاج هو العظم الذى ينبت عليه الحاجب الذي يقيها من العرق وغيره من الاجسام الساقطة والحجاج عند الاطباء هو الكفة التى وضعت فيها المقلة لوقايتها من الآفات بوريد لرد الدم الى القلب فى دورة الدم ماعدا اوردة اخرى لاكمال هذه الوظيفة وحول الوريقة الغربالية ثقوب اصغرمن الاولى تمر منها الاوعية والاعصاب الهدبية

والعين هي الالة التى تدرك بها المرئيات وهذا الادراك يعرف بالبصروعلة حصوله هي النور الاتى من الاجسام المرئية فترتسم صور المرئيات على عصب البصر فيشعر الناظر بها ، والعين مؤلفة من ثلاث طبقات و ثلاث رطوبات فمقلة العين وهي الكرة المتضمنة داخل جفونها فالطبقة الاولى مؤلفة من الصلبة المعروفة ببياض المقلة والقرنية بالامام وهذه متصلة ببياض المقلة اتصال بلورة الساعة بغطائها بكونها اعلى و اعظم تحدياً منها وهي مقطوعة من رأس اهليلجى يجمع الشعاع الى بؤرة واحدة خلقت شفافة تماماً لكى ينفذ النور فيها ثم الطبقة الثانية التى تليها وهى مؤلفة من المشيمية وهي سوداء مظلمة و خلقت كذالك لكى تمنع ازدياد انعكاس النور الى الخلف والامام فى العين والقزحية هى ذات سطح مستو فى وسطه ثقب مستدير يصغر ويكبر بواسطة الياف عضليةمستطيلة وحلقية لاجل قبول الكمية اللازمةمن النور فتضم الحلقية الثقب عند كثرة النور كما اذا نظرت العين الشمس وبالعكس عندقلتها كما اذاكان الناظرفى الليل وسمي هذا الغشاء بالقزحيةلشبه الوانه بقوس قزح ثم الثالثة وهي غشاءرقيق عليه ترسم صورة الاشباح عندمقدم عصب البصر ويقال لها الشبكية وهي مؤلفة خصوصا من خيوط رفيعة تتفرع من العصب المذكوروالرطوبات الثلاث اولها المائية وهي المائية الفسيحة وتمتد الى امام القزحية وخلفها فترى هيئتها كهيئة عدسة هلالية وسميت بالمائية لشبهها بالماء وثانيها مايقال لها الرطوبة البلورية وهيئتها هيئة عدسة مزدوجة التحديب لكن تحديبها الخلفى اعظم من الامامى قال الاستاذ اسعد الشدودى بعد ذكرالرطوبة البلورية فى كتابه (العروس

البديعة) ومماينبهنا بنوع خصوصي الى حكمة باريها كون اجزائها الوسطى مصنوعة اكثف من التى حولها لكى تعظم قوة تكسير الاشعة فيها فيزول الخطأ الكروي والرطوبة الثالثة هي التى تملأ التجويف داخل الطبقة الشبكية وهي مادة متجمدة قليلا اشبه بالزجاج فلهذا تسمى بالزجاجية وهذه الرطوبات الثلاث مع القرنية خلقت شفافة منحنية السطوح لاجل نفوذ النور و تكسيره فى العين لكى تتجمع و يطبع صورالاشياء الخارجة على الشبكية فيشعرالناظر بالمرئيات قال المعلم اسعد الشدودى فمن يلاحظ ماذكر فى العين ولايتعجب من حكمة و قدرة باريها فهوبليد احمق

تكون الصورعلى شكبة العين اذاوقعت اشعة من الضوء على العين فانها تعانى عدة انكسارات متعاقبة اولا عند سطح القرنية و بعدئذ عند الطبقات المتتالية من العدسة البلورية فتلم الاشعة و تتكون صورة حقيقية منقلبة للمرئى التى نظراليه العين فاذا وقعت هذه الصورة على شبكية نشأ من ذالك رؤية الصورة المرئية ومع ان الصورة المرسومة على الشبكية تكون منقلبة ولكننا نرى المرئيات معتدلة اي مستقيمة والسبب فى ذالك هو ان ادراك المخ لصورة مكونة على الشبكية يظهرلنا اسفلها كما لوكان اعلاها والعكس بالعكس اي المخ يقلب الصورة المنقلبة المكونة على الشبكية مرة اخرى فنراها معتدلة كالمرئى الذي احدثها وسنبحث عنها فى البصريات ـ

وقد جعل الله لوقاية عيوننا من الغبار و العرق و النور المفرط الحواجب و الاجفان فانها تصون العين منها والاهداب التى هي شعر خفيف ينموعلى الاجفان جعلها الله لمنع اذية هذا العضو النحيف من المواد المختلفة التى قد تجلب له الضرر وهي عندتغميض العين تتصالب فتمنع الاذية عنها وكذالك ترطب سطح العين الظاهر بافرازها بعض المواد المائية من غدد فيها فترى من نظام البصر ان الله لم يخلق شيئاعبثا بل خلق كل شئي بقصد و حكمة ولواننا لم نفهم حقائق بعض الاشياء لقصور مداركنا حتى الدموع تفرز لفائدة فانها تفرز فى الغدة الدمعية فوق المقلة و تسيل الى العين بواسطة عدة قنيات وفائدتها انها تغسل العين مماعليها من الغبار اذ تحملها الى انبوبتين عند مآق العينين ـ

الجهاز السمعى

الاذن هى آلة السماع و الجهاز السمعى يتألف من ثلاثة اجزاء وهى الصيوان او الاذن الخارجية والطبلة وهي الاذن الوسطى والتيه و هوالاذن الداخلية فالصيوان

هو طبقة غضروفية متغضنة بغضون غير منتظمة يمتد منه انبوبة قمعية الى الاذن الوسطى

و الطبلة اوالاذن الوسطى هي عبارة عن غشاء شفاف يدعى طبلة الاذن و ينفع لمنع دخول الاقذار الى الاذن الوسطى بمساعدة الشعر والرمص المر الموجودين فى انبوبة الاذن و تتصل الاذن الخارجية بالدا خلية بواسطة اربع عظيات صغار تعد من اجمل عظام الجسم فى الهيئة و المرتبة و اصغرها وهي ممتدة من غشاءالطبلة الى التيه مارة بتجويف الطبلة و الاذن الداخلية تتركب من تجويف مثلث الزوايا يسمى دهليزاً ومن القوقعة و القنوات الهلالية وهى اشد ضرورة للسمع اذ من الممكن ازالة جميع الاجزاء الخارجية مع بقاء حاسة السمع مع بقائها و عصب السمع يأتى من الدماغ و يمتد على الغطاء الداخلى الذي يبطن الاذن الداخلية و نسمع الاصوات كلها بواسطة الاذن فالاذن الظاهرة تجمع الاصوات الحاصلة عن ارتجاج الاجسام فى الهواء على غشاء الطبلة بواسطة الانبوبة التى تصل الاذن الخارجية بالوسطى فينفصل غشاء الطبلة بتموجات الهواء ويوصلهاالى العظيات و يخفف شدة الصوت ايضا والاذن الوسطى توصل توسط الارتجاجات الحاصلة فى غشاء الطبلة من تموجات الهواء الى الاذن الداخلية ويتم هذا العمل بواسطة الهواء المنضمن فى تجويفها و سلسلة العظيات الممتدة من غشاء الطبلة الى كوة الدهليز البيضية والعصب السمعي ينقل ذالك الى الدماغ و الحاصل عندالعقل من هذا التأثير السمع فالدماغ مركز مادي تؤدى اليه دواعي الحس وتصدر عنه بواعث الحركة الاختيارية ـ

حركة القلب والدورة الدموية

و من عجائب قدرة الخالق و آياته الباهرة هي حركة القلب و الدورة الدموية ومن نظر بعين البصيرة الى جسمه و درس وظائف اعضائه خر لله ساجدا فالايات الباهرة التى تشهد بحكمة الباري و المعجزات التى تنطق بوجود الاله واقعة فى جسم الانسان فمن نظر اليه بعين البصيرة فقد عرف خالقه وقد جاء فى الحديث من عرف نفسه فقد عرف ربه ـ

وقال الامام سيدنا على رضى الله عنه

اتحسب انك جرم صغير ؟ و فيك انطوى العالم الاكبر

وسنذكرلك شيئا عن حركة القلب والدورة الدموية لكى تعرف النظام العجيب الواقع فى جسمك ويدرس هذا النظام البديع تعرف خالقك و تعرف ان جميع اعضائك لم تخلق عبثا بل خلقت لتكميل اغراض شتى لحفظ نظام الجسم فنقول الدم هوالمادة الحمراء المنتشرة فى جميع انحاء

الجسم والتي هي السبب الوحيد لوجود الانسان فهوالخلاصة التي يتحول اليها الغذاء و يتفرق الدم مهما كان قليلا الى جميع انحاء الجسم بواسطة القلب و الشرايين والاوردة والاوعية الشعرية والقلب عضو مزدوج موضوع فى الصدر بين الرئتين له جانبان ايسر وايمن يفصل بينهما حاجز عضلى و لكل جانب من القلب تجويفان العلوي يسمى الاذين والسفلى يسمى البطين تفصلهما ثنيات غشائية تسمى صمامات ـ

يوجد بين اذين جانب القلب الايمن وبطينه ثلاث مصاريع تسمى الصمام الثلاثى الرؤوس و بين اذين جانب القلب الايسر وبطينه مصرعان يدعيان الصمام التاجى والشرايين هي الاوعية التي تحمل الدم من القلب فبطين القلب الايمن ينشئ الشريان الرئوي وبطين القلب الايسر ينشئ الشريان الكبير المسمى الاورطي و عند ابتداء كل من هذين النوعين صمامات تسمى الصمامات الهلالية نظرا لهيئتها ـ

والشريان الرئوى ينشا امام الاورطي ويصعد بانبوب الى سطح قوس الاورطي السفلى حيث يتشعب الى شعبتين احداهما تتوجه الى الرئة اليمنى والثانية الى اليسرى وهويحمل الدم الاسود الوريدي الى الرئتين ويؤلف مع و ريديه الدوران الرئوي ، والاورطى هوالشريان المتوجه من بطين القلب الايسر محتويا على الدم النقى الشريانى و شعبة تتشعب كلما تقدمت حتى تتفرق فى كل جزء من الجسم و هذا الشريان مع اوردته يكون الدوران الجسمى والاوردة هي الاوعية التي ترجع الدم الى اذنيي القلب بعد دورانه بواسطة شرائين الرئتين و اجزاء الجسم الاخرى وهي مجهزة على مسافاة معينة بصمامات لاتسمح بسيل الدم الا الى جهة القلب والاوردة بوجه العموم اقرب الى سطح الجسم من الشرايين و توجد اوعية دقيقة تسمى بالاوعية الشعرية وهى دقيقة جدا تكون شبكة لاتظهر بمجرد النظر اليها و هذه الشبكة تتفرع فى كل اجزاء الجسم حتى انك اذا وخزت الجلد بابرة تجرح عددا كثيرا منهاوهي نافعة لانها تصل اواخر الشرايين باوائل الاوردة ـ

كيف تتم الدورة الدموية

لما كانت تجاويف القلب تتألف من الياف عضلية قابلة للانقباض والارتخاء كبقية الجهاز العضلى كانت النتيجة انه كلما ارتخت الياف القلب العضلية اتسعت تجاويفه و اذا تقلصت الالياف العضلية ضاقت التجاويف و لذا كلما تقلص القلب حصلت قبضة

فى الشرايين فيسير الدم من اطراف القلب الى اطراف الجسم بواسطة الشرايين ويرجع الى القلب بواسطة الاوردة ـ

يدفع الدم الفاسد الاسود من الاذين اليمنى من بطين القلب الايمن الى الشريان الرئوي وفرعيه و يحمل الى الرئتين اليمنى و اليسرى ثم الى الاوعية الشعرية حيث يصيرالدم نقيا ثم يرجع الى اذين القلب اليسرى بواسطة الوريدين الرئويين ثم يمر من الاذين اليسرى الى الاورطي وفروعه التى تحمل الدم النقى الى كل عضو من الجسم و تنتهي فى الاوعية الشعرية التى يتحول فيها الدم الى لون اسود و يرجع الى القلب بواسطة الوريدين الاجوف النازل والاجوف الصاعد و يمنع الصمام الثلاثى الاسفل رجوع الدم من البطين الايمن الى الاذين اليمنى و تمنع الصمامات الهلالية الدم من الرجوع من الشريان الرئوى الى البطين و يمنع الصمام التاجي رجوع الدم من البطين الايسر فهل يمكن للقلب و هو مضغة من اللحم ان يقوم بهذه الاعمال العجيبة بنفسه من غير تائيد الهي وهل يمكن لنا ان ننسب اعمال الدورة الدموية و حركة القلب على نظام تام الى الطبيعة البكماء و الصدفة العمياء (يرون آيات الله ثم ينكرونها) وهل لايكون هذا النظام العجيب دليلا على وجود قوة مدبرة تدبر كل شئى وهل لايدل هذا النظام على ان هناك خالق خلق هذه الاعضاء كلها بقصد و حكمة لحفظ نظام الجسم و من انكر هذه الامور فقد انكر المحسوسات و لكن الماديين لهم شطحات فقد ينكرون الامور المحسوسة و يقرون بوجود امور مخالفة للعقل السلم لتأييد مذهبهم و انكار وجود البارى قال الله تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم (اى بغير علم ضرورى) ولا هدى (اي اسندلال بالدليل البين) ولا كتاب منير (اي وحي مظهر للحق) وقال فيهم سجانه و تعالى (و ان يروا كل آية لايؤمنوابها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) ذالك اشارة عن اعراضهم عن سبيل الرشد مع وضوح الدليل و اتخاذهم سبيل الغي لموافقته لاهوائهم الباطلة و تعنتاً منهم واستكبارا بعد ظهور الدلائل البينة على وجود خالق الكائنات (ان يتبعون الا الظن و ان هم الايخرصون)

ويقول الماديون ان جملة من اجزاء الحيوان لافائدة فيها و لاغاية و ذالك كالغدة الدرقية والزوائد الدودية و الغدد الوحيدة فى سطح الامعاء بل قالوا ان الغدة الدرقية و الزوائد الدودية معرضة للامراض المهلكة و قد كشف العلم الان عن ان الغدة

الدرقية لها دخل كبير فى حفظ الشعور و استقامته بل ان كبرها فى الانثى عند الحمل يكشف عن ان لها مداخلة كبيرة فى امتصاص المواد العفنة و منعها عن الصاعد الى الدماغ و سبب ظهور الامراض الشديدة فيها فانه يكشف عن ان لها عملا فى حبس المواد الضارة عن الوصول الى الاعضاء الشريفة و لكن تلك المواد قدتزيد على ماالغدة من القوة النوعية فيظهر المرض و هذا ذكرناه على سبيل المثال لتعلم ان الله لم يخلق شيئا عبثا و انما خلق لقصد و غاية و انما نحن لم ندرك غاياتها لقصور علمنا عنها فلاينبغى لنا ان ننفى فائدة بعض الاعضاء التى لم نطلع على فوائدها وربما كشف لنا العلم فى المستقبل عن فوائدها و غاياتها ـ

المشاعر الخمسة

قال الدكتور بلس ا ن للنفس اتصالا يقينياً بما فى الخارج بواسطة قواها الظاهرة حتى ان الانسان لايقدر على انكار وجوده فى محل ما فانه حيثما و جد لابد ان ينظر الاشباح و يسمع الاصوات و يشم الرائحة و يذوق الطعوم و يشعر بحرارة الشمس و برودة النسيم و بذالك يتيقن وجوده و وجود تلك المحسوسات و لايمكنه انكارها لانه قد طبع غيرمقتدر على انكار مايدرك صفاته مع ان الانسان فدوهب له ذالك من الواجب الفياض و نرى ان قدرته على ادراك صفات الموجوادت محدودة فلا يحيط علمه الا ببعض الصفات ، لخمسة انواع منها وهي الملموسات و المبصرات و المسموعات و المذوقات و المشمومات وقد اعطي لادراكها الحواس الخمسة الظاهرة وهى اللمس و البصر و السمع و الذوق و الشم و قد قصر كل منها على نوع فلا يذاق بالاذن ولايسمع باللسان ولايبصر بالانف بل كل مستقل بماعين له لايلزم مماتقدم الحكم بان ليس للمواد صفات غير مدركات بالمشاعر المذكورة لامكان وجود سواها وعدم ادراكنا اياه لعدم حاسة اخرى و ليس من الواجب بقاء تلك المشاعر على كميتها و تعيين عددها المذكور فى كل حيوان اذ لواجب الوجود حق التصرف فى الخليقة كيف شاء فقد يعدم بعضها من البعض بعد الابجاد كالصمم و العمى ويوجد الاخر فاقدا اياه كالمناجذ و بعض اسماك الانهار المغارية فمن الممكن نقصها فى البشر طبعا و لعلها تزداد فى عالم الحق ولايستحيل انها فى الملائكة ازيد مماهي فى الانسان الترابى و هذه المشاعر ابواب لدخول صور المحسوسات الى خزانة الحس المشترك فيتمكن العقل من مشاهدتها ـ

ان الصور التي تتأدى الى النفس من طرق الحواس المتقدمة تسمى خياليات

فاذا سمعت لحن قيثار و نظرت قينة تضرب به حصل عند العقل صورتان خياليتان الاولى من طريق السمع والثانية من طريق البصر ولاتتمكن تلك الحواس من ادراك تلك الصور الا بوسائط خارجية فلولا النور لم تدرك المبصرات ولولا الهواء ماعرفت المسموعات ولكل حاسة وسائط تقتصر عليها انتهى -

ان الادراك بالمشاعر الخمس يسمى شعورا وهذا الشعور امابسيط وامامركب فالبسيط هو ادراك صفة محسوسة دون الحكم على انها فى الخارج كشعور من يجهل الورد وكل رائحة برائحته فى الظلام الحالك من دون ان يلمسه و المركب عكسه كشعور المدرك بالرائحة المتقدمة مع الحكم المذكور فكل شعور مركب يتضمن البسط ولا بعكس و ذالك بين -

ونوعا الشعور يحصلان بحاسة اللمس و بيان ذالك ان عقل من جرح لايلتفت الى الجراحة بل الى تأثيرها المؤلم ولكن اذا امرها على يده بلطف شعر بلينها او خشونتها و حكم انها فى الخارج فالشعور الاول هو البسيط و الثانى هو المركب وقدنتجا عن حاسة اللمس -

قال بعض الفلاسفة ان الحقيقة لايمكن ان يصل اليها الانسان الا بطريق العمل وحده لان الحواس غاشة خادعة و غير كافية لادراك الامور كلها مثلا اننا لانستطيع معرفة وجود العقل من طريق الحواس فى ذوات البشر و مع عدم ادراكناله بالحواس فنحن ملزمون بالاعتقاد به كوجوب واجب الوجود كاحد الفروض الضرورية الجوهرية التى نقوم عليها اكبر جزء من معرفتناومعتقدنا كما صرح بذالك العلامة بيتى كروزيار و قال العلامة كاميل فلامريون (الانسانية تعيش فى جهالة بعيدة الغور وهي لاتدري ان تركيبنا الجسمانى الطبيعي يعرفنا بحقيقة الواقع فان حواسنا تخدعنافى كل شى والتحليل العلمي وحده هوالذى يواتى عقولنا ببصيص من النور ثم قال و هل نشعر بالهواء الذي نستنشقه اوندرك له ثقلا ان سطح جسم الانسان يحمل منه ما وزنه ....١٦٠٠ كيلو غرام معادلا بمثله من الضغط الداخلي وماكان احد يتخيل ان الهواء ثقيل قبل باسكال و غاليلية و تورشيلي هذا مايشهدنا اياه العلم ولكن الطبيعة لاتشعرنا به -
(المشعر الاول الشم) وهوالحاسة التى نستطيع بها معرفة الروائح و تميزها ، ومركزها فى التجاويف الهوائية من الانف فهي مبطنة بغشاء مخاطي متصل بالجلد من خارج يتفرع فيه عصب الشم فاذا قربت رائحة ما من الانف حمل الهواء الداخل فى الانف الجزئيات

ذات الرائحة الى تفاريع عصب الشم المنتشرة فى الغشاء الذي يبطن التجاويف الهوائية و تلك الجزئيات لصغرها تكون غير منظورة فان مقدار قمحة من المسك تفوح رائحتها زمنا طويلا ولا ينقص جرمها نقصانا محسوسا و فائدتها انها تنعشنا بالروائح الذكية التى نشمها بواسطتها و بما انها تقترن بحاسة الذوق فهي تساعد على اختيار المآكل الجيدة وهذه الحاسة عند بعض الناس والحيوانات تكون شديدة جدا فان الهنود الاميريكيين يميزون الاشخاص بمجرد اشتمام رائحتهم وهي فى الكلب شديدة ـ

وقد جعل الله هذه الحاسة فى الحيوان ليميزبها اشياء كثيرة بروائحها المخصوصة وجعل فيها فوائد شتى للانسان ـ

(المشعر الثانى الذوق) وهي حاسة تعرف بها طعم الاشياء و اللسان هوالعضو الرئيسى فى الذوق كما ان باطن جدران الخدين و اعلى البلعوم تشتركان فى هذهالوظيفة والذوق هو قوة منبثة فى العصب المفروش على جرم اللسان تدرك الطعوم بواسطة الرطوبة اللعابية العذبة ولا يمكننا ان نعرف طعم الاشياء مالم تكن مائعة اوسهلة الذوبان باللعاب كما ان الاطعمة الناشفة لاتؤثر فى الذوق قبل اختلاطها باللعاب والعادة يجعل الذوق ان يستطيب الاشياء المكروهة

(المشعر الثالث اللمس) و هو قوة مبثوثة فى العصب المخالط لاكثر البدن سيما الجلد و يعرف به كون الاجسام خشنة او ملساء حارة اوباردة مائعة اوصلبة و مركز هذه الحاسة فى اعصاب الجلد وتكون شديدة فى اطراف الاصابع اوالشفتين لانه يوجد فيها العدد الاعظم من الخويطات العصبية الكبيرة قال الدكتور بلس الادراك بهذه القوة فى الانامل و الكف اعظم منه فى غيرها و فى ذالك من حكمة الواجب الخبير مالا يحيط الوصف به لاننا لانحتاج الى قوة اللمس فى بقية الجسم الالدفع مايضر و اجتلاب مايلايم فقط واما الالة العادية لادراك مافى الملموسات من صلابة ولين و ما شاكلها فهي اليد ولهذا ركبت اصابعها مفترقة سهلة الحركة لينة العضلات و ذالك يمكنها من الادراك احسن تمكين فتبارك الله احسن الخالقين ـ

ثم ان الاصابع و ان يكن بينها تفرق اللمس بمجموعها يؤدي شعورا واحدا الى العقل كاللمس بواحدة منها و لاتمام ذالك يجب ان يلمس الجسم بها متوالية حسب وضعها الطبيعى و الا فاذا و ضعت احداها على الاخرى ولمست با نمليتها جسما واحدا شعرت به اثنين فيحصل عند الذهن صورتان و موضوع التصور واحد ـ

والادراك بهذه الحاسة اوضح واكمل مما بغيرها لاننا ندرك بها الصفة وملزوسها (اي ما اتصف بها فالشعور الصادر عن اللامسة هواساس ادراكنا مافى الخارج واعتمادنا عليها اكثر مما على غيرها الم تر ان كثيرا مما يدرك بهذه الحاسة يدرك بالباصرة والعقل والعقل اذاتردد بحكمها رفعه الى اللامسة للحكم بصحته اوفساده

(المشعر الرابع السمع) وقد سبق بيانه فى ذكر الاذن انظره ومنه قد ظهرلك ان الانفعال فى العصب هوالارتجاج والارتجاج هو سبب الشعور بالصوت و حين وصوله الى نهاية العصب المذكور يحصل للنفس الطرب او الكرب حسب حسن الصوت او قبحه و للاصوات الموسيقية اثرعظيم على حاسة السمع فجعل للنفوس بها المسرة والابتهاج ـ

والانسان قادر على ان يميز الاختلاف بين الاصوات تمييزا عظيما فقد قال العلامة ريد ان ذا السمع الجيد يمكنه التمييز بين نحو خمسمائة صوت بكل تدقيق وكل من هذه الاصوات على خمسمائة قسم باعتبار الرخم و الخشونة فينتج من هذا ان الموسيقى الماهر يمكنه التمييز بين ٢٥٠٠٠٠ صوت ـ

ثم ان كل انسان يعرف غالبا جهة الصوت و اختلف فى سبب هذه المعرفة و المرجح انه افتراق الاذنين و وضعهما على جانبى الرأس بالموازاة لان الصوت كثيرا مايؤثر فى احدى الاذنين تأثيرا مخالفا لما فى الاخرى ولذالك من فقد احدى اذنيه يعسرعليه تمييز جهة الصوت وقوة هذا التمييز تزداد بالحرص (وهو طلب الشى باجتهاد فى اصابته) الى ان يقدر السامع على معرفة جهة الصوت والمسافة بينه و بين الصائت حكى ان نابليون الاول لم يخطئى تلك المعرفة حين سمع اصوات المدافع حتى انذهل جميع اصحابه من حذقه الغريب، والاهتزازات المولدة للصوت اذا نقصت تقريباً عن ثلاثين ذبذبة فى الثانية اوزادت على ١٦٠٠٠ ذبذبة فى الثانية فلا تدرك الاذن الامواج الصوتية التى تتولد منها فاذن اذن الانسان لايقدر على سماع الاصوات التى تتولد من ذبذبات اقل من ٣٠ ذبذبة فى الثانية او اكثر من ١٦٠٠٠ ذبذبة فى الثانية فتختفى على الانسان كثير من الاصوات فلايسمعها ، و يعتقد العلماء ان طائفة من الطيور و ربما الحيوانات ايضا تتكلم و تكلم بعضها بعضا باصوات عالية الذبذبات علوا لاتدركه مسامع البشر وقالوا ان الطيران السريع الصائب الذي تطيره الخفافيش انما تقوم به مسترشدة بميزانها الصوتى الطبيعي فتسمع آذانها صوت النغمة العالية الذبذبة التى يغردها الخفاش نفسه و يسمعها فتوجد من الموجات الصوتية ماهوصامت لاتدركه

اذن الانسان و انما نستدل على وجودها بوسائط علمية وقد قاس العلم و ذلل الصوت غير المسموع الذي تبلغ ذبذباته ٥ ملايين ذبذبة ـ

(المشعر الخامس البصر) قد سبق ذكر حاسة البصر فى بيان العين انظره قلنا هناك ان الرؤية هي نتيجة حدوث صورة مصغرة مقلوبة على الشبكية وان العين فى مجموعها تعمل عمل عدسة لامة تتكون بواسطتها هذه الصورة و لكن من درس عمل العدسات اللامة كالعدسة المحدبة يعرف بان البعد البؤرى اذا كان ثابتا لاتتكون الصورة على الشبكية الا اذا وضع المرئى على بعد معين من العين و لكن نحن نرى الصورة واضحة من قريب وبعيد والسبب فى ذالك لم يجعل الله العدسة الجلدية ثابتة فهي قابلة للتغير بفعل العضلات المتصلة بحافتها فقديزدادبحدب وجهيها لاسيا الامامي او يقل وقد تزاح عن موضعها قليلا حتى تكون صورة المرئى الحادثة على الشبكية واضحة دقيقة وان تغير بعده عن العين و يعرف هذا التغير الذي يطرأ على العدسة الجليدية للغاية المذكورة باسم التكيف (**Formation**)

قالوا و العين غير المتكيفة تكون معدة لرؤية الجسم البعيد اى لاستقبال الاشعة المتوازية و لمها على الشبكية فاذا اخذ الجسم البعيد يقرب اخذت العين بفعل العضلات المشار اليها تتكيف و ذالك بان يزداد بوجه خاص تحدب وجهها الامامى بحيث تعمل العين عمل العدسة ذات البعد البؤري المناسب لحدوث الصورة على الشبكية و يستمر هذا التكيف حتى يصير الجسم المرئى على بعد معين من العين يسمى (ادنى مدى الرؤية الجلية) و هذا البعد يساوي فى المتوسط لذوي العيون السليمة حوالى الثلاثين سنتيمتراً فاذا دنا الجسم من العين اكثر من ذالك لاتتكيف العين التكيف اللازم و يكون موضع الصورة الواضحة الدقيقة ابعد من الشبكية و تكون الرؤية ليست واضحة و لكن اقول هنا مشكلة عظيمة لم اقف على حلها حلا يرضي العقل وهى كيف تتكيف العين من نفسها فيزداد التحدب طبقا لقرب المرئى اوبعده وكيف يتسنى للعين ان تنظر الاشياء القريبة والبعيدة فى آن واحد واضحة جلية فاذا تأملنا فى هذه المسئلة ظهرلنا عجزنا عن ادراك سرها فهي معجزة من المعجزات الدالة على حكمة الباري التى اودعها فى العين وقد تحيروا ايضاً فى تعليل كون العقل يدرك صورة المرئى قائمة وهى ترسم فى الشبكية مقلوبة و اشهر ماعللوا فيه ان العقل اعتاد على رؤية الاشياء المرئية قائمة حيث انها قداستوى جميعها فى هذا الانقلاب و شرحوا ذالك التعليل

بكلام ركيك لايفي بالمقصود وقد وقفوا حيارى ايضا فى تعليل ادراك النفس اوالعقل اوالدماغ (على رأي من ينكر النفس) صور المرئيات التى ترتسم على الشبكية وهي من الامور الغا مضة التى تحير العقول و اذا تأملنا فى جميع ما تقدم من تراكيب العين والتدبيرات التى وضعت لها لاتمام ابصارها نجدها تشهد بحكمة خالقها وهل يمكن لاحد بعد مايطلع على حقيقة العين ان يقول بانها خلقت من غير قصد و حكمة و ان الضرورة اقتضتها كما يقول بذالك الماديون فلا يقول بهذا الا من لاعقل له او ذو مكابرة يريد ان ينكر الاشياء المحسوسة و من نظر الى العين بعين البصيرة لايشك بانها من صنعة الصانع الحكيم مدبر الامور وفق الاحكام والا تقان ، و الضوء هو المؤثر الخارجي الذى يحد ث الاحساس الابصاري وقد كا ن يظن قديما ا ن الاحساس الابصاري يحدث عن شئ يخرج من العين و يقع على المرئى و كا نت هذه نظرية افلا طون واقليدس و بعض فلاسفة اليونان فابطلها العلامة الحسن بن الهيثم العالم العربى المتوفى فى سنه ١٠٣٨ ميلادية اذ قرر ان الضوء يخرج من المرئى و يقع على العين فاذا حال حائل دون وقوعه عليها احتجب المرئى و انقطعت رؤيته والادلة على صحة هذا كثيرة فالانسان لايستطيع الرؤية فى الظلام المطلق،ولوكان الضوء ينبعث من شئ يخرج من العين لما استحالت الرؤية فى هذه الحالة كما ان المشاهدات و المحسوسات تدل بوجه عام على ان المؤثر الذي يحدث الاحساس الابصاري له وجود ذاتى غير مرتبط بوجودالعين فله مثلا تأثيرات فوتوغرافية وغير فوتوغرافية لا ارتباط لها بالعين رأسا .

وقد اختلف العلماء فى حقيقة الضوء وانما النظرية الشائعة هي نظرية النموج وقد فرضوا لايضاح هذه النظرية وجود وسط خاص يملأ الفضاء و يتخلل جزئيات الاجسام عظيم المرونة يختلف عن كل ما نعلمه من انواع المادة اطلقوا عليه اسم الاثير وقد سبق بيانه فى فصل (ما هو الاثير) و بهذه النظرية تعتبر اضاءة الجسم ناشئة من تحرك جزئياته حركة اهتزازية سريعة جدا تنتقل بواسطة الاثير فى جميع الارجاء على شكل تموجات كرية حتى اذا ما استقبلتها شبكية العين اثرت فيها وانتجت حاسة الابصار والضوء كالصوت منشأه الحركة الاهتزازية فى الاثير والفرق بين عدد الاهتزازات الضوئية والصوتية كثير جدا فالاهتزازات الضوئية تبلغ فوق ٨٠٠ بليون واما الاهتزازات الصوتية فلاتزيد على ١٦٠٠٠ ذبذبة فى الثانية كما تقدم بيانه واذا زادت الاهتزازات على ثمانمائة بليون فى الثانية اونقصت عن اربعمائة بليون فى الثانية فلا تدركها العين و ربما مرت امام العين مشاهد سريعة فلاتدركها ولاتبصربها فالاشعة

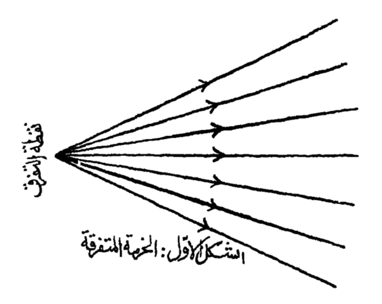
الخارجة عن حد الابصار لاتؤثر على العين فلانرى بها شيئاً فهناك اشعة تؤثر على اللوح الحساس الفوتوغرافى ولاتؤثر على العين فيمكن ان تؤخذ الصور الفوتوغرافية بتلك الاشعة وانت ترى امامك الظلام الحالك فمسامعنا و ابصارنا قاصرة عن ادراك الاصوات والاشعة الخارجة عن الحد المحدودلها فيجوزلنا ان نفرض ان اجساما وارواحا و ملائكة تمر امامنا وهم يتكلمون و يتحركون فلا نراهم ولانسمع اصواتهم ولاندركهم باللمس ليس الا لقصور مداركنا فقط وهل يجوز لنا بعد ان عرفنا حقيقة مداركنا ان نقول باننا لانصدق بوجود شئ حتى ندركه باحدى حواسنا الخمس بعد علمنا بانها عاجزة عن ادراك اشياء كثيرة من الماديات وكيف يستبعد عجزنا عن ادراك اشياء وراء هذا العالم و بما ان وسائط العلم فينا بحقائق الاشياء غير كاملة فيجوز ان تكون هناك حقايق كثيرة لم نزل جاهلين بها فرفضنا لوجود عالم وراء هذا العالم ماهو الا ضرب من المجازفة قال العلامة الاستاذ الجليل كاميل فلامريون اكبر فلكى فرنساوي و من اشهر فلاسفة الغرب فى كتابه المسمى بالمجهول

ترانا نفكر و لكن ماهوالفكر لايستطيع ان يجيب على هذا السوال احد و ترانا نمشى و لكن ما هو العمل العضلى ؟ لايعرف احد ذالك ارى ان ارادتى قوة غيرمادية وان جميع خصائص روحي غير مادية ايضا ومع ذالك فمتى اردت ان ارفع ذراعي ارى ان ارادتى تحرك مادتى فكيف يحدث ذالك و ماهوالوسيط الذي يتوسط للقوى العقلية فى انتاج نتيجة مادية ألايوجد من يستطيع ان يجيبنى عن هذا ايضا بل قل لى كيف ينقل العصب البصري الى الفكر صور الاشياء الخارجية وقل لى كيف يدرك هذاالفكر واين مستقره و ماهي طبيعة العمل المخى قولوا لى ايها السادة . . . ولكن كفى فانى استطيع ان اسئلكم عشرسنين ولايستطيع اكبر رأس فيكم ان يجيب على احقر مسألتى انتهى ـ

العلوم الطبيعية

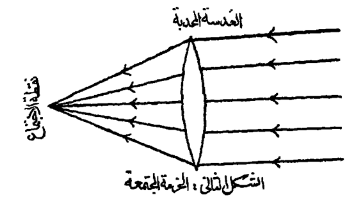
لعل بعض علمائنا الشرعيين لم يطلعوا على العلوم الجديدة سيما الطبيعيات فيعسر عليهم فهم طبيعة الضوء و انتشاره و انكساره فلا يقدرون على فهم اثر النور فى العيون و انعكاسه من الاشياء المرئية و انكساره فى القرنية والطبقات المتتالية البلورية فاستحسنا بيان حقيقة النور اوالضوء باختصار تتميماً للفائدة ليسهل عليهم فهم حقيقة العين و اثر النور فيها ـ

الضوء هو المؤثر الخارجي الذي يحدث الاحساس البصري وقدتقدم بيانه و يطلق احيانا على انتقال الاشعة الضوئية لفظ الاشعاع وهو يحدث فى خطوط مستقيمة و يسمى بالشعاع الضوئى و يمكن تعريفه بانه الخط المستقيم المتعامد مع واجهة الموجة الضوئية واذا ما اخذت عدة اشعة متجاورة كونت مايسمى بالحزمة الضوئية والحزمة الضوئية على ثلاثة انواع الحزمة المتفرقة وهي المبينة فى الشكل (الاول) وفيه تشاهدالاشعة متفرقة باعتبار نقطة صدورها كالحزمة الضوئية الصادرة من نقطة مضيئة او الداخلة حجرة مظلمة من ثقب صغير -



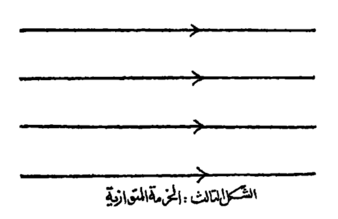
الشكل الاول : الحزمة المتفرقة

الثانى الحزمة المتجمعة و هى المبينة فى الشكل (الثانى) و فيه تشاهد الاشعة متجمعة باعتبار نقطة صدورها كالحزمة المكونة بعدسة محدبة وقد يطلق احيانا على كل من هذين النوعين اسم المخروط الضوئى و يسمى رأسه البورة -



الشكل الثانى : الحزمة المجتمعة

و الثالث الحزمة المتوازية كحزمة الاشعة الاتية من الشمس او من جسم يبعد بعدا شاسعا ـ



الشكل الثالث: الحزمة المتوازية

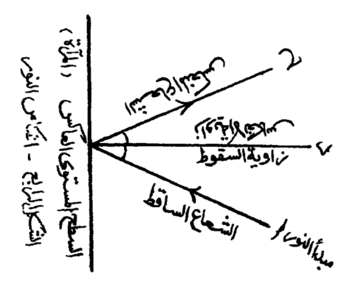
ضع فى طريق الحزمة الضوئية الداخلة فى حجرة مظلمة من ثقب فى نافذتها مخبارا مملوا بالماء المقطر تشاهد عدم وضوح مسار الاشعة فى الماء ـ

ضع فى المخبار قليلا من مسحوق الطباشير او نقطة من اللبن تشاهد وضوح مسار الاشعة دالا ذالك على ان الضوء فى نفسه لايرى و انما يعين مساره الاجسام العالقة التى تعكسه ـ

من ذالك نستنتج ان الضوء فى نفسه لايمكن رؤيته و ان مانراه معينا مسار الضوء هى الاجسام العالقة بالهواء التى تظهر للعين لوقوع الضوء عليها ـ

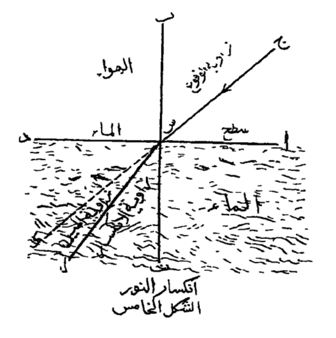
(انعكاس النور) هواندفاعه راجعا عن جسم بعد ان يقع عليه من الجسم المنير والنور يخترق الاجسام الشفافة كالزجاج فلاينعكس عنها الاقليلا والاجسام المظلمة تمنص جانبا من النور ومابقى ينعكس عنها وكل ماكان منها اتم صقالا كان انعكاس النورعنه اتم كالمرايا و السطوح الصقيلة من المعادن وغيرها و اذا انعكس النور عن سطح صقيل فزاوية الوقوع تساوي زاوية الانعكاس وكلتا الزاويتين يكونان فى سطح واحد فاذافرضنا شعاعا مثل اب(اى من آ الى ب) ساقطا علي سطح مستو مصقول كالمرآة من

اتجاه (ا ب) فيتخذ بعد انعكاسه الاتجاه (ب ح)وهو الشعاع المنعكس فاذا اقمنا من (ب) العمود (ب د) على المستوى العاكس فالزاوية (ا ب د) تسمى بزاوية السقوط والزاوية (د ب ح) تسمى بزاوية الانعكاس و تكونان متساويين و اذا كانت زاوية الانعكاس ا قل او اكثر من زاوية السقوط فلا يرى النور من جانب خط (ب ح) ا نظر الشكل الرابع ـ



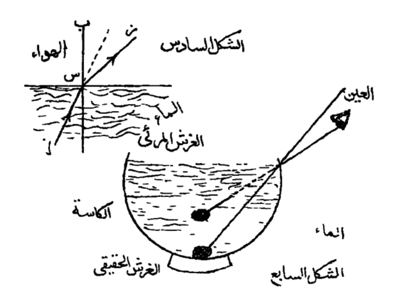
(انكسار النور) هو زيغانه عن جهة مسيره اذا اجتاز الى مادة شفافة اكثف او الطف من التى كان مسيره فيها فمتى اجتاز الى مادة اكثف صار الى نحو الخط العمودي مرسوم فيها من ملتقى النور بسطحها على ذالك السطح و اذا اجتاز الى الطف صار عن العمود المذكور فالاشعة التى تمر خلال الهواء و تخترق طبقة من الماء تميل نحو الخط العمودي لان الماء اكثف من الهواء وان مرت الاشعة خلال الماء و اخترقت بعد ذالك طبقة من الهواء فانها تميل عن الخط العمودي لان الهواء الطف من الماء فلنفرض (ا د) من الشكل (الخامس) سطح ماء مثلا و (ج س) شعاعة من الشمس مارة بالهواء واقعة على الماء فهذه الشعاعة باجتيازها من الهواء الى الماء لاتبقى على جهة مسيرها (س ـ ى) جهة (ي) بل تميل الي نحو (ب س ت) العمودي من (ب) على (ا د) و تسير فى جهة (س ر)

فكانها قد انكسرت الى شعاعتين و هما (ج س و س ر) ولهذا ـ
سمي انحرافها عن مسيرها بالانكسار ـ



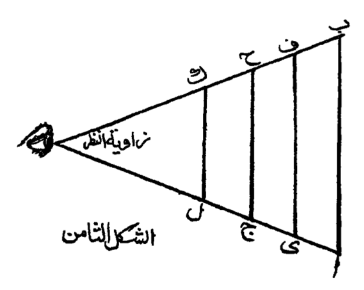
انكسار النور
الشكل الخامس

و تسمى (ج س ب) زاوية الوقوع و (ر س ت) زاوية الانكسار و (ر س ي) زاوية الميل و اذا فرضنا شعاعة ـ مثل (ب س) وقعت عمودية فلا تنكسر اذ تنطبق على (س ـ ت) العمودى فى الماء ولايكون بعد بينهما لتميل اليه و اذا اجتازت شعاعة مثل (ز س) من الماء الى الهواء تنكسر اذ تحيد مبتعدة عن العمود (س ب) مثل (س ذ)



وتوضح لنا امثلة كثيرة كيفية انكسار الاشعة فمنها انك اذا وضعت غرشا فى قعر

-كأسة وابعدت نفسك عنها حتى يكاد جدار الكأسة يحجب الغرش الموضوع فى قعرها عنك ثم امرت شخصا ان يملأ الكأسة بالماء مع ابقاء عينيك فى موضعها تشاهد ظهور الغرش بسبب انكسار الضوء و السبب فى ذالك هو ان الاشعة التى تصدر من احدى نقط الغرش مثل النقطة م من الشكل (السابع) لم تقع على العين قبل صب الماء فى الكأسة ولكن بعد مل‌ء الاناء بالماء انكسرت الشعاعة و وقعت على العين فيخيل لك انها صادرة من النقطة م وهى اقرب الى سطح الماء من النقطة م و ينشاء عن ذالك ظهور النقطة للعين كما يخيل انها قد ارتفعت عن قاع الكأسة و مثل ذالك ظهور قعر نهر او حوض مرتفعا اوانقص عمقا بما هو فى الحقيقة ـ



(العدسيات و انكسار النور فيها)

خلق الله فى العين عدسة كعدسة الزجاج محدبة من جانبيها كما ذكرنا ذالك سابقا والان نبحث عن حقيقة الانكسار فى العدسيات الزجاجية و نقدم بحث زاوية النظر ليسهل فهم فعل العدسيات فى صور الاشباح الواقعة على العين. لتكن (ك ل) و(ح ج)و(ف ي) و(ب ا)انظر الشكل الثامن ـ سهاما امام العين على ابعاد مختلفة جميعها متقابلة لزاوية واحدة مشتركة تعرف بزاوية النظر فلا يخفى ان النور يرسم على عصب البصر صورة واحدة فلكى تبقى الصورة على حالها اذا بعد الشبح يقتضى ان يزاد سطحه المقابل للعين و ذالك يكون بنسبة زيادة مربع البعد عن زاوية النظر او يقتضي ان يكون القريب اصغر من البعيد بنسبة زيادة مربع البعد ولماكانت الصورة شبح ثابت تتغير كتغير سطح الشبح فاذا نقل القريب (ك ل) الى البعيد الثابت (ب ا) تصغر صورته بنسبة زيادة مربع البعد والامر واضح ايضا انه اذا بقى الشبح على حاله وكبرت زاويته بواسطة ما كتكسر شعاعه فى عدسية كما سيأتى تكبر صورته ـ

(العدسيات) العد سيات مادة شفافة تكسر الشعاع و تحده سطحان منحنيان اوسطح منحن وسطح مستو ويسمى الخط المار بمركزي انحناء سطحي العدسة بالمحور الاصلى للعدسة و اذا كان احد السطحين مستويا يكون المحور الاصلى عبارة عن العمود النازل من مركز انحناء سطحها المنحنى على سطحها المستوي و تسمى نقطتا تقاطع المحور الاصلى مع سطحي العدسة بقطبي السطحين ـ

(انواع العدسات) تنقسم العدسات الى نوعين لامّة و مفرقة فاللامّة منها تلمّ الاشعة المتوازية التى تسقط عليها و المفرقة منها تفرق الاشعة فالعدسات اللامة ثلاثة انواع كما فى الشكل (التاسع) عدسة محدبة الوجهين كعدسة العين و عدسة مسطحة ومحدبة وعدسة محدبة و مقعرة

العدسة اللامّة

عدسة محدبة الوجهين   عدسة مسطحة محدبة   عدسة محدبة ومقعرة



الشكل التاسع

و العدسيات المفرقة ايضا ثلاثة انواع مقعرة الوجهين والمسطحة المقعرة والمقعرة المحدبة انظر الشكل (العاشر) وهذه كلها تفرق الاشعة

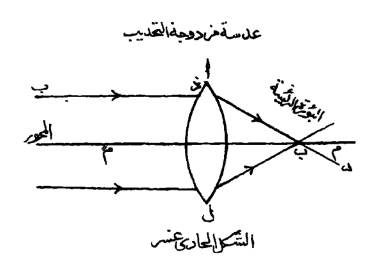
العدسة المفرقة

عدسة مقعرة الوجهين   عدسة مسطحة ومقعرة   عدسة مقعرة محدبة

الشكل العاشر

و يكثر استعمال العدسيات فى الات البصرية لعظم فائدتها و لنشرح لك كيفية انكسار الاشعة بعدسية مزدوجة التحديب وهي تشبه عدسية العين لتكن (ا ل) الشكل الحادي عشر عدسية مزدوجة التحديب و مركز تحديبها م و مَ و ليقع عليها اشعة (ب ذ) موازية لمحورها فبدخولها فى الزجاج عوضا ان يبقى مسيرها على استقامة تنكسر الى جهة العمودي (مَ ذ) و تصل الى (د) ثم عند خروجها من الزجاج الى الهواء اي من مادة اكثف الى مادة الطف عوضا ان تبقى جارية فى مسيرها المستقيم تميل عن العمودي (م ذ) مخرجا و تصل الى بَ وهكذا بقية الاشعة المتوازية تجتمع عند بَ فى نقطة واحدة تقريباً و تسمى ب نقطة مجتمعها البورة الرئيسة ـ

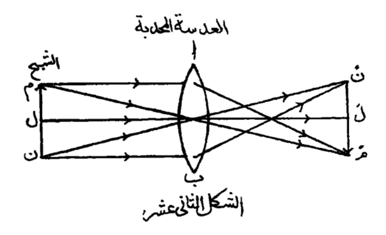
عدسة مزدوجة التحديب



الشكل الحادي عشر

(الصورة بعدسية محدبة) العدسية المحدبة تصنع صورا تختلف كيفيتها و حجمها باختلاف وضعها فاذا وضعنا شبحا مثل (ا ب) تجاه عدسية محدبة و ليكن (م ل ن) شبحا موضوعا ابعد من البؤرة الرئيسة عنها فكل نقطة من الشبح ترسل اشعة الى كل الجهات بعضها يقع على العدسية (ا ب) فالشعاعة التى تخرج من (م) تتجمع الى نقطة (مَ) على الجانب الاخر من العدسية و الشعاعة من ن تتجمع الى (نَ) و الشعاعة من (ل) تتجمع الى (لَ) وهكذا كل نقطة فى الشبح يجتمع شعاعها الى النقطة المقابلة فى الصورة فتنتسخ الصورة تماما عن الشبح ثم لماكانت الشعاعة من رأس الشبح ترسم اسفل الصورة و من اسفله ترسم رأسها لكون الشعاعة الاتية من طرف منه المارة بمركز هذه العدسة تتقاطع و تلاقيها البقية من هذا الطرف غير المارة الى الطرف المخالف من الصورة بموجب

الانكسار تنقلب الصورة بالنظر الى الشبح انظر الشكل الثانى عشر ـ



الشكل الثانى عشر

وعلى هذا المبدأ ترتسم الصور او الاشباح على شبكية العين و قد سبق ذكره و لكن الصور ترتسم مقلوبة و قد صرحنا بذلك آنفا و يبرهن صحة ذالك بان تأخذ عين ثور او خروف و تسلخ اللحم عن الجزء الخلفى منها باحتراس مبقيا قشرة فوق الشبكية ثم تضع مصباحا امام العين فتظهر لك صورته منقلبة على الجزء الخلفى منها و اذا سئل هنا لماذا ترى الاشباح مقومة مع انها ترسم على الشبكية مقلوبة فقالوا فى الجواب ان اختبارنا بواسطة حاسة اللمس ولئن رأيناها مقلوبة يعودنا على ان نشعربها مقومة

و ذهب آخرون ان العصب بعد ان ترسم صورة شبح على الشبكية مقلوبة يشعر بكل جزء من الشبح على خط مستقيم فى جهة محور قلم الشعاع المجموع برطوبات العين كما يبان فى الشكل (التاسع) و تلك الجهة تقابل جهة الجزء المرسوم فى الصورة على الشبكية فيشعر بالشبح مقوما لان البصر يدرك بشعاعات النور المستقيمة المرئيات و جهاتها كما يدرك السمع بتموجات الهواء الاصوات و جهاتها فما اتى من النور من اسفل الشبح و رسم اعلى الصورة على الشبكية يشعر بانه آت من اسفل و بالعكس ما اتى منه من اعلى الشبح قال بعضهم ان المذهب الثانى هو الصواب بدليل انه لوشفى بصر الاكمه اي من هو من ولادته اعمى لاقتضى على الاول ان يبصر اولا كل شئ مقلوبا وان يعتمد حينئذ على حاسة اللمس فى اصلاح الخطاء الى ان يعتادان يراه مقوما و ذالك خلاف الواقع و على المذهب الثانى نرى حكمة البارى الذي لا اله الا هو فى جعل شعاع النور ان تسير على خطوط مستقيمة و وضعه رطوبات شفافة فى العين لكى تجمع الاشعة فتنقلب الصور و تدرك مقومة كما هي ولو اتت الاشعة التى من اسفل الشبح الى اسفل العين و التى من اعلاه الى اعلاها بعد انكسارها لبانت جميع الاشباح مقلوبة فالحكمه هنا بقلب الصورة اذ كان قلبها علة لابصار الاشباح مقوما ـ

و نكتفى الان بما سبق من ذكر العين وكيفية الابصار بها ولو اردنا ان نشرح عجائبات العين شرحا كاملا و ذكرنا ما احتوت عليه من العضلات والاعصاب القائمة بحركتها و الشرايين والاوردة و غير ذالك ثم انتقلنا الى خارج العين و ذكرنا لك كيف اوجد الباري سبحانه و تعالى التدابير اللازمة لمحافظتها و تسهيل طريق اداء وظيفتها لاستغرقت منا هذه الابحاث كراريس كثيرة فاكتفينا بالقليل منها و تلك الابحاث تدل دلالة واضحة على وجود قوة مدبرة وان العين خلقت بقصد و حكمة ـ

النفس والروح

نذكر هنا شيئاً عن النفس والروح لان مسئلة الروح والنفس ذات اهمية عظيمة فى اثبات الباري و هدم مقررات العلم المادي فانهم يقررون عدم وجود شئ فى الوجود غير المادة وقوتها او حركتها الذاتية و يعتقدون ان كل الكائنات ناشئة من فعل نواميس الطبيعة وانه لا روح ولاجن ولاملك ولاولا . . . . . ،وزعموا ان الانسان ليس سوى جسم ذى تركيب آلى ولكل عضو منه وظيفة خاصة وكذالك يقولون ان فيه جهازاً خاصاً للفكر اي ان الفكر الخفى ليس الاعبارة عن انفعالات مادية و هم لم يعرفوا الى الان حقيقته و لم يطلعوا على حقيقة الحياة فلم يعرفوا لها مصدرا طبيعيا يردونها اليه وكلما تكلموا من جهة القوى العقلية فهى من غير دليل معقول قالوا بذالك جزافا وقداختلف علماء المسلمين فى حقيقة الروح فقالوا انه شئ موجود الله اعلم بحقيقته قال الله تعالى (يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى و ما اوتيتم من العلم الاقليلا) و بعضهم خاض فى البحث عن حقيقته و اصح ما قيل فيه هو قول امام الحرمين بانها جسم لطيف شفاف حي لذاته مشتبك بالاجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الاخضر ثم اختلفوا فى نفس حقيقة الانسان فقال جمهورالمتكلمين ان الانسان هو الجسد ولكن له روح تتعلق به و يتعلقها تحصل حياته بخلق الله تعالى وقال بعضهم ان الانسان هو مجموع الروح و الجسد وقال بعضهم وهم القليل ان الانسان هوالروح فقط و الجسد انما هو قالب لها ـ

و ذكر فى اخوان الصفا فى الجزء الثالث منه صفحة ٣٦٢ اعلم ان النفوس المتجسدة الخيرة ملائكة بالقوة فاذا فارقت اجسادها كانت ملائكة بالفعل كذالك النفوس المتجسدة الشريرة هى شياطين بالقوة فاذا فارقت اجسادها كانت شياطين بالفعل فهذه النفوس الشيطانية بالفعل توسوس للنفوس الشيطانية بالقوة لتخرجها الى الفعل كماقال تعالى (شياطين الانس و الجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا)

شياطين الانس هي النفوس المتجسدة الشريرة انست بالاجساد و شياطين الجن هي النفوس الشريرة المفارقة للاجسام المحتجبة عن الابصار وقال قبل ذالك ما ملخصه انهذه النفوس الشريرة لما فارقت الجسد و كانت معلقة و سلبت الحواس والات اللذات حزنت وتمنت لو رجعت للتمتع باللذات كرة اخرى فحينئذ تصبح النفس كا نها لاحية ولامية كماقال تعالى (لايموت فيها و لايحيا) وتقول (ياليتنانرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) (ياليتني كنت ترابا) (هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) وقال تعالى (ولو ردوالعادوا لما نهوا عنه و انهم لكاذبون) لماركب فيهم من الاخلاق الشائنة و تبقى تلك النفوس متعلقة بابناء جنسها المتجسدة توسوس لهم وهكذا شأن الغافلين انتهى ملخصا من كتاب اخوان الصفاء قال العلامة الطنطاوي ان هولاء العلماء لم يذكروا ذالك تخصيصا للملائكة و الشياطين بارواحنا وانما هم يريدون ان ارواح الابرار تلتحق بالملائكة وارواح الاشرار تلتحق بالشياطين فاما انكارهم للملائكة والشياطين المخلوقين خلقا اولياً من الله بلا اجسام نراها فهذا لم يقل به احد منهم ولاقرأته فى كتاب انتهى ـ

وقال فرقة من الروحانيين ان الحوادث الروحانية ناتجة عن فعل الروح بالمادة ومن يعتقد ان ليس فى الروح مادة يعترض بقوله كيف يمكن لغير المادي ان يؤثر فى المادي فاعتراض كهذا منقوض من قبيل ان الروح ليس لكائن مجردعن المادةلاشكل ولاصوره ولاقالب له بل هوكائن محدود مكتس بقالب بشري يحل فى الجسم وقت الحياة و يبارحه بالموت دون انفصال هذا الكساء عنه و يعتقدون ان الانسان مركب من اصول ثلاثة الاول النفس اوالروح وهي العنصر العقلى ـ

الثانى الجسد المادي الغليظ الذى تكتسى به موقتا الروح لاتمام المقا صد الربانية فيها الثالث الجسم الروحانى و هوالوثاق اللطيف الرابط النفس بالجسد فبالموت تخلع النفس عنها الكساء الغليظ و يبقى لهـا جسمها الروحانى و هذا مركب من المادة الاثيرية الاصلية التى لا تقع لخفتها و دقتها تحت الحواس وهو فى الحياة الجسدية الوسيط الناقل الى النفس التأثيرات الخارجية والناقل الى الجسد اوامرالارادة و قد اكتشف العلماء الروحانيون فى اوائل سنه ١٩٠٣ بروز اشعة خارج الجسد

وقالوا ان للروح جسماً روحانياً كماتقدم بيانه عديم الانفصال عن النفس يلازمها ابدا فى الحياة الجسدية و بعد الممات و هو على درجات مختلفة من الرقة و اللطافة يبلغ منتهاها فى الارواح النقية فهو جزء جوهري من الروح وهو مادة بسيطة لاعقل لها كما الجسد الانسانى لا ادراك له فهو آلة لاعمال النفس كما ان البدن آلة لخدمة الانسان وصورة الجسم الروحانى كالصورة البشرية و عند ما يتجلى الروح لاحد يتجلى بالهيئة

التى كان عليها فى الحياة لان المادة الدقيقة المركب منها هذا الكساء اللطيف تمكن النفس من تقليبه اشكالا والوانا بما لديه من السهولة فى ضغطه اوتمدبده فالروح المترائى يقلب كساءه الروحانى على الشكل الذي عرف به فى الحياة ويحدث فيه حتى التشويهات الجسدية التى اصابته فى تجسده ـ

وقد صرح العلامة السيراوليورلودج وهو من اشهر علماء الانكليز و بلقب بداروين الطبيعة ، بوجود الروح و بقائها بعد الموت ونحن ننقل هنا ملخص ما كتب فى هذا الصدد فقال اننا لسنا اجساما فقط بل كل منا مركب من عقل و وجدان وروح فضلا عن الجسم وقال فى خطبة له وليس من العقل ان يقال ان النفس تضمحل اذاتلف الجسد بل سنظل موجودين بعد موتنا و انتهاء اعمارنا القصيرة على هذه الارض اقول ذالك مستنداً الى ادلة علمية اقوله لاننى تحققت ان بعض اصدقائى الذين ماتوا لايزالون موجودين اذ انى قد ناجيتهم و مناجاة الموتى ممكنة ولكن يجب ان يسار على نواميسها وان تعرف شروطها وهي ليست من الامور الهينة و قد حادثت اصدقائى الموتى كما احادث واحدا من الحضور وقد كانوا فى حياتهم من اهل العلم و لذالك برهنوا لى ببراهين قاطعة نشرت بعضها و ستنشر البعض الاخر فى حينه انهم هم انفسهم كانوا يحدثوننى و انى لست واهما وان ذالك حقيقة انا مقتنع بها و بصحتها بكل ما فيّ من قوة الاقتناع اننى مقتنع باننا لانضمحل عند الموت وان الموتى يهتمون بامور هذا العالم ويساعدوننا و يعرفون اكثر مما نعرف بكثير و يقدرون على مناجاتنا احيانا وقال انا لا اشك فى ان الموتى يناجوننا مع انى قضيت سنين كثيرة احاول تعليل ما ينسب الى مناجاة الارواح بعلل اخرى و لكنى رأيت فساد تعليلى الواحد بعد الاخر وليس لى طريقة الان اعلل بها ما ينسب الى مناجاة الارواح غير القول بان الارواح موجودة فعلا وتناجينا وقال و حقيقة البقاء بعد الموت قد ثبت بالطرق العلمية وهي وسيلة تساعدنا على ادراك الاتصال بين جميع حالات الوجود و ذالك ما يبعثنى على القول ان الانسان ليس منفردا بل تحيط به مدركات اخرى و اذا عرفتم ان فوق الانسان مدركا يفوقه هان عليكم ان تتصوروا درجات اخرى من المدركات ارق فارق الى ان تصلوا الى المدرك الاعلى نفسه اي الى الله سبحانه و تعالى هذا ماقاله العالم الكبير بعد ماقضى تقريبا اربعين سنة فى البحث عن الامور الروحانية بنفسه ـ

وقد شاع و ذاع مناجاة الارواح عند الامة الاسلامية لاسيما عند رجال التصوف فقد ذكر الغزالى فى كتابه (كيمياء السعادة) فقال اعلم انه ما من احد الا و يدخل فى قلبه الخاطر المستقيم و بيان الحق على سبيل الالهام و ذالك لايدخل من طريق

الحواس بل يدخل فى القلب لايعرف من اين جاء لان القلب من عالم الملكوت والحواس مخلوقة لهذا العالم ثم قال ولا تظن ان هذه الطاقة تنفتح بالنوم و الموت فقط بل تنفتح باليقظة لمن اخلص الجهاد و الريا ضة و تخلص من يد الشهوة والغضب والا خلاق القبيحة و الاعمال الرديئة فاذا جلس فى مكان خال و عطل طريق الحواس و فتح عين الباطن و سمعه و جعل القلب فى مناسبة عالم الملكوت وقال دائما الله الله الله بقلبه دون لسانه الى ان يصير لاخبر معه من نفسه و لامن العالم ويبقى لايرى شيئا الا الله سبحانه و تعالى انفتحت تلك الطاقة و ابصر فى اليقظة الذي يبصره فى النوم فتظهرله ارواح الملئكة والا نبياء و الصور الحسنة الجميلة الجليلة و انكشف له ملكوت السموات و الارض ورأى مالا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبى صلعم (زويت لى الارض فرأيت مشارقها و مغاربها) ـ

اقرار علماء الغرب بوجود الارواح بعد التجارب العلمية

نورد فى هذا الباب شهادة علماء الطبيعة المشهورين فى انحاء اوروبا و اميريكا على وجود الارواح وهى اقوى دليل لدحض اقوال المنكرين بوجود الارواح لان الذين درسوا المذهب الروحى بطرق تجريبية هم من اعاظم رجال العلم من الكيماويين والطبيعيين والفلكيين و هم اجدر الناس و اولاهم بمعرفة سلامة الدليل اوفساده فيما يتعلق بسببية الحوادث و قد شاهد هولاء العلماء بانفسهم مشاهدات و حركات روحية وقد روقبت تلك المشاهدات مرارا عديدة بواسطة مجربين و مراقبين مستقلين وكانوا لايصدقون بشئ فى مبدأ امرهم و لكن بعد ما اطلعوا على تلك المشاهدات الروحيه لم يسعهم ا لاالتسليم فقرروا صحتها للملأ ـ

قال الاستاذ الفزيو لوجي الشهير الطائر الصيت (روسل ولاس) فى كتابه الخوارق العصرية قال لقد كنت دهريا صرفا مقتنعا بمذهبه تمام الاقتناع ولم يكن فى ذهنى ادنى محل للتصديق بوجود حياة روحية ولا بوجود عامل فى الكون سوى المادة وقوتها ولكنى رأيت ان المدهشات الحسية لن تغالب ... فانها قهرتنى و اجبرتنى على اعتبارها اشياء حقيقية قبل ان اعتقد علاقتها بارواح الموتى بمدة طويلة ثم اخذت هذه المشاهدات مكانا من عقلى شيئا فشيئا ولم يكن ذالك بطريقة نظرية تصورية و لكن لتأثير المشاهدات التى كانت تتلو بعضها بعضا بطريقة لا يمكن التخلص منها بطريقة اخرى (اي بغير نسبتها الى ارواح الموتى)

وكتب الاستاذ جورج سكستون انى تحصلت فى بيتى الخاص و بمعزل عن كل واسطة للتحضير (غير اصحاب لى لديهم خصيصة استحضار الارواح) على البرهان

الذي يستحيل دحضه والذي هو من طبيعته يؤثر على كل عقل ثابت بان المخاطبات التي تحصلت عليها هي آتية من اصحاب و اقارب ميتين ـ

وكتب قانوني كبير من نيويورك وكان رئيس مجلس الاعيان الاميركي واسمه ادمون في كتابه الذي سماه (الحوادث الروحية) في ٢٣ ابريل سنه ١٨٥١ كنت احد تسعة عشر رجلا جالسا معهم حول مائدة في وسط الحجرة وكان يعلو المائدة مصباح منير وكان مصباح آخر فوق انبوبة البخار الذي يسخن الحجرة فما لبثنا غير قليل حتى ارتفعت المائدة نحوقدم عن الارض واخذت ترتج و تضطرب الى الامام و الخلف بالسرعة والسهولة التي استطيع ان احرك بها قدحا بين يدي فحاول بعضنا ان يوقفها ويذلوا الذالك منتهى ماتصل اليه قواهم فلم ينجحوا فلم يسعنا الا الابتعاد عنها ولم نكد نفعل ذالك حتى رأيناها على نور المصباحين صعدت مع ثقلها و تعلقت بالهواء فعزمت من ذالك الوقت على متابعة هذه الابحاث ظانا اني واهم و مغشوش و آليت على نفسي ان اسعى في قشع ظلمات الخرافات عن عقول الناس بفضح سرهذه الالاعيب و لكني رأيت ان ابحاثي و تجاربي ادتني الى نتيجة غيرالتي كنت اقصدها اي الى التصديق بها والاعتقاد بانها امور روحانية ـ

وكتب العلامة (اجست مرجان) رئيس شركة التلغرافات الانكليزية وهو من كبار علماء الطبيعة في مجلة (فروم ماستراف اسپرت) قال انا مقتنع بصحة مذهب استحضار الارواح مما رأيته بعيني و سمعته باذني اقتناعا يجعل تطرق الشك مستحيلا على وان الروحانيين لعلى الطريق التي تقدم العلوم الطبيعية وليس اضدادهم الاشخصين للذين يريدون وضع العقبات في سبيل الترقي ـ

كتب الاستاذ الكبير الشهير العالم الفرد في علم الكيمياء العصري (ولم كروكس) الانكليزي في كتابه (القوة النفسية) تحت عنوان ارتفاع الجسم الانساني مايأتي ـ

هذه الحادثة حدثت في الظلام بحضوري اربع مرات في شروط من الرقابة كافية مرضية ولكن لماكان البرهان الحسي لازماً جدا للبرهنة على مثل هذه المدهشات ليمكننا ان نهدم من اذهاننا عقائد جامدة حددنا بها لانفسنا ماهو الممكن و ماهو المستحيل رأينا ان لانذكر من هذه المشاهدات الامايكون فيها الاستنتاج العقلي معضدا بحاسة النظر شاهدت في فرصة من الفرص كرسيا عليه امرأة جالسة ارتفع بها عن سطح الارض بمقدار عدة عقد وشاهدت مرة تلك المرأة وقد ارادت ان تبعد عنها كل ظن من الحاضرين في انها سبب هذا الارتفاع جثت على ركبتيها فوق كرسيها فارتفع بها الكرسي على هذه الصفة بحيث انارأينا كلنا قوائمه الاربع ارتفعت هذه المرأة بهذه الصفة مقدار

ثلاث عقد و مكثت معلقة فى الهواء مدة عشر ثوان تقريبا بهدوء و بطء و رأيت مرة غلامين صغيرين فى فرصتين مختلفتين ارتفعا بكرسيها من على سطح الارض فى رابعة النهار وفى شروط من المراقبة و الضبط مرضية جدا (بالنسبة لى) لانني عند ذاك كنت جاثيا على ركبتي لم تذهب عن مرمى عيني مطلقا قوائم الكرسي فتحققت انه لايمكن ان يكون بينه و بين احد ادنى اتصال اما اغرب مسائل انتقال الجسم البشري واعظمها فوق كل ماحصل من ذالك امامي و رأته عيناى فهو ما حدث بحضور (المسيوهوم) فلقد رأيته فى ثلاث حالات مختلفة يرتفع بجسمه من على سطح الارض تماما و يتعلق فى الهواء اما المرة الاولى فقد كان جالسا على كرسي طويل واما المرة الثانية فقد كان جاثما فوق كرسيه واما فى المرة الثالثة فقد كان واقفا على كرسيه و فى كل مرة من هذه المرات الثلاث كنت متمكنا من مشاهدة هذه الحوادث فى بدء ظهورها و لقد حصلت هذه الارتفاعات الجسمية من المسيوهوم نحو مائة مرة شوهدت احسن مشاهدة و روقبت تمام المراقبة امام كثيرين من ذوي الصفات المختلفة و قدسمعت من فم ثلاث من شهود العيان وهم الكونت (دونرافن) و اللورد (لندسي) والقبطان (س و ين) تأريخ حوادث من هذا القبيل من اغرب مايتصوره العقل شوهدت بكل مفصلاتها و ادق جزئياتها ثم قال الاستاذ عقب هذا '' ان رفض صحة هذه الحوادث يعادل رفض كل شهادة انسانية مهماكانت صفتها لانها لا توجد حادثة فى التأريخ الدينى او فى التأريخ الدنيوي مستندة على براهين بهذه القوة ،، انتهى كلام كروكس وقد اوردنا بعض الشهادات على سبيل المثال وهي شهادات لاكبر العلماء الطبيعيين وهم الذين تعهدوا فى اول الامر بدحض واقامة الادلة الحسية على فساد المذهب الروحي وابتدؤا بابحاثهم و هم مجمعون و جازمون بان هذه المسائل كلها غش و تدليس و انها و ساوس عامية وخرافات جاهلية واتخذوا فى ابحاثهم جميع الاحتياطات والاحتراسات اللازمة فلما علموا من تجاربهم و امتحاناتهم الدقيقة بان نتيجة تجاربهم و امتحاناتهم العملية ادتهم الى خلاف ماكانوا ينتظرون و ثبت لديهم صحة الحوادث الروحية لم يسعهم الا ان يعلنوا بالحقيقة بدون خوف ولا وجل من الاستهزاء والسخرية -

الجسم البشري مجهز باجهزة كالعين والاذن لاتحس الابا هتزازات محدودة (وقد سبق ذكره فى المشاعر الخمسة) وتوجد فى عالم الطبيعة اهتزازات لاتتمكن العين من رؤية تموجاتها و بما ان الجسم الروحانى مركب من سيال لطيف فلسرعة حركته الاهتزازية لاتتمكن اعيننا وهو على حالته الطبيعية من رؤيته فاذا امكن تنقيص حركته الاهتزازية و جعلها فى حدود ماتراه العين فحينئذ يمكن لنا ان نبصر الارواح وقد ذكر الشيخ عبد الله اباحي فى كتابه (المذهب الروحانى) طريقتين لابصار الا رواح اما الطريقة الاولى العلمية

هي ان تنقص عددالاهتزازات النورية والطريقة الثانية بازدياد القوة البصرية وقد اقيمت امتحانات اثبتت امكان تنقيص الحركة الاهتزازية من الشعاع باستعمال قطعة من الزجاج الخصوصي الحاوي على (سيلكات الارانيوم) فخاصية الزجاج المذكورهي ان تقلل اهتزازات تلك الاشعة الروحية فيظهرلونها السري فتراها العين البشرية ـ والطريقة الثانية هي ازدياد القوةالباصرة قال الشيخ عبد الله اباحي ان النفس هي جوهر بسيط مكتس بغلاف مادي متناه فى الرقة و اللطافة يدعى بالجسم الروحانى وله حركة اهتزازية اسرع جدا من حركة الغازات الغيرالمنظورة فلهذا لاتبصرهالعين البشريةلان ليس فى عصبهاالنظرياالياف يناسب اهتزازها لاهتزازه فاذا قصد الروح ان يترائى لاحد يجتذب بالقوة المغنطيسية الروحية الى عصبه النظري كمية من المائع العصبي تزداد بها القوة الباصرة فيصبح اذ ذاك اهتزاز الالياف النظرية مناسبا لاهتزاز جسم الروح فتراه الوسيط جليا ولايبرح عن نظره طالما فعل الاتحاد قائم بينهما و اذاتكرر العمل مرارا تتخذ الاعصاب البصرية قابلية اهتزازية متزايدة بهاتشتد مع التمادي القوة الباصرة حتى تصبح فى الوسيط خاصية طبيعية مستمرة وكذالك الارواح تملك قوة تحدث بها فى جمعه الروحانى تغيرا ينقص به اهتزازات دقائقه حتى يصبح قابلا للنظر ففى حالة كهذه يراه الحضور جميعا وقد نجح بعض العلماء فى اخذ صور الارواح بالفوتوغراف منهم العلامة والاس والدكتوركونندبل والعلامة اكساكوف الروسي والعلامة الكمياوى الشهيركروكس الذي سبق ذكره و الفلكي الالمانى المشهور (زولنر) وقال العلامة (آترفندلائى) فى كتابه (الكون المنشور) انه يمكن استخدام بعض الاشعة فى تصوير الروح حيث امكن تصوير ارواح الحيوانات وهي تنسل من اجسادها عند موتها و يقول الدكتور كارنكتون فى احدث كتاب له ظهرفى عام (١٩٤٠) بصدد الفوتوغرافية الروحية (ان الضوء فوق البنفسجي قد اختبر مرات فى التقاط صور فوتوغرافية اثناء الجلسات الروحية و قد اسفرت التجارب عن بعض نتائج مدهشة قال الشيخ عبد الله اباحي لاشئ يسقط زعم من ينسب التجليات الروحية الى التخيل الوهمي مثل تصوير الروح المتجلى لان التخيل الوهمي لا فعل له بالصفحة الفوتوغرافية و ما من حجة اقطع من هذه لاثبات وجود الروح مزملا بكسائه اللطيف

اعتراض بعض علماء المسلمين فى مسئلة استحضار الارواح و قد اعترض بعض

علماء المسلمين الذين يعتقدون بكفر جميع الملل والفرق سوى الفرقة المحمدية على الذين يناجون الارواح من الفرق الاخرى فلا يصدقون قولهم بحصول الراحة والنعيم للنصارى و الفرق الاخرى بعد الموت ـ اقول قد صرح الغزالى ان عذاب الناس بعد الموت لايكون على الكفركلا و انما يكون العذاب اولا بترك المشتهيات ثم بعد امد يعذبون على

الذنوب و هكذا فاما العذاب على الكفر فانما يكون يوم القيامة نقل هذا القول العلامة الطنطاوي فى كتابه (الارواح) .

وقال الخواتيم مجهولة فربما يكون بعض من هم فى راحة من الارواح قداسلموا ونحن لانعلم اوتكون بعض تلك الارواح لاعلم لها بالاسلام مطلقا اوسمعت به مشوها على غير حقيقته فهم معذورون قال العلامة الغزالى فى فيصل التفرقة ـ

" انا اقول ان الرحمة تشمل كثيرا من الامم السالفة وان كان اكثرهم يعرضون على النار اما عرضة خفيفة حتى فى لحظة او فى ساعة و امافى مدة حتى يطلق عليهم اسم بعث النار بل اقول ان اكثر نصارى الروم و الترك فى هذا الزمان (اي فى وقت الغزالى) تشملهم الرحمة ان شاء الله تعالى اعنى الذين فى اقاصي الروم والترك و لم تبلغهم الدعوة فانهم ثلاثة اصناف صنف لم يبلغهم اسم محمد صلعم اصلا فهم معذورون وصنف بلغهم اسمه و نعته و ما ظهر عليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الاسلام والمخالطون لهم وهم الكفار الملحدون وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد صلى الله عليه و سلم ولم يبلغهم نعته و صفته بل سمعوا ايضا منذ الصبا ان كذابا ملبسا اسمه محمد ادعى بالنبوه كما سمع صبياننا ان كذابا يقال له المقفع لعنه الله تحدى بالنبوه كاذبا فهولاء عندي فى معنى الصنف الاول فانهم مع انهم لم يسمعوا اسمه سمعوا ضد اوصافه وهذا لايحرك داعية النظر فى الطلب ثم قال واما من سائر الامم فمن كذبه بعد ماقرع سمعه بالتواتر عن خروجه وصفته و معجزاته الخارقة للعادة كشق القمر و تسبيح الحصاة ونبع الماء من بين اصابعه و القرآن المعجز الذي تحدى به اهل الفصاحة و عجزوا عنه فاذا قرع ذالك سمعه فاعرض عنه و تولى ولم ينظر فيه ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد الكاذب وهوالكافر ولايدخل فى هذا اكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين بل اقول من قرع سمعه هذا فلابد ان تنبعث به داعية الطلب ليستبين حقيقة الامر ان كان من اهل الدين و لم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة فان لم تنبعث هذه الداعية فذالك لركونه الى الدنيا و خلوه عن الخوف و خطر امر الدين وذالك كفر وان انبعثت الداعية فقصر فى الطلب فهو ايضا كفر هذا ملخص ما كتبه الغزالى فى كتابه (فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة)

وقد توسع العلامة الجاحظ فى هذا الباب حتى قال الاستاذ احمد امين (لعل توسع الجاحظ فى هذا الباب اداه الى تضييق دائرة الكافرين) ذهب الجاحظ الى ان مخالف الاسلام من اليهود والنصارى والدهرية ان كان معاندا على خلاف اعتقاده فهو آثم و ان نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور غير آثم و ان لم ينظر من حيث لم يعرف وجوب النظر فهو

ايضا معذور وانما الآثم المعذب هوالمعاند فقط لان الله تعالى لايكلف نفسا الاوسعها وقد عجزوا عن درك الحق ولزمواعقائدهم خوفا من الله اذا اشتد عليهم خوف المعرفة فهويرى بهذا ان الاورو باويين مثلا و العالم كله ناجون الافئة قليلة وصل بها بحثها الى ان الاسلام حق ثم عاندت فى قبول الاسلام حرصا على جاه او رياسة اونحوذالك من الاسباب وقد رد عليه الغزالى بان هذا الرأي ليس بمحال عقلا ولو ورد به الشرع لكان جائزا ولكن الشرع اتى بعقاب قوم لم ينظروا وكان فى مكنتهم ان ينظروا وقد ظن الجاحظ ان الانسان و عقائده ليست مكتسبة بل هي مفروضة عليه وانها نتيجة حتمية لكفية تكوين عقله و مايعرض من الاراء وانها تفاعل طبيعي من هذين العاملين فمن عرض عليه دين فلم يستحسن عقله فهو مضطر الى عدم الاستحسان وليس فى امكانه ان يستحسن فمن اسلم عن النظر فاسلامه ضروري غير مكتسب و من كفر فكفره ضرورى غير مكتسب وليس للانسان من الاعمال المكتسبة الاتوجيه الارادة فاذا وجهها فما بعد ذالك من كفر و ايمان لادخل له فيه وحينئذ لا يكون مسئولا عن اعتقاده اذ لا يكلف الله نفسا الاوسعها ـ

وقد قال الله تعالى لااكراه فى الدين قدتبين الرشد من الغي قال الزمخشري فى تفسير هذه الاية اي لم يجز الله امرالايمان على الاجبار والقسر و لكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله تعالى " ولوشاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ، افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين "، اى لوشاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل و بنى الامر على الاختيار ـ

الخاتمه

هنا وقف بى القلم عن السير فى حلبة البيان ، بعد ما بذلت جهدى فى ايضاح هذا البحث الخطير الذى يهم كل من له قلب او القى السمع و هو شهيد ـ وانى اعترف بانى لم اوفى البحث حقه من الايضاح ولكن مالا يدرك كله لايترك جله ـ

و ان المفكر الذى يتدبر فى خلق السموات والارض و ما فيهن من الموجودات و ما تحتوى القبة الزرقاء من لامعات النجوم و ساطعات الاهلة والا قمار و يتأمل فى بهجة الشمس المنيرة التى تغمر الوجود من ادناه الى اعلاه باشعتها الوهاجة و تكسى العالم حياة و روعة و نوراً و ينعم النظر فى عجائب المخلوقات و غرائب المكونات التى سخرها الله تعالى للانسان ليرى فيها ادلة ساطعة و آيات بينات تبرهن على وجود البارى جل شانه و حكمته البالغة وقدرته العالية بدون قراءة اى كتاب فى هذا الموضوع ـ

ولكن حيث ان غالب الناس بسبب انهماكهم فى مشاغل الحياة و شئون الدنيا يغفلون عن التدبر و التفكر فى الكائنات وما فيهامن بدائع الحكم وروائع النعم الدالة

على وجود بارى النسم لذالك وضعت هذا الكتاب ليذكرهم بذالك و لقد قال تعالى " فذكر فان الذكرى تنفع المومنين "

هذا وان كل من انعم النظر فيما كتبته فى هذا السفر الموجز و قرأه بتدبر و امعان لابد ان يستفيد مما فيه من الابحاث القيمة التى حوت زبدة آراء الباحثين خلال عصور طويلة . وانى لست بمعصوم عن الخطأ و الزلل اذ العصمة لله ولرسوله فارجو من القارى الكريم ان يصفح عن زلل يرى و خطأ لم اقصده ـ

و اسأل الله تعالى ان يعم به النفع و يتقبله بقبول حسن ويوفقنا جميعا لمعرفة الحقيقة الازلية المكنونة فى انفسنا و فى الافاق و ان يكشف الغطاء عن بصائرنا لنرى حقائق الاشياء كما هى وماتوفيقنا الا بالله العلى العظيم ـ

صالح بن غالب

٢٥ ـ جمادى الاولى سنه ١٣٦٣ ھ

الموافق سنه ١٩٤٤ ع — حيدرآباد الدكن ـ الهند

تقريظ كتاب الآيات البينات للاديب الفاضل حسن بن عبد الله

عشت يا صالح بن غالب للعلم — و للملك فى ظلال الامان
حبرت كفك الكريمة لاشلت — كتابا فذاً عجيب المعانى
هو آيات خالق بينـات — انت اوضحتها بكل بيا ن
فالذي يقرأ الكتاب يراه — ناصع اللفظ قيم البرهان
ويرى الكائنات فيه تنادي — بجلال المصور الربانى

اعتذار الى القراء الكرام

مع اننا لم نال جهدا فى تصحيح كتاب الايات البينات ولكننا لم نسلم من الخطأ فى الطبع لاسباب لا محل لذكرها هنا فلذلک نرجو من القراء الاكارم المعذرة والكريم من عذر ـ

كما اننا نطلب منهم ان يؤازروننا فى نشر هذا الكتاب المفيد بين الخاص و العام حتى يعم به النفع وتحصل الفائدة المتوخاة ، والله المستعان و عليه التكلان ـ

الماديون و الدين
دحض نظريات مذهب الماديين الذين ينكرون خالق الكائنات ـ
للاستاذ محمد المأمون الارزنجانى المدنى الدمشقى

حيث ان المؤلف قد وفّق البحث حقه من البيان والايضاح فلذلك ارى من الضرورى ان اؤيد مباحثه القيمة فى اثبات وجود الخالق جل و علا بذكر خلاصة ادلة الماديين والرد عليهم لئلا يغتر النشئ الحديث بتراهاتهم و نظرياتهم الواهية التى يتخذها المارقون عن الدين ذريعة لانكار وجود البارى جل و عز وهى كما يلى يقول الماديون :

١ ـ ان الذرات التى تكوّن منها هذا العالم غير متناهية ـ

٢ ـ و العالم و ذراته قديمة لا اول لها ـ

٣ ـ وان تلك الذرات تتحرك وتعمل بصورة طبيعية بنفسها لا بواسطة محرك اومدبر آخر ـ

ان هذه النظريات التى يدعيها الماديون يدحضها العقل السليم والعلم الطبيعي لان العلم الطبيعى يثبت ان المادة فى حد ذاتها عاطلة عن العمل فهى لا تستطيع ان تتحرك بنفسها بدون ان يكون هناك محرك يحركها ، فاذا لم تكن هناك علة لتحريكها و تبديلها و تغيير حالتها فانها لا تتحرك ولا تتبدل عن حالتها الاصلية ابدا ـ

و ان قضاياهم الثلاثة المذكورة اعلاه تناقض اصول علم الحياة و علم الطبيعيات التجريبية الثابتة بالفحص والاختبار ـ و ان بعضها تناقض بعضا اذا محصناها و تأملنا فيها بتدبر و امعان و اثبات ذالك كمايلى : ان الماديين يقولون بوجود العالم ، و من البديهى ان العالم لا يكون موجودا الا اذا كانت هناك قوانين كونية ثابتة تسير هذا العالم و تدبره بنظام متقن خال عن التشويش والاضطراب ـ ولكن المادبين لايقرون بقدرة عالية تدبر و تنظم هذه الكائنات بسنن ثابتة و قوانين طبيعية منظمة ، بل هم يذهبون الى ان الذرات المشفوعة بالحركة هى التى تولد الفكر و الحياة بانواعها وصورها اللانهائية فهى تولد من نفسها على زعمهم حركات اعظم الاجرام السماوية و ذبذبات اصغر الجواهر الفردية ـ

و زعمهم هذا يناقض اصول علم الحياة و علم الطبيعيات التجريبية كما ذكرناه انفا ،

ولوفرضنا ان نظرياتهم صحيحة و مطابقة للعلم الطبيعي ، لظهر امامنا مشكل عظيم آخر لايمكن حله ولا الجواب عنه قطعا ـ

و ذالك حيث ان الماديين لايقرون بوجود قوانين ثابتة تسير هذه الكائنات بمقتضاها ، فعدم اقرارهم بذالك يتضمن ان الكائنات وجدت مصادفة و اتفاقا وليس هناك اى غاية لوجودها و حركاتها ، وان النواميس العامة الثابتة لا دخل لها فى تنظيم حركاتها وسيرها ، و تبليغها الى غاية يربدها منها مبدعها الحكيم -

و بعبارة اخرى : اننا اذا فرضنا ان الكائنات ظهرت فى الوجود بالمصادفة العمياء والاتفاق المحض و خلقت سدىً بدون اى حكمة او مقصد و ان حركات هذا العالم المترامى الاطراف هو اثر الاتفاق المحض و وليد المصادفة العمياء فمن يا ترى يجرى هذا النظام البديع المتقن فى الكائنات، ذالك النظام المضطرد فى الكون باسره الذى يشاهده الانسان متجليا فى كل شئى : و فى كل شئى له آية * تدل على انه واحد

فاذا لم يكن هناك مدبر حكيم ، فمن يا ترى يحافظ على هذاالنظام السائد فى الكائنات - المتناهية فى الروعة و العظمة و الجمال - من التبعثر و الاختلال ؟

و من يؤمّن سير مافيها من النجوم و الكواكب و السيارات والا قمار و المجرات وسائر الاجرام الفلكية العظيمة التى يقاس طول مداها بمليارات السنين - و من يقيها من التشويش والاضطراب و من تصادم الاجرام السابحة فى افلاكها بعضها لبعض -

فالمصادفة التى يقول بها الماديون هى اشبه شئى بالاقتراع و السحب فى اليانصيب او النجاح فى سباق الخيل و فى سائر المراهنات فقد يصادف المقترع شئى من الحظوظ و القسم احيانا و قد لايصادفه و اذا صادفه الحظ مرة فليس هناك من يضمن له ان يصادفه ذلك الحظ فى المرات الاخرى بتتابع و استمرار -

اذن فالعقل السليم و العلم الطبيعى و التجربة والاختبار لاتقبل نظريات الماديين التى تنافى الواقع و الحقيقة لان الماديين لا يعترفون بوجود قوانين ثابتة تسيّر الكائنات ولا يقرّون بهيمنة اله حكيم يدبرها بغاية الحكمة والاتقان بل يسندون سير العالم و حركاته الى المصادفة العمياء والاتفاق المحض -

ألاوان وجود قدرة عالية وقوة مبدعة تدبر هذه الكائنات بالنظام المضطرد البديع منذ الازل الى الابد تحت نواميس كونية ثابتة لم يطرأ ولن يطرأ عليها التغير والاضطراب لبرهان ساطع على وجود اله حكيم فطر السماوات والارض ، وخلق الانسان فى احسن تقويم وسخرله كل مافى الكون ليذكره و يشكره كثيرا ويسبحه بكرة و اصيلا -

ذالك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا - محمد المأمون

تجلى الارواح بدثارها العنصرى فى الحفلات الروحانية

ان مما يوقف الانسان موقف المتعجب هو اهتمام كبار علماء اوروبا النابغين فى علوم الطبيعة والفلسفة بالمباحث الروحانية اهتماما بالغا ، وهذا دليل ناصع على ان العلوم الطبيعية مع رقيها الباهر فى هذا العصر ، لم تتمكن من حل الغاز الطبيعة و تفسير رموز الحياة وكشف غوامض النفس الانسانية بل ان الاكتشافات العلمية الجديدة فى شتى نواحى الحياة و مباحث الطبيعة و شئون الكون رغبت النفوس لفهم الاسرار الغامضة و الحقائق المكنونة التى يحتويها هذا الوجود المتناهى فى الروعة والبهجة و الجمال فلذلك بدأ الملحدون يطأطئون ويحنون رؤسهم امام تلك الايات البينات التى ثبتت ثبوتا علميا يقينيا ولم يجدوا الى حلها بعلومهم الطبيعية سبيلا ، فصاروا حيارى ، لان تلك الايات الروحانية التى ظهرت فى حفلات التجارب العلمية فى مخابرها الخاصة زلزلت اصولهم المادية ونظرياتهم الالحادية ؛

وان اهم ماشاهدته بنفسى من الظاهرات الروحانية عند ما دعيت للحضور فى المؤتمر الروحانى الاممى الذى انعقد فى فارسوفيا ببولونيا سنه ١٩٢٣ هو تجسد الارواح وظهور الطيوف والاشباح فى شكل الانسان وصورته بحيث انك تسمع اصواتها وتراها بالعين وتلمسها باليد و تصورها بالالة الفوطوغرافية وتأخذ قوالب ايديها و ارجلها بالبرافين .

و ان حقيقة هذه الظاهرات الروحانية قد ثبتت ثبوتا علميا يقينيا فى التجارب التى اجريت فى معهد الروحانية العلمية الاممية فى فرانسا والمانيا وانكلتره وبولونيا . و قد اشترك فى مراقبة هذه التجارب جهابذة علماء العصر ، منهم العلامة شارل ريشه والفيلسوف برقسون و الفلكى الكبير فلاماريون وغيرهم من علماء العصر الحاضر الذين لا يتصور تواطؤهم على الكذب او انخداعهم بالاستهواء والتخيلات لان ابحاثهم مرتكزة على الاختبار العلمى و التجربة والامتحان الدقيق فى المخابر العلمية لفحص الظاهرات الروحية وان علماء اوروبا امام هذه الخوارق الروحانية قد انقسموا على قسمين ، فقسم منهم وهم الروحانيون ومناجوا الارواح ذهبوا الى ان كل تلك الظاهرات الخارقة للعادة هى من تجلى الارواح وفاعليتها . واما القسم الاخر من المحققين الذين اقروا بحقيقة حدوث تلك الظاهرات الروحانية بعد الفحص والتنقيب العلمى مثل شارل ريشه ، و برقسون وفلاماريون وغيرهم توقفوا من القطع بتعليلها ونسبتها الى اعمال ارواح الموتى

ولقد اتفق الفريقان على الاستمرار فى درس تلك الحادثات الغريبة لاظهار لب الحقيقة لكى يتسنى للبشرية الشغوف باكتناه الغوامض ان تستجلى اسرار عالم الغيب وتستفيد منه كما يجب لان المباحث الروحانية هى الواسطة الوحيدة التى تمكن البشر من الرقى الى حظيرة الحقيقة الناصعة التى تشرح لهم مكنونات نفوسهم ونواميس حياتهم

حيث انهم لم يطلعوا الا على الجزء اليسيرمنها ـ و بدون معرفة تلك الحقائق الروحانية يستحيل تأسيس اى ايمان اوعقيدة راسخة فى النفوس وإن البحث العلمى الدقيق سيزيح اللثام عن حقيقة كثير من الامور الغامضة التى ترى آثارها ولا يدرك كنهها ـ

هذا ولقدثبت بالتجارب العديدة بان الطيوف المتجسدة وتماثيل ارواح الاموات المتجلية فى الجلسات الروحية تظهر فى اغلب الاحيان طبق الاصل لمايشاهد فيها من التماثل والتشابه فى الشكل والهيئة والطور والمحافظة على الميزات والخصائص التى كانت للروح المتجسدة فى حياتها الارضية ، وكل ذلك يجعل هذه التجارب العلمية من اروع مظاهر الروحانية الحديثة وابدعها ـ

واليكم بعض مشاهداتى الذاتية اثناء التجارب الروحانية فى الجلسات الخاصة فى وارسوفيا ـ ذهبت فى ٣ سبتمر سنة ١٩٢٣ مساء مع اعضاء المؤتمر الروحانى الى بيت الموسيو وودويک البولونى ولقد اشترك فى تلک الجلسة مدير معهد المباحث الروحانية فى باريز الموسيو جلى ، و شرنک نوسينغ و ماكنزى وكارل وت وغيرهم من كبار الاساتذه ـ فجلسنا على مائدة مستديرة وكان وسيطنا الروحانى قوجيک الشهير حاضراً فى الجلسة ، وبعد ان مسک كل من الحاضرين برسغ من بجانبه فصار مجلسنا سلسلة متصلة الحلقات جسمانيا و روحانيا ـ وبعدما استمد الوسيط من سيالاتنا الروحانية استغرق فى السبات المغناطيسى العميق و تجرد عن هذا العالم المادى وانغمس فى لجج العالم الروحانى ـ اذلمحنا فى السقف من ناحية رؤسنا عيونا براقة كانها شظايا من نار موقدة ، ولقد كانت الابواب والنوافذ موصدة ، وكانت الغرفة مضاءة بآلاف من الحباحب ثم رأينا ان تلک العيون تركبت فى رؤس بشرية و بدأت تتدلى و تنزل نحونا بهدوء وسكينة ، فاذا بواحدة منها قدتمثلت امامنا بشراً سويا ، وطفقت تمشى على الارض ونحن نسمع وطأة قدميها وتلمس بيديها اجسامنا و تخاطبنا بلغة غريبة لم نسمعها فى حياتنا ـ و من العجيب ان وجوه الطيوف المتمثلة امامنا كانت تلمع و تشع نوراً فكنانرى من الطيف المتجسد حواجبه واجفانه واسارير وجهه تماما مع ان النور فى الغرفة كان حسيرا جداً . ففى تجربة ظهر امامنا طيف انسانى فى عنفوان شبابه لالحية ولاشارب له وبدأ يتكلم معى ولكننى لم افهم مراده الا بقرينة الحال وعلمت انه يستجدى ثوابا وصدقة روحانية فوعدته بذلک فذهب

و فى تجربة ثانية لمحنا طيفا ـ متجسداًبصورة رجل مسن بلحية سوداء ، وكان يشم منه رائحة التدخين ـ ولقدكان احدالحاضرين قدوضع ورقة وقلما فوق اصابع (البيانو) وكنت قداغلقت غطاءه بنفسى ـ فامرنا هذا الطيف ان يجيب على الاسئلة المكتوبة فى الورقة المذكورة فصدع بالامر واجاب على الاسئلة بالكتابة : محمدالمامون الارزنجانى المدنى الدمشقى

مصادر الاحكام الشرعية

تصنيف عظمة السلطان صالح بن غالب القعيطى اليافعى وهو مؤلف جليل فى بابه ومفيد للخاص والعام يقول مؤلفه فى بيان سبب تأليفه " و" رأيت الناس تركوا كلام الله ورسوله رأيت ان اجمع كتابا يقرب الى اذهان طلبة العلوم الشرعية احكام الله ورسوله من مصادرها الاصلية. . . . . وكان غرضى من تأليفى كتابى هذا هو مراجعة الدليل من الكتاب والسنة بسهولة تامة مع الاطلاع على مذاهب العلماء وآرائهم فى كل مسألة من غير اطناب ممل ولا ايجاز مخل و ذكرت الادلة الشرعية كلها فى اول الباب و ذكرت بعد كل حديث جرحه و تعديله ليعرف الطالب درجته من الصحة و الضعف بسهولة تامة وقد جعلت لجميع الايآت والاحاديث المذكورة فى اول كل باب اعدادا مخصوصة تدل عليها لتسهيل المراجعة،، ولقد بلغت اعداد الادلة الشرعية التى ذكرها المؤلف فى الجزء الاول من هذا الكتاب (٧٨٨) دليلا

ولقد طبع فى دار الكتاب العربى (بمصر شارع فاروق) طبعا جيدا متقنا ونحن نحث طلاب العلوم الشرعية خاصة والمسلمين عامة لاقتناء هذا السفر القيم ومطالعته حتى يكون المسلم على بينة من امر دينه و آخرته و تكون اعماله موافقة للشريعة الاسلامية الغراء والسنة المحمدية

جدول الخطأ و الصواب لكتاب الايات البينات

صفحه	سطر	خطأ	صوابه	صفحه	سطر	خطأ	صوابه
ج	١١	اصبحوا	فاصبحوا	٣٠	١٦	اللقوه	للقوة
٣	٢	تفهم	يفهم	٣٢	٢٣	مسبحانه	سبحانه
١٣	١٥	مشارب	ومشارب	٣٢	٢٦	الهوا	الهواء
١٣	٢٦	بنى	بنى	٣٥	٣	غايه ثقلة	غاية ثقله
٢١	٣	الكلاء	الكلاء	٥١	١٣	مشاهدهم	مشاهدتهم
٢٣	٢	انصاص	اختصاص	٥٣	١٨	بقيقه	بحقيقة
٢٣	١٦	جولها	حولها	٧٥	١٨	والامبريو لوبيه	الامبريولوجية
٣٠	١٦	ذالگ	ذالک	٧٥	١٨	قبقه	حقيقة
				٨٨	٢٦	بانمليتها	بانملتيها

قيمة الكتاب — ٥ روبيات او ٣٠ قرشا مصريا